هموم المرأة المسلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

حامد آفنيخر

هموم المرأة المسلمة

تقديم

الأستاذ الدكتور

محمد راتب النابلسي

دار المكتبي

الطبعة الأولى

1425 هـ - 2004 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

الحمدُ لله وكفى ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى؛ الذي وَفَّى ووَفَى ، وعلى آله الكرام الشُّرَفا.

أما بعد:

فقد دأبت دارُ المكتبي منذ افتتاحها على نشر رسالة المعرفة ، وبَثِّ الثقافة الهادفة ، وطباعة الكتب النافعة ، وقامتْ خطَّتُها على إشاعة العلم ، وتيسير سُبُل البحث المعرفي في مختلف المجالات ، وعلى الأصعدة كافة.

ورأت دارُ المكتبي أن تحترمَ الرأي الآخر ، وتنشر الفكر ، وتُعْنَى بشتَّى أنواع الكتب ، مهما بدا في بعضها من آراء مستحدثة ، وفَهْم جديد.

ولا يَعْني عَرْضُ الآراء الجديدة ، وإيرادها ضمن منشورات الدار؛ أنها تتبنَّى تلك الآراء ، أو تفرضها على فِكْر القارى ، وتوجِّه مسيرته الحياتية.

وكلُّ الذي تهتمُّ به دارُ المكتبي يتلخَّص في احترام الآراء ، وقبول سماع الرأي المعاكس ، ومن ثم التعليق عليه في حواشي الكتب

المنشورة؛ ليقارنَ القارئُ الكريمُ بين أفكار الكاتب ووجهة نظر الدار الناشرة.

وهذا الكتابُ ـ الذي بين أيدينا ـ يحتوي على أفكار تتَّسم بالجرأة، ويُمكن أن تُسْلَكَ ضمن المفهوم الغربي للإسلام في هذا العصر، ففيها ما فيها من تجاوزات وشطط.

وحرص الناشرُ على التعليق على طائفةٍ من تلك الآراء، وتغيير بعضها الآخر إن دَعَتِ الضَّرورة لذلك، انطلاقاً من وجوب تسجيل الرأي الصحيح، والفَهْم السليم الذي يتماشى مع روح التشريع في الإسلام.

واللهَ وحدَه نسأل أن ينفع بهذا الكتاب، ونرجو من القُراء الكرام أن يُتْحِفُونا بملاحظاتهم، وليكونوا على ثقةٍ بأنَّ آراءهم وانتقاداتهم ستلقى آذاناً صاغية، والله على ما نقول شهيد.

اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا، وزِدْنا عِلْماً يا أرحم الراحمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم
الأستاذ الدكتور
محمد راتب النابلسي

طلب مني أخ كريم هو الأستاذ حامد افنيخر أن أقدم له كتاباً من تأليفه حول هموم المرأة المسلمة ، وقد تصفحت الكتاب ، وقرأت أهم فصوله فوجدت في الكتاب وصفاً واقعياً لما هي عليه المرأة المسلمة اليوم ، وأرجو الله أن ينفع القراء بهذا الكتاب ، وأن يكون لبنة في صرح العودة إلى منهج السماء ، والبعد عن وحل الأرض.

فالمرأة المسلمة: تقية ، نقية ، صينة ، عابدة ، حرّة ، أبيّة ، أصيلة ، كريمة ، قوية ، ذكية ، واعية ، عاقلة ، صادقة ، صابرة ، سخية ، رحيمة ، مطيعة ، ودود ، ولود ، بارة ، رفيقة ، معينة . . .

قال رسول الله ﷺ :

(الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة).

المرأة المسلمة: صالحة بنتاً ، وزوجاً ، وأماً ، متمثلة معنى

العبودية لله ، واعية هدي دينها تؤمن إيماناً عميقاً بأنها خلقت في هذه الحياة لهدف كبير حدده رب العزة بقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾. فالحياة في نظر المرأة المسلمة الراشدة ليست في قضاء الوقت بالأعمال اليومية المألوفة والاستمتاع بطيبات الحياة وزينتها ، وإنما الحياة رسالة ، على كل مؤمن أن ينهض بها على الوجه الذي تتحقق فيه عبادته لله.

وهذا الوجه هو أن يستحضر النية في أعماله كلها أنه يبتغي بها وجه الله ، ويتحرى مرضاته ، ذلك أن الأعمال في الإسلام محصورة موقوفة على النيات ، كما أكد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (**إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه**).

وهكذا تستطيع المرأة المسلمة أن تكون في عبادة دائمة وهي تقوم بأعمالها كلها ، كأنها في معبد متحرك دائم ، ما دامت تستحضر في نيتها أنها تقوم بأداء رسالتها في الحياة ، كما أراد الله لها أن تكون. إنها لفي عبادة وهي تبر والديها ، وتحسن تبعل زوجها ، وتعتني بتربية أولادها ، وتقوم بأعبائها المنزلية ، وتصل أرحامها.. الخ ، ما دامت تفعل ذلك كله امتثالاً لأمر الله ، وبنية عبادتها إياه.

ولا يفوت المرأة المسلمة الواعية هدي دينها أن تصقل روحها بالعبادة والذكر وتلاوة القرآن ، في أوقات محددة دائمة لا تتخلف ، فكما عنيت بجسمها وعقلها تعنى أيضاً بروحها ، وتدرك أن الإنسان مكون من جسم وعقل وروح ، وأن كلاً من هذه المكونات الثلاثة له حقه على المرء ، وبراعة الإنسان تبدو في إحكام التوازن بين الجسم والعقل والروح ، بحيث لا يطغى جانب على جانب ، ففي إحكام التوازن

بين هذه الجوانب ضمان لنشوء الشخصية السوية المعتدلة الناضجة المتفتحة.

فتلزم العبادة وتزكية النفس ، وتعطي نفسها حقها من صقل الروح بالعبادة ، فتقبل على عبادتها بنفس صافية هادئة مطمئنة مهيأة لتغلغل المعاني الروحية في أعماقها ، بعيداً عن الضجة والضوضاء والشواغل ، ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ، فإذا صلّت أدّت صلاتها في هدأة من النفس ، وفي صفاء من الفكر ، بحيث تتشرب نفسها معاني ما تلفظت به في صلاتها من قرآن وذكر وتسبيحات ، ثم تخلو إلى نفسها قليلاً ، فتسبح ربها ، وتتلو آيات من كتابه ، وتتأمل وتتدبر معاني ما يجري على لسانها من ذكر ، وما يدور في جنانها من فكر ، وتستعرض بين حين وآخر حالها ، وما يصدر عنها من تصرفات وأفعال وأقوال ، محاسبة نفسها أن ندت عنها مخالفة ، أو بدا منها في حق الله تقصير ، فبذلك تؤتي العبادة ثمرتها المرجوة في تزكية النفس وتصفية الوجدان من أدران المخالفة والمعصية ، وتحبط حبائل الشيطان في وسوسته المستمرة المردية للإنسان ، فالمرأة المسلمة التقية الصادقة قد تخطىء وقد تقصر ، وقد تزل بها القدم ، ولكنها سرعان ما تنخلع من زلتها ، وتستغفر الله من خطئها ، وتتبرأ من تقصيرها ، وتتوب من ذنبها ، وهذا شأن المسلمات التقيات الصالحات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾.

ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: (جددوا إيمانكم). قيل: (يا رسول الله ، وكيف نجدد إيماننا؟) قال: (أكثروا من قول لا إله إلا الله).

والمرأة المسلمة التقية تستعين دوماً على تقوية روحها وتزكية نفسها

بدوام العبادة والذكر والمحاسبة واستحضار خشية الله ومراقبته في أعمالها كلها ، فما أرضاه فعلته وما أسخطه أقلعت عنه .

وبذلك تبقى مستقيمة على الجادة ، لا تجور ، ولا تنحرف ، ولا تظلم ، ولا تبتعد عن سواء السبيل .

محمد راتب النابلسي

* * *

مدخـــل

ماذا نعني بكلمة «هموم» وما شأن المرأة المسلمة بها؟؟.

أين موقع المرأة المسلمة في عصرٍ اختلطت فيه المفاهيم وتبدلت القيم.. هل المهم عقد الزواج أم نقاؤه وديمومته!

فأمام الأمواج العاتية تصمد الصخور، ومع قوة الريح تثبت الأشجار بجذورها المغروسة بعمق الأرض.

مرة أخرى لا يهم المرأة المسلمة مراسم الزواج ونفقاته الباهظة ولا الفنادق الفخمة التي تقضي فيها شهر العسل ما دام الإحساس بوجودها متغيباً والأمل يقتل قبل أن يتحقق.

وعذوبة الكلمات وسحرها تذوب في فراش الحب.. إن لم يكن تدفن فيه؟

كثيرات هن الفتيات اللاتي يكتبن النهاية بأيديهن.. وكثيرة هي حوادث الانتحار أبطالها ممثلات حقيقيات اخترن الارتماء من فوق الصخور العالية، أو الاحتراق على نارٍ هادئة؟.

الحب في الكون واحد لكنه في قاموسنا العربي يحمل مرادفات كثيرة وألغازاً يصعب فهمها. فالعشق والهيام والإعجاب والشغف والاشتهاء

والهوى والارتماء.. والبسط والبلاء.. والتسلية وقتل الوقت والخيال الفارغ والجفاء؟.

فعلى المرأة أن تختار ما يعجبها من المسميات وتترك الباقي لغيرها فهذا الجوع المزمن من العاطفة وهذا الكبت المستوطن بالنفس كالمرض الموروث.. وذاك الضياع الكبير والصبر الملتحم بالمعاناة لا يجدي معه اللقاء وحرارة القبلات؟.

إن هموم المرأة ومعاناتها ليست وليدة الساعة أو نتاج العصر بل عاشت معها من عصرٍ لآخر. لقد خلصها الإسلام من همومها ومعاناتها لا بل من عبوديتها.. وجاء المسلمون بتطبيقهم الخاطىء وفهمهم المغلوط بقصد أو من دونه لإغراقها من جديد بما اعتقدت أنها تخلصت منه؟

فاستغلال الرجل للثغرات التي فتحها الغير بما لا يرضي الله هو الذي كرس معاناتها وتخلفها ، فالمرأة المسلمة وليومنا مغيبة كلياً عن تقسيم الميراث.. وإن حقها بالتملك شبه معدوم.

فقوامة الرجل وقيادته للمرأة تأخذ صفة الامتياز الذي يعطي الرجل حرية التصرف بها كمتاع أو سلعة لا أكثر ولا أقل؟.

فصداقها (أي مهرها) من زوجها قد يذهب له أو لوالدها وأحياناً تبيع الزوجة مصاغها تلبية لرغبات زوجها الخاصة ، وأحياناً يتم قطع دراستها لتسريع زواجها... ومع ذلك نجد الرجال يعيشون سلوكاً مذبذباً مع نسائهم داخل البيت أو غيرهن خارجه.

والآن أين موقع المرأة المسلمة وكيف تتصرف داخل مجتمعها وخارجه في مسألة اللباس مثلاً:

إذا كان الهدف إغواء الآخرين وتحريك مراكز الشهوة لديهم بقصد الإيقاع بهم فإن سلوكها سيحدد شكل هـذا الإغواء فالتعري وإظهار المفاتن الجسدية عن طريق اختيار ثياب ضيقة زاهية وشفافة تبرز تقاطيع

الجسد يعدّ الخط المستقيم الذي يوصل للهدف بأقرب الطرق؟.

وإذا كان الاختلاط بين الجنسين ضرورة يمليها العصر فعلى المرأة المسلمة ابتكار أسلوب آخر يخصها تقطع من خلاله الطريق على رفيقات السوء وصائدات الرجال.

أذكر على سبيل المثال: فتاة جامعية وافقت على الاشتراك برحلة جماعية خارج القطر لمدة أسبوع بعلم الأهل ورضاهم، بينما رفضت زميلتها ذلك لاعتبارات أخلاقية ودينية عملاً بالآية: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[1].

فالآية تشير للمكوث في البيت للمرأة المتزوجة بقصد تربية الأولاد وإلا فالخروج منه بقصد اكتساب العلم والعمل... ففي الأول يزداد تثمين دور المرأة كأم مدبرة منزل.. وبالأخرى إذا كان الهدف كسب العيش بعيداً عن التسلية والوقوع بالرذيلة..!

لقد تحول خروج المرأة للعمل إلى هم يثقل كاهلها لأن عملها قد أرهقها وأغرقها في الشؤون المعيشية اليومية وحطمها كإنسان ذي كرامة.. ولا يعنى ذلك أن المجتمعات التي غالت بالتعصب وعزل النساء قد نجحت بنقلها إلى بر الأمان. فعزلها في البيت قد شطب شخصيتها وألغى الكثير من مهامها الأساسية وعطل دورها الحقيقي ضمن البيت عن طريق تشغيل الخدم والخادمات واستخدام الأمهات البدائل لأن الأم البديلة التي تتعامل مع أطفالٍ ليسوا لها ستشعر أن مهمتها تفوق مهمة [مصارعة الثيران] فأسلوبها مع طفلها الحميم يختلف عن الآخرين؟.

لقد تحولت المرأة إلى إنسان من الدرجة الثالثة لأن عليها أن تناضل للحصول على حقوقها من الرجل الذي ألقى بها في «الجب» وتصبح بعدها قاعدة المكوث في البيت ذريعة ليتشدق بها الرجال ليس إلا..!

---

(١) سورة الأحزاب (٣٣).

فالفجوة بالسلوك والتفكير بين المرأة والرجل لازالت واسعة والحدود بينهما لازالت متعرجة ومع ذلك فالمرأة أكثر فهماً للرجل من نفسه وكأنها تقول له «إنني أعرفك كما لو أني صنعتك».

إنها بصريح العبارة قادرة على اكتشاف ألاعيب الرجال ونفاقهم ولأن النساء بسيطات هادءات فإن مطالبهن تختلف عن طلبات الرجال. . إنها خارج حدود العنف والظلم أو الحروب التي أبطالها الرجال؟؟.

ولأن المرأة المسلمة تابعة للرجل الذي أنكر عليها حق الإبداع وتنكر لإنجازاتها داخل البيت وخارجه نجد أن رجال الأعمال وكبار المسؤولين يبحثون دائماً عن امرأة هادئة ذكية تصلح أمينة سر [سكرتيرة] تتمتع بجمال بتفوقها ورتابتها في تجميع ما تبعثر وتنسيق ما تعثر. . وأحياناً لتعويض ما فاتهم يبدؤون فجأة بتحطيمها وإزالتها والبحث عن بدائل لا لشيء فقط لأنها بدأت تتعرف ألاعيبهم وخفايا أمورهم ، والأكثر من ذلك كله تخطيها للخطوط الحمر في حياتهم الشخصية والغامضة!.

هنا تبدأ المرأة بإعادة النظر بحياتها وسلوكها والمجتمع الذي تعيشه من جديد وبالمقابل سيعيش الرجل صراعاً مع تلك المرأة التي بدت ليست سهلة أو ساذجة كما كان يعتقد. . إنه سيصطدم بأنماط عديدة ويتعامل مع وجوه شتى لعملة واحدة؟؟.

فالنمط السطحي الذي يشبه «الدش» الذي يلتقط الإشارات ويعكسها كما هي[1].

والنمط المتقلب كالهواء الذي تتلاعب من خلاله المرآة بعقول وعواطف الرجال وتدخلهم بحربٍ باردة بقصد الإيقاع بهم إنها تثيرهم. . تداعبهم وتدفعهم بسرعة الضوء لفقدان توازنهم؟.

---

(١) الدش هو صحن يتلقى الإشارات ويعكسها على شاشة التلفاز.

وتلك التي تكذب على الرجال وتعطي لكذبها أكثر من مسوّغ ، فقد يكون خوفاً منهم أو خوفاً عليهم. وأحياناً تكذب للهروب من مأزق أو الدخول فيه؟.

يقابل تلك الأنماط المرأة الجادة المحافظة التي تتصف بشخصية تسعى للكمال والتشبث بالقيم والمبادىء النبيلة المتمثلة بالدين هذا النوع من النساء الماجدات أعطىٰ مثلاً رائعاً لازلنا نذكره «كسيدة الأمهات آمنة بنت وهب والزوجة المثلى خديجة بنت خويلد ، والزوجة المعلمة عائشة بنت أبي بكر ، وخادمة بيتها فاطمة الزهراء ، وحارسة القرآن حفصة بنت عمر بن الخطاب ، والمهاجرة الأولى هند بنت أمية ، والأم الشجاعة أسماء بنت أبي بكر ، وفادية بيتها وزوجها زينب بنت رسول الله. وذات الهجرتين رقية بنت رسول الله ، والحازمة الحاكمة بلقيس ملكة سبأ».

يقابل هذا الحشد الرائع من النساء الظل الذي ورد ذكره في القرآن الكريم ﴿ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا ﴾[1].

والآن سنخوض في أعماق المرأة والرجل لاكتشاف ما كنا نجهله.. ونقول للمرأة المسلمة:

اسرحي بخيالك.. وسافري بأحلامك لمدار القمر ولكن...

إياك أن ترمي الشمعة أو تطفئيها في كوخك الصغير.

ففيها ضمان خط العودة.. تجملي بالصبر لأن فيه الوصول إلى بر الأمان. في كتابي هذا أردت أن أقدم لفئة من النساء حرمت من مسلسل التمدن وفاتها قطار الزمن وبقيت في ذكرىٰ الصفير دون أن ترى سكة القطار أو تلمح عجلاته.

---

(١) سورة التحريم (١٠).

وأردت بالمقابل أن أكون أكثر صراحة بنقد فئة من الرجال حرموا نساءهم عمداً متابعة دروب الحضارة وتحقيق الذات.

أردت أن تكون الآذان صاغية والعيون مفتحة والقلوب مبصرة عامرة بالإيمان.

أردت أن تقرأ المرأة السطور وما بين السطور.

مراجعة الماضي والحاضر ، والتعمق بالمستقبل.

أن تلاحق الإعلانات وتقوم بفك رموزها.

والألغاز بحلها وفهم محتواها.

أن ترفض الإذعان بكل أشكاله الفردية والجماعية.

وأنا كفيل بعدها أن تقود مجتمعها بعد أن جلست في الصفوف الخلفية ترقب ما يحدث من دون أن يكون لها دور يذكر أو قرار. إني أطلب العون من الله. والتشجيع منكن.. ومن الرجال الذين استجابوا لمنطق العصر..!!

ليصبح هذا الكتاب مدرسة بلا بناء ، ومعلماً بلا عناء.

فلنتابع معاً ولنقرأ عن موقع المرأة المسلمة للتعرف على ما يخصها ويخص سواها من تعاليم دينها وتشريعه الذي لم يصل إليها منه إلا القليل القليل.

والله الموفق

* * *

هموم الزواج

«إن الله قسم الأرزاق والحظوظ بين عباده . .
كما قسم الهموم أيضاً ولم يجعل لواحد منهم كل
الفضائل وللآخرين كل الرذائل»

حيدر قفة

[المرأة المعاصرة ـ التزام ودعوة]

القلق مصدره وأسبابه:

«إنه انفعال مركب من الخوف وتوقع التهديد بالخطر»[1].

القلق يصنّف إلى عادي موضوعي مصدره خارجي مثل:

قلق النجاح والتفوق وقلق الزواج والصحة.

وغير عادي مصدره داخلي غامض تتحكم فيه عوامل وراثية مثل:

قلق العصاب وأخرى تتعلق بالطفولة والبيئة «كالفشل الاقتصادي والاجتماعي وعدم الشعور بالأمان وفقدان التوافق مع المجتمع».

ما هو إذاً قلق الزواج؟

يقولون: «تعيش الفتاة بين سن العشرين والخامسة والعشرين عاماً».

القلق هنا يصيب المرأة أكثر من الرجل..

الفتاة في أثناء صداقتها واختلاطها بالآخرين، وفي أثناء خطوبتها.

والفتاة بعد زواجها وانتقالها من جو قديم مألوف إلى آخر مجهول هو بيت الزوجية؟؟.

الحالة التي تصاب من خلالها المرأة بالوحدة.. أو تلك التي تخسر فيها صديقاً أو زوجاً لأمر ما.. وتشكل هواجس الأولاد وتربيتهم قلقاً من نوع آخر تفقد فيه نومها وراحة البال بانشغالها بالأطفال خصوصاً إذا لم يكن هناك خطة لضبط عددهم؟.

ذاك القلق الذي رافق الفتاة من طفولتها حتى سن المراهقة ورافقها بعد

---

(١) الدكتور: حامد عبد السلام زهران ـ أستاذ الصحة النفسية ـ جامعة عين شمس كتابه [الصحة النفسية والعلاج النفسي].

ذلك كالظل. أذكر مثلاً عن هذا النوع المحزن ما أصاب الممثلة المشهورة «مارلين مونرو» تلك المرأة التي عاشت محرومة من الحنان لفقدها والديها. هذا اليتم سبب لها عقدة في حياتها انتهت بالانتحار!

فقد أخفقت في ثلاث زيجات. وكانت والدتها تعاني من مرض عقلي. هذا المرض أقلق مارلين طوال حياتها خوفاً من انتقاله لها وراثياً. . هذا الصراع الداخلي الذي عاشته جعلها تهمل عملها وتتأخر عن تنفيذ العقود مع شركات السينما العالمية.

لقد فارقت الحياة وبجوارها عبوة من حبوب مهدئة للأعصاب. فالحرمان قد يكون مادياً أو معنوياً ، وأخيراً يزداد التأثير بشكل سلبي في شخص الإنسان وسلوكه.

وإذا خرجنا عن القلق الأسري فإننا نجد أن الفتيات يتعرضن لصدمات عاطفية وجنسية تتزامن مع حركات لا إرادية ناجمة عن الشعور بالإحباط.

إنكم شاهدتم فتاة تعض شفتيها بشكل لا إرادي.

وأخرى تحرك عنقها نحو اليمين ونحو اليسار. .

وثالثة تشكو من تعرق كفيها وتتحدث عن أحلام مزعجة وكوابيس مخيفة.

وبانتقالنا لجلسات النساء المتزوجات يختلف الحديث عن القلق الذي تناول أشكالاً أكثر استغراباً. كالبرود الجنسي الذي يتزامن مع العادة الشهرية أو (الطمث). . مع اضطراب ناجم عن الفراغ الذي تعيشه المرأة والذي لا يمكن ملؤه كالحساسية المفرطة التي تعيشها المرأة وقد ينعكس ذلك على عجزها عن تنفيد واجباتها داخل المنزل؟.

ولأن أمر الفتيات يهم الأهل فعليهم أن يقوموا بمهمة الوقاية والمتابعة لكل فعل وردود الفعل الناجمة عن سلوك الفتاة ، مع تعزيز ثقة الأهل بها

وإعطاء الأم الدور الأهم لإيصال البنات إلى الاستقرار النفسي والأمان. إن دور الأم مع ابنتها لن يكون سهلاً ما دامت ترفض أن تكون صديقة لابنتها. . فاصطحاب الفتاة لزيارة أسرية أو مرافقتها إلى إحدى المتنزهات لن يكون صعباً ما دام مفيداً؟.

أما المتزوجة فقد يكون علاجها مكلفاً للزوج كما في تبديل السكن والانتقال لوسط آخر أكثر انسجاماً لحياة الأسرة واستقرارها. . فقد تكون الحالة التي تعيشها الزوجة ناجمة عن عوامل وراثية ترتبط بالعمليات الفسيولوجية كالجوع ـ العطش ـ الرغبة الجنسية إن لم يكن الكبت الجنسي.

صحة المرأة والتوافق:

«الصحة النفسية حالة دائمة نسبياً يكون فيها الفرد متوافقاً نفسياً وانفعالياً واجتماعياً مع نفسه وبيئته][1].

المعروف أن الأمراض النفسية تفوق بخطورتها الأمراض الجسدية لكونها ناجمة عن اضطراب وخلل في وظائف الجسم والسلوك العام يؤثر في علاقة المرأة بزوجها وأولادها. فالخلافات الزوجية تنعكس سلباً على سلوك الأولاد وتتمثل بالأنانية والكره.

وقد كشفت التجارب أن احترام الزوج لزوجته أو العكس يعزز الروابط العاطفية المتوازنة لدى البنات الصغيرات مع تفوق علمي واجتماعي لأفراد الأسرة كلّها مقارنة بالذين عاشوا في وسط مغاير وأسر محطمة أو كما يقول المعلق الأمريكي «والتر ليبمان»:

«هناك فرق بين الأسرة التي تبيع سيارتها القديمة حتى تتمكن من نقل أبنائها لمدرسة أفضل من سابقتها وبين أسرة ليس عندها مشكلة مالية».

---

(١) المصدر نفسه صفحة (٩١).

والنتيجة فإن حاجات المرأة تتشعب إلى أكثر من هدف مقارنة بالرجل.

فهناك الحاجات الفسيولوجية (كالحاجة للطعام والشراب والكساء).

والحاجات الأساسية كالإشباع العاطفي والجنسي مع الحاجة إلى الحب والولاء والأمن وتحقيق الذات؟.

والحاجات الجمالية التي تخص المرأة وتعيش معها أكثر من الرجل!

ومع إشباع تلك الحاجات وعدم إشباعها ستعيش المرأة هموماً لا يمكن أن تحدث مع نظيراتها وذلك لغياب المرجعية التي تعيشها المرأة المسلمة والمتمثلة بالالتزام بتعاليم دينها الذي تعيشه بكل أفعالها وقراراتها أضرب مثلاً على ذلك:

* هل تعيش واقعها كما هو مع زوجها أم ترفضه وتتمرد عليه؟

* هل تعتمد على نفسها في حل مشكلاتها أم تلجأ لمساعدة الأهل والصديقات؟

* هل تملك الجرأة بالرد على الزوج ونقاشه أم تهزم أمام جبروته؟

* وهل توافق على معالجة المشكلات الزوجية بالحوار والمحبة أم تلجأ لسلاح الكره ورفض الأمر الواقع؟

* وهل تقبل أن تكون الزوجة البديلة أم ترفض ذلك وتطلب التفريق؟ وهل.. وهل.. إلى آخر المشوار.

إن مطالب ورغبات الفتيات تختلف عن تلك التي تخصُّ الزوجات، لكن ذلك لا يعني أن الفتاة لا تعيش همومها كتلك التي عاشتها المتزوجة لتأخذ موقفاً تعيشه معظم الفتيات.

* هل يرفض أهل الفتاة الشاب الذي اختارته الفتاة أم يقبلونه؟

❊ وهل ترفض الفتاة الشاب الذي تقدم لها عن طريق الأهل أم توافق عليه؟

فبين صراع الخوف والامتناع ستتحول مشكلة الفتاة إلى مأساة ، فمع الخوف اختارت أن تكون صديقة لشاب يفعل معها ما يشاء وتقبل الذهاب معه لأي مكان حتى لو كان إلى جهنم! .

وبالسلوك الآخر (الامتناع) قد تغير قرارها وتعود لبيتها كإنسان ينتصر على رغباته. . فإذا انتصر الإيمان على الضعف والتردد تستطيع الفتاة أن تصمد متسلحةً بالثقة بالنفس والقوة القادرة من خلالها على التصدي لكل الصعوبات التي ستواجهها في حياتها.

فعملية رفض الفتاة لطلبات الشباب تشكل أكثر فترات حياتها حرجاً وبمقدار ما تملك من أسلحة أنثوية بمقدار ما تتمكن من امتلاك القدرة للدفاع عنها.

هنا يأتي السؤال: ما هي تلك الأسلحة الأنثوية للفتاة؟

أولاً: العمر والجمال فكلما كبرت وتجاوزت سن الزواج قل الطلب عليها وزاد مع ذلك قلقها وقل معه عزوفها عن الزواج إن لم نقل رفضه.

إن حالات العَنْس التي حلت بالكثير من الفتيات تحولت إلى حالة من الاكتئاب الشديد والعزلة التي سممت حياتهن ـ سنأتي في حديث لاحق على العلاج الديني لهذه الحالة ـ.

ثانياً: التعليم والثقافة. صحيح أن حالات الزواج غير المتكافىء قليلة كزواج مؤهلة جامعية برجل لم يكمل تعليمه الثانوي. . لكن فرص المتعلمات بالزواج من متعلمين أكثر حدوثاً من العكس.

ويخضع ذلك للعديد من الاعتبارات أهمها جمال الفتاة وضعف

شخصية الشاب الذي يظن أن زواجه هذا سيعزز مركزه الاجتماعي والمالي.

ثالثاً: المال والجاه لأسرة الفتاة.

إن الوضع الاقتصادي المتردي للشباب والخواء الداخلي لقلة إيمانهم دفعهم للوقوع في شرك المال والقبول بفتيات أكثر ثراءً لتغطية ما كان ينقصهم.

رابعاً: الالتزام بتربية إسلامية منفتحة بعيدة عن التعصب هذا السلاح الذي تمتلكه الفتاة يغنيها عن هبوط وارتفاع الأسهم في بورصات المال وأسواقه والذي يجب أن تعرف كيف تحافظ عليه.

في الحالات الأربع السابقة مجتمعة أو منفصلة يتنافس الشباب على امتلاكها دون الرجوع إلى القاعدة الرئيسية التي أرساها الرسول محمد ﷺ في اختيار الفتاة التي ستصبح زوجة [تنكح المرأة لأربع ، لمالها ، وجمالها ، ولحسبها ونسبها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك].

لذا يشكل فقدان الفتاة لأسلحتها الأنثوية جميعها أو معظمها إفلاساً كاملاً يجعلها توافق على الزواج بلا ثمن؟؟!

لنطرح السؤال الثاني ونحاول الإجابة عنه.

كيف وصلت الفتاة إلى هذا النوع من الإفلاس الأنثوي؟

الفتاة يعرض لها شاب وسيم.. لكنه عاطل عن العمل.

ويعرض لها شاب آخر أكثر تأهيلاً وثقافةً لكنه فقير..!

إنها ستقع أسيرة للمثل القائل [عين في الجنة وعين في النار].

هذا التردد سيتحول إلى صراع يدعى صراع الرغبات أو (صراع الدوافع والضوابط).

الدافع الذي يطالب الفتاة على سبيل المثال بالذهاب مع شاب إلى بيته.

والضوابط التي تلجمها أو تكبح رغبتها لدواعٍ أخلاقية هي نفس الدوافع التي تجعلها تنجرف للزواج من رجل مُسنٍ (كبير السن) لكونه ثرياً ، ورفض آخر شاب لكونه فقيراً. هناك هموم إذاً من الدرجة الأولى وهموم من الدرجة الثالثة. فالفتاة قبل دخولها الزواج تتعرض لمنازلات يصعب تصديقها ولأنها عاطفية أكثر من الرجل ورومانسية بصورة لا تصدق نجدها تتأذى عند معرفتها بنشوز زوجها وارتياده محلات الدعارة!. والذي تعتبره الطبيبة النفسية «هيلين كابلان» من صنع الزوجة [فعندنا يبدأ الرجل بزيارة المومسات فهذا معناه أنه لم يعد بمقدوره ممارسة الجنس مع زوجته ، ومعناه أيضاً أنه يعترف بوجود مشاكل زوجية لا يمكن حلها][1].

فهموم المرأة قد تأخذ أكثر من جناح.

□ فقد تكون الهموم نحو الشريك أو نحو الذات وهو الأكثر إيلاماً.

□ وقد تكون نحو الأولاد لالتصاقهم بها وبحكم علاقتها بهم.

□ وقد تكون نحو المجتمع والوسط الذي تعيشه لأنها ترغب ببناء علاقة توفيقية فيه بعيداً عن سياسة المحاور!.

ومع ذلك تحاصر المرأة بضغوط وهموم خارجية من صنع المجتمع الذي تعيشه كالتضليل الإعلامي الذي يظهر الفساد على أنه فضيلة.. والغش على أنه طريق للكسب المشروع. والاحتيال لإبراز مواهب المرأة ودَفْعها إلى الأمام.

أمام هذا الكم الهائل من الزيف كرد فعل للضعف الإنساني السائد تبقى المؤسسات الإعلامية أو من يديرها بعيدة عن المساءلة ، أو كما يقول هديرت. أ. شيللر [يصبح القهر الاجتماعي رد فعل بدل أن يكون السبب

---

(١) هيلين كابلان ـ مجلة الحسناء ـ العدد (١٠٧٧).

الأساسي للعنف الإنساني ، إن النزعة التشاؤمية تؤدي لتكريس الوضع القائم][1].

أي إن الوضع الراهن ترف للأغنياء ، وعزاء للفقراء وذوي الدخل المحدود ، وهموم تعيشها المرأة بعيداً عن وسائل الإعلام.

هؤلاء النسوة أو الشرائح من النساء يتزوجن ويربين أطفالهن في بيوت فاقدة لكل الشروط الصحية.. ويعملن في معامل ومؤسسات مملوكة لأفراد شاركوا في صنع الهموم وترويج الفقر.

ويدلين بأصواتهن في الانتخابات لصالح الأحزاب القائمة المدعومة ولمصلحة رجال مسبقي الصنع.. ممن كانوا سبباً في فقرها وجهلها ومرضها. فالإغراءات التي تطارد المرأة هدفها الأساسي فرط التماسك المتمثل بالعادات الأصيلة والقيم السائدة؟.

فسواء كانت ضوابط المرأة المحصنة من الانزلاق بالخطأ ناشئة من خوفها من الإخفاق أو الفضيحة والعار.. أو كانت لطاعة الخالق والخوف من عقابه فإنها مرجع يؤكد صدق إيمانها وقوة عزيمتها وثباتها أمام المغريات ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[2].

إذاً وكما بدأنا الحديثَ عن الاضطرابات النفسية التي تعيشها المرأة؛ فإنه يقابلها اضطرابات عضوية المنشأ (كاضطرابات المخ والتهاب السحايا ، والتسمم بالعقاقير الطبية والاضطرابات الناجمة عن الدورة الشهرية وإفرازات الغدد).

وقد تكون هذه الاضطرابات وظيفية (كالعصاب متعدد الأنواع. كما في عصاب السجون والحروب). وهنا يجب التفريق بين أنواع العصاب:

---

(١) هربرت. أ. شيللر [المتلاعبون بالعقول].

(٢) سورة النساء (١١١).

ـ الوظيفي.

ـ والعصبي كالشلل النصفي والصداع.

وللأمراض العصبية ذات المنشأ الجسمي ثلاثة اتجاهات هي:

* التحرك نحو الناس (وتكون المرأة إيجابية).

* التحرك ضدهم (وتكون المرأة عدوانية).

* والتحرك بعيداً عنهم (كالمرأة ذات الشخصية الطرفية).

وسنعالج الاتجاهات الثلاثة للمرأة بالتفصيل.

وسنرى ما يقول الإسلام عن كلٍّ منها.

ونقول أونشير إلى أن القلق أساس العصاب.

□ **أثر العصاب في سلوك المرأة:**

في الاتجاهات الثلاث، سواء كان التحرك نحو الناس (دفع الأذى عنهم) أو التحرك ضدهم (إلصاقهم بالإثم وإسقاطه عليهم) فالأمر مختلف بحسب الآية ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[1].

فالشخصية العصابية للمرأة «تمزيق للداخل وشلل للقدرات العقلية والصحية.. تنتهي بالهذيان والهزال الشديد فالموت».

هذا ما يقوله الدكتور: حامد زهران. وللأسف فإن الفتيات أكثر إصابة بهذا القلق قبل سن الزواج لكونه ناشئاً من (الخوف وتوقع الخطر). فالقلق الناجم عن قدوم الشريك يتفرع عنه قلق ناجم عن تأخر فترة الخطوبة.. فكلما زاد انتظار الفتاة زاد قلقها وتشعب لأكثر من هدف.. فالقلق الناجم عن خيبة الأمل (بإخفاق الزواج) أكثر من سابقه لاحتمال

---

(١) سورة النساء (١١٢).

إصابتها بالانهيار العصبي لعدم قدرتها على احتمال ما حصل؟

وهناك القلق المتمركز بسيكيولوجية الأعماق للفتاة ويسمى هنا [القلق المكبوت] الذي قد يكون نابعاً من رغبة مكبوتة لكنها لم تتحقق . . !

فالقلق لدى النساء يشكل ٤٠٪ من الاضطرابات النفسية وهناك عوامل عدة تسهم في حدوثه مثل :

* **الاستعداد الوراثي** .

* **الاستعداد النفسي** كالصدمات العاطفية إثر وفاة شريك حياتها أو من جرّاء طلاقها ولأن المجتمع الإسلامي محكوم بضوابط وتشريعات كالعادات والتقاليد مع مشكلات الطفولة والمراهقة وهموم الشيخوخة وسن اليأس لدى النساء والإخفاق بالوصول لزواج متكافىء والوضع الاجتماعي والاقتصادي هذه الأمور أو بعضها مصدر القلق الذي تعيشه المرأة المسلمة وتطاردها في البيت والشارع والعمل مع الزوج والأولاد جميعها أمور تحد من طموحاتها وتعطل دورها شاءت أم أبت؟؟ .

□ **المشاكل الاجتماعية في هموم الزوج :**

هناك مشكلات عديدة من أبرزها :

أ ـ **الأسباب الحيوية** : الناجمة عن اختلاف فصيلة الدم وعدم التوافق الجنسي وحالات العقم والشيخوخة .

ب ـ **الأسباب النفسية** : كالإخفاق في العلاقات العاطفية الاجتماعية . وفشل الحب والصدمات العاطفية التي تعترض الفتاة والسلوك الذي تتعلمه من البيئة والوحدة الناجمة عن حالات العنوسة والترمل والطلاق ودخول الزوج أو أحد الأقارب السجن جميعها عقد نفسية مصدرها القلق .

جـ ـ **الأسباب البيئية** : وتتمثل بالعادات الموروثة والتقاليد وسيطرة الجهل والأساطير في عقول الناس .

زواج الأقارب:

هذا النوع من الزواج رفضه الرسول محمد ﷺ [تخيروا في نطفكم فإن العرق دسّاس].

ويروى أن عمر بن الخطاب نظر لقومٍ من قريش صغار الأجسام.

فقال لهم: مالكم صغرتم؟

قالوا: قرب أمهاتنا من آبائنا.

قال: صدقتم. [اغتربوا فتزوجوا من البعداء فأنجبوا].

فالإسلام حافظ على نقاء العوامل الوراثية وصحة الأولاد وقوة النسل بتشجيع زواج الأباعد. وهو ما أكده أطباء العصر فضعف البنية للمواليد المنحدرين من زواج الأقارب يتعدى ضعف الجسد إلى ضعف القدرات العقلية والسمعية والبصرية لا بل الأمراض الوراثية التي تنتقل من الآباء والآمهات للأولاد.. ويبدو في كثير من المجتمعات لا يُسمح للفتاة باختيار شريك حياتها.. والذي ينجم عنه حوادث قتل على خلفية شرف الأسرة.

إن صراعاً بين الزوجة وزوجها يشبه الحرب الباردة لعدم التوافق بينهما والناجم عن الزواج الخطأ أو القسري.. والأكثر إيلاماً أن إنجاب الأطفال يأتي متأخراً بعد فوات الأوان. هذا الصراع جسده المسلسل السوري [الغريب والنهر] والذي بطله معلم مدرسة يعمل في أرياف المنطقة الشرقية من سورية والمحكوم بعادات وتقاليد قديمة وقاسية تمنع زواج الفتاة من خارج البيئة لتبقى محصورة ضمن حدود الأسرة.. حيث انتهى بمشهد تراجيدي أدى لقتل معلم المدرسة الذي أحب الفتاة من قبل أهل الفتاة وأقاربها وذلك على خليفة المحافظة على / شرف الأسرة/.

* * *

تاريخ المرأة المسلمة.. وموقعها

«كانت المرأة تختلط بالرجال وتسافر وحدها
تركب الخيل وكان لها أن تساير الغريب أو تستقبله
في بيتها مع غياب أهلها وهي ملزمة بأداء حقوق
الضيافة لمن ينزل ضيفاً. . إن كانت وحدها وتعفى منه إذا وجد
رجل من أهلها في المنزل»

هادي علوي
[المرأة في الجاهلية ، المرأة في الإسلام]

هل يعقل أن يتفوق نظام جاهلي قبلي متخلف على نظام حرر المرأة من العبودية وأنقذها من الموت في الحياة.. تناقض عجيب وقلب فاضح للقيم والمبادىء ، لقد كان للمرأة العربية أن تختار من تشاء من الرجال شريطة ألا تمس تلك العلاقة جسدها وروحها.

كان هذا قبل ظهور الإسلام وفي عصر لم يرحب بالأنثى ودفنها قبل أن يراها الناس وترى عينها النور ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ ﴾.

إن الذين نقدوا المرأة المسلمة وجرحوا مشاعرها وهضموا حقوقها واستغلوا طاعتها... هؤلاء جميعهم لم يبرهنوا عن تقدير دورها كأم صانعة الأجيال باستثناء أولئك الذين استغنوا وإلى الأبد عن دورها أولئك بلا شك هم الشاذون.!!

المرأة في العصور الغابرة:

في القديم كانت النساء تأخذ دور الرجال في القيادة والمجتمع وتروي الأساطير في لوحة كتبت أيام الملك السومري (أوراك جينا لعام ٢٣٥٠ ق.م «أن النساء في الماضي تزوجن من رجلين».

وفي قوانين حمورابي يحق للرجل بيع المرأة أو تأجيرها لقاء سداد دين بذمة الرجل وللرجل الزواج من ثلاث فتيات والمرأة لها أن تتزوج من غير زوجها بغيابه ومتى عاد يحق له إعادتها لعصمته وهكذا نجد أن التربية الإباحية هي السائدة آنذاك.

وتشير أساطير مانوي الهندية أن مهمة المرأة جنسية قائمة على إغواء الرجال والتجمل لهم ، إنها كالرقيق يتصرف بها الرجل كيفما شاء. وعند الرومان لا يحق للمرأة تولي المناصب السياسية لارتباط ذلك بالقدرة الجسدية على أداء ضريبة الدم (المبارزة) التي هي من اختصاص الرجال.

وفي أوربة قبل عصر النهضة استُغلت المرأة وعوملت على أنها كائن بلا حقوق وأدنى مكانة من الرجل.

وفي بابل يحدثنا هادي علوي «أن أهل بابل يبدؤون بتزويج الجميلات للشباب الأغنياء بعد دفعهم مبلغاً من المال يوزع على الفقراء من الشباب لقاء تزوجهم من غير الجميلات».

المرأة في التاريخ العربي:

من يزر مدينة تدمر (باطيرا) شرق سورية يقع على تاريخ عريق للملكة «زنوبيا» التي تسلمت الحكم عام ٢٦٧ بعد الميلاد عند مقتل زوجها ـ أذينة الثاني ـ واستمر حكمها ست سنوات كافية لتخليدها بطلة من أبطال الشرق الغربي.

كرمت العلماء والأدباء وقربتهم من بلاطها وكانت تجيد عدداً من اللغات كاللاتينية والآرامية واليونانية.

وفي الحجاز انحصر نشاط المرأة العربية بالأشغال اليدوية كالغزل والنسيج ورعي المواشي والعناية بالجرحى في أثناء الغزوات بين القبائل وأتقنت الشعر والخطابة كالخنساء والزرقاء وهند بنت عتبة.

المرأة في العصر الإسلامي:

جاء الإسلام ليصحح كثيراً من الأمور في العلاقات الاجتماعية ويلغي بعضها الآخر. في مسألة زواج المرأة من رجلين هذا الأمر مخالف للعلم والدين بآن حقاً لأن مدّة الحمل للمرأة تسعة شهور أي أنها لا تحمل إلا مرة واحدة في العام حتى لو تزوجت من مئة رجل!.

في حين يستطيع الرجل أن ينجب من نساء عديدات لأكثر من مولود في العام الواحد.. هذا مسوّغ لزواج الرجل المسلم لأكثر من واحدة.. ومن وجهة نظر دينية وعلمية أيضاً أن النسل والأنساب قد تضيع بحالة البغاء واتصال المرأة جنسياً بأكثر من رجل.

ويروي البخاري أربع حالات من الزواج انتشرت في الجاهلية ورفض الإسلام ثلاثة منها:

الأولى: يوجه الراغب بالزواج طلبه لولي أمر الفتاة لتحديد الموعد الذي يتم من خلاله إبرام عقد الزواج.

الثانية: كان الرجل يقول لزوجته: عندما تتطهرين من [طمثك] أرسلي لمن تريدينه من الرجال ليعاشرك.

الثالثة: جماعة من الرجال قد يكونوا عشرة لهم ذات العلاقة مع نفس المرأة وعندما تضع مولودها.. ترسل لهؤلاء الرجال وتقول لهم:

تعلمون ما حصل في علاقتكم معي، لقد جاءني ولد.. هذا؟؟.

هذا الولد هو ابنك وتشير لأحدهم فأعطه الاسم الذي ترغب.

الحالة الرابعة: زواج البغايا.. حيث تغرس المرأة علامة أمام بيتها ليدخل إليها كل من يرغب بالجنس وعند مجيء الولد يحكم عليه من الملامح. هذا النوع يشبه بيوت الدعارة المنتشرة اليوم في معظم الأماكن بالعالم.

مما سبق نجد أن إثبات النسب بالتشريع الإسلامي مغاير تماماً نظيره في العصور التي سبقت الإسلام. مدحت غراب مستشار قانوني في محكمة جنوب القاهرة يرى أن «الأولاد الذين تلدهم الزوجة حال قيام الزوجية وأثناء العدة ـ طلاق أم وفاة ـ يثبت لنسبهم لكل من الزوج والزوجة فإذا كان المقصود حق الرجل بالاستمتاع بزوجته».

وهو يستند لقول الرسول محمد ﷺ (أيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه ـ أي يعلم أنه ابنه ـ احتجب الله منه يوم القيامة وفضحه على رؤوس الخلائق).

فحق النسب يترتب عليه حقوق أخرى مثل:

النفقة وضم الأولاد ، والإرث.

أما ثبوته بجهة الأم فهدفه دفع تهمة الزنى عنها وحماية ابنها من الضياع والتشرد والحرمان. وفائدته للولد معنوية مع ضمان حقوقه من الرضاعة والحضانة والعيش مع أب معروف والنفقة والإرث.

أما الطرق التي يثبت من خلالها حق النسب فتشمل:

□ الزواج الدائم والمؤقت (أي زواج المتعة) بالأول يتحدد الصداق أو المهر وبالثاني عرفي ، وفي الحالتين الأولاد شرعيون.

□ الإقرار من الأب بالمحكمة أن الولد ابنه.

□ البينة وهي شهادة رجلين أو رجل وامرأتين وتمتاز البينة من الإقرار بأنها حجة متعدية لا يقتصر الحكم بموجبها على المدعى عليه فقط بل على غيره[1].

أما رهن المرأة وتأجيرها للفقير لقاء سداد دين بذمة الزوج والمعمول بها في شريعة حمورابي فهي محرمة ومرفوضة بالإسلام جملةً وتفصيلاً. بقي أن نشير للأساطير وعادات الزواج في بابل فهي تلغي حرية الاختيار عند الفتاة ، وتعترض على حكم الله بعباده فعملية تزويج الجميلات للأغنياء هي اعتراض على حكم الله الذي يقول ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ وبالتالي إسقاط حقوق الفقراء ليس إلا . . ؟

فالخلل والحيف الذي لحق بالمرأة المسلمة وسبب لها هذا الإرباك كان من صنع المسلمين لا من الإسلام وتشريعه. . فالعادات والقناعات الموروثة على مر العصور يجب تجاوزها وتبديلها بأخرى أكثر تحضراً.

وبغير هذا التغير لن يجد المسلمين ترحيباً بهم في عصر أصبح فيه كل

---

(١) مجلة النهج ـ العدد (١٣) صفحة (٨٤).

شيء قابلاً للتغيير ﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ إن الله لن يغير أو يبدل قوانينه وشرائعه لإرضائنا لأن عملية التفسير محكومة بفهمنا واجتهادنا العقلي الصحيح لعقائدنا. . ؟

□ فالإسلام سمح للمرأة أن تستأمر في زوجها والتصرف بأحوالها الخاصة دون الرجوع لموافقة الزوج أو الأهل.

□ وأوصى بالعلم وأنه نور وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ليكون بعدها وسيلة لتربية الأولاد على أسس علمية سليمة.

□ وقدس المرأة كأم صانعة للأجيال ولم يفرض عليها الحجاب. . [باعتباره خارج أصول الشريعة وإنما وضع لسد الذريعة][1].

□ حرم الإسلام ارتياد النوادي المعدة للمقامرة وشرب المسكرات ومنع المرأة من ممارسة الأعمال الخطيرة والمفسدة لأنوثتها.

مما سبق وجدنا فئة من النساء المسلمات في العصر العباسي أبدعن في الفن والموسيقا والشعر وحتى الغناء مثل:

«علية بنت المهدي» أخت الرشيد.

ولبنة في قرطبة أيام الحكم الثاني بالأندلس.

والعالمة في اللغة والرياضيات الشاعرة المجيدة [عائشة بنت أحمد].

والعبقرية [نظام] التي كانت أمينة سر قصر هشام بن الحكم المختصة في تدوين الوثائق السياسية والإدارية.

وعلى العموم أجاز الإسلام جملة من الحقوق والتشريعات التي حمت المرأة وحفظت حقوقها نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

* حق التملك والإرث.

---

(١) الإمام رشيد رضا [نداء إلى الجنس اللطيف].

❊ حق المشاركة في الحكم وتولي المناصب السياسية.

❊ حقها في الشهادة أمام القضاء.

❊ حق المرأة المسلمة بالطلاق من الرجل.

❊ حقها في اختيار شريك حياتها، أو رفضه دونما ضغط أو إكراه.

❊ حقها في العلم والعمل تماماً كالرجل.

ويعلق عمر بن الخطاب على حق الإرث فيقول:

«والله إنا كنا في الجاهلية ما نَعُدُّ للنساء أمراً، حتى أنزل الله تعالى فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم»[1].

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه مسلم في صحيحه / ٤/ ١٩٠.

أشكال الحب في التراث الإسلامي
«الاختيار أصوله وأشكاله»

□ تقول تعاليم كونفوشيوس اليابانية:

«على المرأة أن تطيع أباها في صباها، وعندما تصل سن الرشد أن تطيع زوجها.. وتطيع ابنها في سن الشيخوخة».

ونحن نقول: هل يحق للفتاة أن تنقل حبها وإعجابها بالشاب إلى أهلها من منطق أن الحب مجموعة من المشاعر والعواطف الإنسانية من الصعب شطبها أو تجاهلها. علينا أن نوضح ما هو معيب وما هو محرم أو محلل ومقبول.

في جاهلية العرب انتشرت عادات الإثارة والعهر والدعارة التي عبر عنها الشعراء العذريون بطريقتهم الخاصة التي كانت حالة تصالحية بين الحب الجامح السائد في الجاهلية والإيمان العميق المعتمد على طهر العلاقة ونقائها في الإسلام!.

لنقرأ ما قاله جميل بن معمر عن الحب والجهاد فيه الذي يفوق لقساوته الجهاد الحقيقي بزعم الشاعر:

لكل حديثٍ عندهن بشاشة ... وكل قتيل عندهن شهيدُ
يقولون جاهد يا جميل بغزوةٍ ... وأي جهادٍ غيرهن أريدُ

«لقد عرف العصر الجاهلي الحب بكل أشكاله وحالاته ومستوياته الحسية والعذرية الطبيعية منها والشاذة. حتى جاء الإسلام فقلب الموازين رأساً على عقب»[1].

لقد حرم الإسلام الزنى وعاقب مرتكبيه بالجلد للزاني الأعزب والرجم للزاني المتزوج. . وشجع الإسلام الزواج واعتبر العزوبة رذيلة.

فكلمة العشق لم ترد في القرآن الكريم وجاءت في الأثر «من عشق فعف وكتم ثم مات فهو شهيد»[2].

أما كلمة الحب فلم يأت ذكرها بالقرآن إلا في قصة يوسف مع امرأة العزيز بالآية ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾[3].

أما كلمة الهوى فجاءت بمعنى الجنوح نحو الخطأ كما ورد في الآيتين:

﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ﴾[4].

﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾.

فالإسلام حرص على نقاء العلاقة بين الرجل والمرأة. وأمرهم بحفظ الفرج وغض البصر ونهي النفس عن الهوى التي جاءت بمنزلة مقاومة الشهوة والصمود أمام المغريات وهو ما حدث في قصَّة يوسف مع امرأة العزيز ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾[5].

لذا جاءت حالة الهوى العذري بعيداً عن العجز بالوصول لإرواء الغريزة الجنسية وإخفاء الشهوة من قبل الطرفين أي إن الحب العذري

---

(١) د. محمد حسن عبد الله [الحب في التراث العربي].
(٢) كتاب ذم الهوى صفحة (٣٢٦ ـ ٣٢٩).
(٣) سورة يوسف: ٣٠.
(٤) سورة يوسف: ٥.
(٥) سورة يوسف: ٢٤.

«شهواني في أصله . . ونرجسي في موضوعه»[1].

إنه حالة مرضية لكون المحب يفضل أن يتحدث الجميع عن علاقاته الغرامية مع عشيقاته لذا نجد أن الحب هنا لا ينتهي بالزواج وقد عبر عنه جميل بن معمر بحبه لبثينة بقوله:

ألم تعلمي يا عذبة الريق أنني أظل إذا لم أُسْقَ حبك صاديا

أي عطشان. بينما نجد الحب الذي ينتهي بالزواج يعزز العلاقة الزوجية بين الثنائي لا بل يقدسها ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً . . .﴾[2].

فالحب في تراثنا العربي أخذ شكلين:

الأول: إنساني يتناول وصف الجمال والعشق بين الثنائي.

والثاني: صوفي يصل لدرجة العشق الإلهي وهو الأكثر اهتماماً ونجد في قصَّة العاشقة رابعة العدوية تجسيداً له؟؟.

يقولون: إن الحب من أكثر الوسائل لتطهير القلوب. . كيف؟

نذكر حواراً دار بين القس بن عبد الرحمن بن عمار وجاريته سلامة[3].

قالت له يوماً: أنا والله أحبك.

قال لها: وأنا والله أحبك.

قالت له: وأحب أن أضع فمي على فمك.

قال: وأنا والله أحب ذاك.

قالت: وما يمنعك؟

---

(١) د. محمد حسن عبد الله ـ المصدر السابق صفحة (٣٢٧).

(٢) سورة الروم (٢١).

(٣) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ـ الجزء الثامن ـ صفحة (٣٣٥).

قال: إني سمعت الله عز وجل يقول:

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

فالقس هنا حرك بذور «التجرد الفطرية» لدى المغنية سلامة وهي بدورها أيقظت لديه «بذور الميل الجنسي».

فالحاجة للجنس لا يمكن إنكارها لكن الإسلام هذب سلوكنا للظفر بها ووضع قواعد وأسساً للوصول لتلك الحاجة بعيداً عن العنف وارتكاب الآثام وإلا لكان سلوكنا أشبه بسلوك البهائم.

لذا اختلفت السبل للحصول على الفتاة باختلاف الأعراف والعقائد.

فالإنجاب عملية مقدسة بالمجتمع الأبوي الصيني والياباني الذي يؤمن بسيادة الذكر وتخليد الأسرة وتربية الأولاد.. فالزواج في اليابان يتم وفق صفقة كالصفقات التجارية بين أسرتين:

«فغرم تمتع النساء اليابانيات بمركز يشبه مركز النساء الأوربيات أكثر من مقارنته بالمسلمات: إلا أن الرجل الياباني له مواقف شوفينية واضحة فالتفرقة العنصرية ضد النساء في الوظائف تفرقة قاسية جداً»[2].

ومع ذلك نجد أن عادات المسلمات في دول شرق آسيا متشابهة فالوقت الذي يمضيه الشباب مع الفتيات قليل إذا ما قورن بأوربة.. ولازالت القبلة في الكثير من الحالات غير مسموح بها، والمرأة هناك تسير خلف الرجل كتقليد شائع لكن الشيء المميز في المجتمعات الإسلامية هناك ندرة الطلاق وعدم انتشار حالات تعدد الزوجات هذا الحال ينسحب على دول البلقان والقوقاز الإسلامية.

---

(١) سورة الزخرف: ٦٧.

(٢) أدوين دايشاور (المرأة اليابانية) ـ الفصل السابع ـ من كتابه [اليابانيون ص ٢٩].

نعود من جديد لما بدأناه. هل يحق للفتاة تسمية خطيبها وعرضه على الأهل؟.

إن واقعة الخطوبة في المجتمع الإسلامي «امتياز منح للرجل» ومع ذلك لازال أصعب قرار تتخذه المرأة.. فهناك تفاوت بالمفاهيم بين الريف والمدينة وتقل هموم المرأة بقلة الاهتمام بالعادات الموروثة كغلاء المهور والزواج من الأقارب.

وعلى العموم الإسلام لم يركز كثيراً على مسألة من يختار أولاً لأنّ الأهم من ذلك صدق العاطفة وطهرها.. وكان التحذير للشباب بعدم التلاعب بعواطف الفتيات بأن تكون العلاقة بعلم الأهل ﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ﴾[1].

ومع ذلك نجد اليوم أن العلاقات التي تحدث بين الشباب من الجنسين مسوّغة اجتماعياً بسبب علاقات الدراسة والعمل والسفر وحضور الندوات والمؤتمرات والحفلات الأسرية العامة والخاصة ومع ذلك تبدو مشكلة المرأة المسلمة أو العربية حصراً هي مشكلة الوطن العربي كله وهمومها مشتركة في أكثر المجتمعات العربية والتي تعني «التخلف والتجزئة وانعدام الديمقراطية مع التسلط والقهر وسوء توزيع الثروة. وعدم توافر فرص العمل»[2].

فلم يعد الشباب أو الفتيات مسؤولين عن إخفاق إنجاز مشروع الزواج وزيادة حالات العنوسة والطلاق وتعدد الزوجات ما دامت البلاد تغص بعشرات من التنظيمات النسائية العامة والخاصة التي أغرقت النساء بسيل من القرارات والإنجازات الخرافية إن لم نقل الوهمية!.

---

(١) سورة النساء (٢٥).

(٢) د. خفر زكريا ـ مجلة النهج صفحة ٥٥ لعام ١٩٩٥.

فالأعباء الاقتصادية التي أرهقت الجنسين وبخاصة الزوج كرب أسرة لم تأتِ من الصين.. بل وجدت هنا بقصد إرهاق الشباب وتحطيم طموحاتهم قبل أن تتحقق!.

ومع هذا الكساد اللامعقول تقف الفتاة مشدوهة لما يحدث، وفي الطرف الآخر تعجز التنظيمات النسائية عن تقديم أبسط الحلول للتغلب على هذا اللغز وتجاوزه.

وتبدأ حيرة الفتاة لأكثر من جناح وتتساءل بسخط...!

□ هل تضحي بحبها وأحلامها ومبادئها التي آمنت بها؟

□ أم تتجمل بالصبر والصلاة حتى يأتيها الفرج؟

□ هل تنحرف بقصد التسلية وقضاء الوقت كما يفعل أبطال مسلسل [الحسان والشجعان] أم ترفض ذلك؟

إن هذا النوع من الهم يأتي ساخناً لكونه محملاً بالدموع والآلام مثقلاً بالقهر والحقد والذي ينفذ للضفة الأخرى للشباب.

فالشاب الذي يمضي ثلاثة أرباع عمره بالتفكير بإنجاز تعليمه.. وأداء خدمة العلم.. والالتحاق بالعمل وتأمين السكن مع إعالة الأولاد هذا الهم يفوق بحجمه هموم الفتاة «فالرجل تبدأ همومه بعد الزواج أما المرأة فينتهي تفكيرها إن لم نقل معظمه بعد الزواج».

كيف تختار الفتاة خطيبها؟:

لقد جرت العادة أن تجلس الفتاة في عشها لحين قدوم الشاب وفي حالات مغايرة لا يحق للفتاة الدفاع عن صديقها أمام الأهل لأن ذلك يرتبط «بشرف الأسرة».

وفي مجتمعات أخرى قد تطرد الفتاة من قبيلتها أو طائفتها لأنها وافقت على الاقتران بالشاب برغبتها بعد أن تجاوزت الأعراف. برغم

التسويغ لمثل هذا الاختيار كما في زواج المراهقين وزواج الإكراه من قبل الأهل برغم رفض الثنائي له. وزواج الأقارب ، وزواج المتعة . . .

وكقاعدة: «زواج الفتيات الآباء هم السبب فيها ، فمهما كانت الدوافع والأساليب لا ينبغي أن يحولوا بين زواج بناتهم لأنه بالتالي سيؤدي لأفدح الخسائر»[١].

فالتضليل الإعلامي الذي انتشر عبر الفضائيات كان لأهداف معروفة لنشر الرذيلة والتهتك الخلقي والإباحية الجنسية بصورة مفتعلة ورافق تلك الحملة تشجيع الإجهاض وإسقاط دور الأهل والمدرسة في تربية الأولاد وإغراق المرأة بسيل من الهموم الحياتية واليومية. . وإجبارها على الكدح الرخيص للحصول على الحد الأدنى من مطالبها الشخصية والأسرية ويجبرها عن سوء نية لسحق أنوثتها وفقدان توازنها داخل بيتها وخارجه!.

«لقد نشط موظفو وكالات الأنباء والإعلانات التجارية وتسارعوا لاقتناص الفتيات الجميلات لشتى السبل حيث يتم تدريبهن في العمل الجديد مع جهدٍ بسيط وجزالة الأجر. هذا الأجر الذي يغنيها عن اللهاث وراء شهادة جامعية لا توفر لها مورداً إلا ما يسد الرمق»[٢].

لقد جعلوا المرأة سلعة. . وزجوا بها في أمور تافهة وتفننوا بتقطيع جسدها. . بالجملة وبدؤوا بعرضه بالتفصيل وهنا يتساءل الشباب الأسوياء؟؟؟ هل أصبحت المرأة شريكاً خاسراً للرجل.

إننا هنا أمام صورة حديثة للرق في عالمنا الإسلامي ، في مجتمع تحولت فيه المرأة لدمية جميلة يمتلكها الرجل ويكرسها الأغنياء وأصحاب النفوذ للمتعة الجسدية ليس إلا!.

---

(١) الأستاذ محمد التميمي مفتي الأردن (سابقاً).

(٢) سلام خياط (ظاهرة البغاء المبرقع) بحث (الجسد كسلعة) صفحة ١٢٠.

إنهم تعاملوا مع جسد المرأة وتناسوا عقلها. . فاستغلال الجسد بهذه الصورة يمثل اللعنة. . ونذير شؤم يُهدِّد بالزوال والانقراض.

وهو بالتالي من أثقل الهموم التي تواجه المرأة المسلمة وترهقها إن هذا الصراع الذي تعيشه بين ما هو صحيح ليستند إلى القيم الروحية وتعاليم الإسلام. وما هو خطأ ليستمد بقاءه من مفاسد العصر ورواسب حضارته. . لقد تناقلوا عثراتنا «كنقاط ضعف» استغلت كشاهد زور على تخلفنا وبعدها عن القيم فسواء كان المنقول صحيحاً أم لا فإننا نتحمل وزره لأننا وبالفعل بدأنا نتخبط بآثاره كمن يسير في الظلام؟

لقد رتبوا معلومات جاهزة للمتلقي تحدث وبشكل مبطن هذه من الداخل أذكر على سبيل المثال: مفاهيم مغلوطة عن المرأة المسلمة والزواج الإسلامي من خلال «فيلم» بثه التلفزيون الإسرائيلي في أيار من عام ١٩٩٨ بعنوان [أوفياء بالشدة] أحداث الفيلم تدور في لندن مع ثلة شبان قدموا من الباكستان للعمل في لندن وعاشوا في سكن امرأة عاهرة. . والأمر المثير أن معظمهم أقام معها علاقات محرمة جاءها ولد اضطرت «ماري» صاحبة السكن أن تنسبه لكبيرهم ويدعى (شاه) وقبض العلاقة السرية قائمة مع الآخرين.

يأتي ابن أخ الشاه للعمل في لندن ، ولأن وجوده غير قانوني فقد تزوجته ماري دون إعلامه بزواجها من عمه ، اكتشف (شاه) الأمر لكنها أنكرت ذلك. . يأتي الشاب مخموراً لمنزلها فيقوم بقتل عمه. . وهكذا؟

أظنكم توصلتم إلى الغاية التي أراد مخرج الفيلم أن تصل للمشاهد أن المسلمين يعيشون حياة مشاعية دونما حرمة للدين. أرادوا تصوير ما يحدث في منظومة الزواج الإسلامية ولكن داخل وكر للدعارة. مثل آخر من الباكستان من قبيلة ماري البلوخستافية في صحراء الباكستان القصة على لسان «روبيرت بيرسن» يسأل الزوج عن زوجته بالقبيلة فيجيب

الشيخ [. . لقد دفعت أربعة آلاف روبية ثمناً لها ، وعندما أثور عليها وأركلها بحذائي تستأنف عملها» .

ولنسمع رد الزوجة على ما قاله زوجها [أنتم تعلمون ما هي حقوق المرأة هنا . . إن لها الحق أن تأكل الغائط وهذا مافي الأمر كله][1] .

إذاً نتوصل إلى الآتي : كان اختيار الفتاة في الماضي محصوراً بين الأقارب ورؤساء العشائر أو رجال الدين وأحياناً كبار السن من الجدات والعمات والخالات . . ومع تقدم العلم والتقاء الحضارات شذ الناس عن القاعدة وخرجوا عن المألوف باسم الحرية وتحقيق ثنائي ناجح .

ومع ذلك لازلنا نحن المسلمين نختلف عن غيرنا بطقوس الزواج وبكل الحالات نجد الرجال يحكمهم خياران [الزواج والنظرة للمستقبل] .

أما النساء فأمامهن عدد من الخيارات منها :

□ الحصول على زوج كعامل أمان واستقرار لها .

□ قبوله مع هامش من المناورة لكونه عالماً مجهولاً بالنسبة لها .

□ استقبال المرحلة اللاحقة المتمثلة بالأولاد وكيفية تربيتهم .

فمائدة المرأة المسلمة لزوجها مع طاعته أمر طبيعي في حياتها وظاهرة حتمية وموهبة لا تمتلكها كل النساء في باقي المجتمعات فالزوجة غير المؤهَّلة (علماً وخلقاً) تشبه الشاحن الذي يتوقف عمله لمجرد نفاد المدخرة التي تغذيه ، لذا نجد أن القالب العام للمرأة محمول على التوتر وعدم الاطمئنان ، إنه هم يثقل كاهلها لاسيما عند تفكيرها بالقادم من الأيام الذي لا تملك منه شيئاً؟ .

---

(١) اليزابيت جينواي (مكانة المرأة في عالم الرجل) صفحة ١٤١ .

لذا نجدها تتحرك بمساندة الرجل ودعمه ولأنها كذلك فلا نتوقع أنها تتبرم من حصر صلاحية الاختيار بالزوج وهذا لا يلغي بالتأكيد قرارها برفض الرجل أو قبوله.

وأعتقد أننا أجبنا عن التساؤل الذي تطرحه الفتيات:

هل يحق للفتاة أن تسمي خطيبها أو تطلبه بقصد الزواج؟؟.

* * *

قوامة الرجل المسلم

«إنها درجة من درجات القيادة والرئاسة يتصرف فيها
المرؤوس ـ المرأة = بإرادتها واختيارها لأن القيادة
التي للرجل عندما توجب على المرأة المسلمة شيئاً
ما فإنها بالمقابل توجب على الرجل أشياء»

الشيخ محمد عبده

هل صحيح أن المرأة تقبلت قيادة الرجل بمحض إرادتها أم أنها هَمٌّ أثقل كاهلها وأرهقها كباقي الهموم.

بعضهم اعتبرها تبعية تحد من طموحات المرأة وتلغي دورها وهو ما رآه الإمام الباكستاني أبو الأعلى المودودي «إنها تبعية تجعل حرية المرأة وإرادتها أدنى من الرجل» وفي رأي الدكتور عمارة وسط بين الرأيين الشيخ محمد عبده والمودودي يقول الدكتور عمارة [إنها رؤى واجتهادات فيها النظرة المحافظة حتى الجمود أو المغالاة التي تنقص من قدر المرأة»[1].

ولأن المرأة أسلس قيادة من الرجل لبعدها عن العنف ورغبتها في الاستقرار والهدوء لرهافة حسها وعاطفتها الشديدة وهو ما تجسده تصرفاتها كالانفعال والإثارة الجسدية السلبية واستسلامها بشكل طوعي للرجل وطلب حمايته وإنفاقه عليها بحكم قدرته الجسدية والقوامة التي من اختصاصه، هذه العوامل وغيرها شكلت العمود الفقري لقوامة الرجل على زوجته تبعاً للآية ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ﴾[2].

يتفرع عن الآية قاعدتان «الشهادة ورجاحة العقل».

ولأن عواطف النساء أكثر منها للرجال لذا جاءت شهادة امرأتين كشهادة رجل ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ﴾.

فهي تنحاز بشكل غريزي لعواطفها.. أما القاعدة الثانية ـ رجاحة العقل ـ فالمعروف أن المرأة المسلمة تعفىٰ من الفروض والواجبات

---

(١) الدكتور: محمد عمارة [المرأة في الإسلام].

(٢) سورة النساء (٣٤).

كالصلاة عند الطمث ولا تلزم بأدائها. وتعفى من الصوم في حالات الرضاعة والحمل والطمث وتقوم بقضائه فيما بعد؟.

واستناداً لهذه الأمور والأخرى الخاصة بالرجل أجمع علماء الفقه ومنهم الشيخ محمد الغزالي على عدد من الأمور تشكل عامل الحسم في مسألة قوامة الرجل المسلم لزوجته وهي [العقل والعزم والجهاد وكمال الصوم والصلاة والنبوة والخلافة والإمامة والأذان والخطبة والجمعة والشهادة في الحدود والقصاص وتضعيف الميراث][1].

ولأن إمكانات الرجل الجسدية أقوى من المرأة فقد شرعت القوانين واللوائح في جميع دول العالم الأعمال المحظورة على المرأة كالعمل في المناجم ومعامل الصلب والزجاج والدهان والإسفلت والمدابغ والمسالخ وصناعة البلاستيك والكاوتشوك والمقالع والمكاسر وملحقاتها وزاد عليها في المجتمعات الإسلامية منعها من العمل في مصانع المشروبات الكحولية والبارات الليلية ونوادي القمار وبيوت الدعارة ودور السينما!.

وذلك بقصد الحفاظ على جسدها وعفتها بآن معاً.

فالمرأة تطالب بالرجل القوي ورد ذلك بالقرآن الكريم وعلى لسانها ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾[2].

فالحقوق التي للرجل يقابلها واجبات للمرأة.. التي تستمتع بهذا السلوك وكأنه جزء من حقوقها «فغياب المرجعية الإسلامية.. أدى لتراكمات من العادات والتقاليد البعيدة عن الشريعة والذي أدى لتخبط المرأة وتعطيل دورها»[3].

---

(١) الشيخ محمد الغزالي.

(٢) سورة القصص: ٢٦.

(٣) السيدة نوال الفاعوري ـ عضو جمعية العمل الإسلامي في الأردن.

والكاتب عباس محمود العقاد يبين الفروق الجسدية بين الرجل والمرأة والمتمثلة في القدرة الجسدية والعمل الجنسي «.. لأن غلبة الشهوة الجنسية تنتهي بالرجل إلى السيطرة.. وبالمرأة إلى الاستسلام».

فمسألة الإنفاق الواردة في الآية تتضمن:

□ دفع المهر للفتاة الزوجة.

□ والتكفل بمصروف الأسرة حتى لو كانت الزوجة عاملة.

□ نفقة الأولاد ونفقة الزوجة بحالة الطلاق وأجر الرضاعة التي تأخذها المرأة الزوجة حتى لو كانت لا ترغب بالإرضاع وفي دراسات طبية خاصة بعلم النفس والصحة العامة أثبتت أن الذي يتصدر القيادة في المنزل يصاب بارتفاع الدم وزيادة بإفراز الهرمونات الضارة وتشنجات عصبية يومية ناجمة عن ضغوط الحياة اليومية وهمومها.

فعزاء السيدات المسلمات أنهن يتقبلن قيادة الرجل وطاعته بهدوء **والنتيجة**: فإن المرأة المسلمة قد تأقلمت بشكل مرضي مع واقعها باستثناء الهموم التي لحقتها من سلوك الأزواج الشاذين أو من تصرفات بعض الأزواج المكروهة عند المرأة مثل:

□ الهروب من المنزل للمقاهي والأماكن الأخرى أو السفر غير المسوغ.

□ البخل والتهرب من التزاماته المادية ومسؤولياته داخل منزله.

□ الشطط كبناء علاقات عاطفية خارج محيط زوجته «النشوز».

وما عدا ذلك فإن استقلال المرأة عن مجتمعها وقيامها بأدوار فردية تعتمد من خلالها على نفسها هذا السلوك جاء كرد فعل على الوضع الاقتصادي والاجتماعي للمرأة في مجتمعها!.

فالتطور الصناعي في المجتمعات الغربية جعل المرأة تستقل مالياً

واجتماعياً وتعرضت مؤسسة الزواج في أمريكا وبريطانيا إلى هزة لا يمكن احتمالها.

فالزواج الخالي من الحب والعواطف [ما هو إلا مأوى] هكذا وصفته الكاتبة سوزان ميللر. لقد بدأ الإعلام الأمريكي يضلل الشباب بإقناعهم أن عملية الزواج نظام بالٍ لا ضرورة له ، وهم بذلك يحاولون إخراج الزواج من مضمونه الإنساني إن لم نقل تجريده منه.

لقد تحول الزواج في أمريكا من زواج مقدس تحكمه طقوس وقوانين أي قداس خاص إلى زواج عمل «pesnes» إنه جزء من البرغماتية التي لا تستند لمبادىء ونظريات بل مصالح مادية وهو السائد في أمريكا وبريطانيا!.

نعود فنقول إن المرأة بشكل عام تشعر بالمحدودية ـ كجزء منفصل عن الكل ـ وأثناء وجودها في البيت كمديرة منزل تشعر أنها ضئيلة وقليلة بالمقارنة مع النساء الملحقات بسوق العمل إن هذا الإحساس سرعان ما يصيب النساء بالإحباط وينعكس تأثيره على الرجال الذين يعلمون أن المرأة نصف المجتمع (فالإحساس الأوسع انتشاراً بين النساء هو المحدودية بعيداً عن مراكز النشاط وحتى النساء اللواتي يتغلغلن بالسلطة والمعتمدات كنساء لمؤازرة الرجال كسند شكلي بلا دور فإنهن نادراً ما يفعلن ذلك بشكل مباشر إنهن زوجات أو مضيفات أو سيدات استقبال أو ملكات جمال أو نادلات في مطاعم مشهورة وبالسلطة يتحتم عليهن البقاء من خلال غيرهن ، ولأنهن يعملن عبر الآخرين فإنهن غالباً خارج الإحساس بالمسؤولية وهكذا يعملن بحماقة وسطحية.. ويتمتعن بإثارة الفضول هذه المساوىء المنتظرة من النساء الموجودات في السلطة»[1].

---

(١) اليزابيت جينواي ـ المصدر السابق.

إن حاجة المرأة إلى الآخرين ظاهرة طبيعية لكن من غير الطبيعي أن تستمر لإشباع غير شريف.. إننا شاهدنا في تاريخنا حالات كانت فيها المطربة (س) مطربة السلطة والراقصة (جـ) عريفة الحفل الساهر الذي يقدم كالطعم لاستقطاب المسؤولين أو رجال الأعمال وعرفنا وبالتقادم أن العاهرة والمومس تعملان في وضح النهار بإسناد من مسؤولين كبار مهووسين باستثمار المومسات بالكسب غير المشروع..!

لقد بينا الفارق بين الرجل الذي يقدم الدعم والمرأة التي تتلقاه..

إن الكثير من الرجال الشاذين يتهربون من الزواج لخوفهم من الالتزام الذي يحكمه وكذلك النساء.. لقد اصطدمنا بعينات كثيرة لرجال تنصلوا من مسؤولياتهم الزوجية لا بل ودفعوا بزوجاتهم إلى الزنى ومع الزمن تحولت المرأة لما يشبه الفزاعة التي تخيف القادم لسرقة الحفل؟.

«وأصبحت المرأة في بيت زوجها كالأسير ليس لها أن تخرج إلا بإذنه وعليه فإن جزءاً من الوعي الاجتماعي في المجتمع الإسلامي يتجسد في خوف الرجل من منافسة المرأة له»[1].

ورغم مسؤولية الرجال التي لا تحصى في التشريع الإسلامي كالمسؤولية عن الأسرة بحكم القوامة وأداء المهر للزوجة وعدم خلط أحواله بأموال اليتامى حتى لو كانوا أولاده من زوجة أخرى وإذا كان الزوج كافلاً لمال اليتيم فعليه إعادته عند بلوغه سن الرشد وهنا تبرز حالتان:

□ الرجل ميسور فيجب ألاّ يطمع بمال اليتيم أو يأخذ منه شيئاً.

---

(١) أحمد عبد العزيز حسين [المرأة ومكانتها في الإسلام].

□ الرجل فقير فليأكل منه بالمعروف وعليه إحضار الشهود عند إعادة مال اليتيم[1].

يقابل هذا الكم الهائل من الواجبات التي للرجل حقوق لا تحصى بذمته للمرأة كالميراث إذ لا يجوز للزوج أن يرث زوجته بالقوة سواء كان مالها من أهلها أو من زوج آخر حتى لو كان المال من زوجها بالحق بحسب الآية ﴿. . . لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2].

إذاً ما هي الحقوق المفروضة للمرأة المسلمة؟

أ ـ **الحقوق المالية**: المرأة المطلقة حقها المالي مصان ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾[3].

ولها أن تطالب بنفقتها ونفقة أولادها الذين ترعاهم حتى أجر الرضاعة ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[4].

وحتى الفتاة المخطوبة التي لم تدخل الزواج فلها نصف حقها المالي من خطيبها بموجب العقد مالم تسامحه عن طيب خاطر ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾[5].

---

(١) سورة النساء (١٥).
(٢) سورة النساء (١٩).
(٣) سورة النساء (٢٠).
(٤) سورة البقرة (٣٣٢).
(٥) سورة البقرة (٢٣٧).

ففي الميراث للمرأة نصف حصة الذكر لأنها غير مسؤولة عن النفقات ما دامت في بيت الأهل وتصبح نفقاتها المالية على الزوج بعد أن تتزوج. أما موضوع الرضاعة فيرى الأستاذ محمد فريد وجدي [إذا كان الزوج فقيراً فيقوم بالحضانة والرضاعة بنفسه. أما إذا وافقت الزوجة أن تقوم بذلك فلها أجران أجر الرضاعة والحضانة][1].

ومع ذلك فبمقدار ما تأخذ المرأة من حقوق عليها واجبات وليس بالضرورة أن تتساوى الحقوق بالواجبات.

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾.

ب ـ الحقوق الاجتماعية:

□ حقها في السكن الملائم ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ﴾[2].

الواضح من الآية أن السكن يجب أن يحقق الاستقلال والحرية للمرأة كما لا يجوز إخراج الزوجة من بيتها إلا بارتكاب فاحشة كالخيانة الزوجية ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾[3].

* * *

(١) محمد فريد وجدي [الإسلام دين خالد] بحث: حقوق المرأة المسلمة.
(٢) سورة الطلاق: (٦).
(٣) سورة الطلاق: (١).

النشوز

«الناشز من خرجت عن قواعد السلوك القويم
ومنظومة الأسرة بتعاطي الكحول والمخدرات
والدعارة ولعب الميسر أو السفر دون علم
وإذن الزوج ما عدا . . السفر بقصد الالتحاق بعملها» .

الدكتور : عبد الرحمن الصابوني

يقولون: «إنه في بحر كل امرأة أسماك ملونة تموت قبل أن نكتشفها». تلك هي الأمراض النفسية التي تعيش معها وتعطيها من الداخل فمنها ما كان وراثياً ومنها ما كان مكتسباً من البيئة، ولكي نترجم كلامنا إلى واقع يجب أن نحدد تلك الأمراض..؟

□ هناك المرأة المازوخية التي لا تعود لرشدها إلا بضربها وتجريحها.

□ والسادية التي تعتبر الضرب والإهانة جزءاً من حقوقها على الرجل.

□ وتلك النرجسية التي تحب أن يتحدث العالم كله عن مغامراتها.

□ والمرأة الهستيرية التي تتصرف بجنون: تبكي وتضحك بصورة تلقائية دونما سبب. ومع أن النشوز «وسيلة تشهد على كره الزواج والإعراض عنه»[1] كما أقره الطبري وهو [عصيان بدون الإشارة للبعد الجنسي] برأي الكاتب الفرنسي ـ بلاشير. وهو «تمرد النساء برفض طاعة الزواج» بإجماع علماء المسلمين وسواء كان الناشز رجلاً أم امرأة فهو حالة مرضية تستوجب العلاج. حتى تعود منظومة الزواج إلى ما كانت عليه من حب ومودة وإلا فإن الضرب الوارد في الآية قد يكون علاجاً أخيراً لحالة من حالات الشطط التي عددناها والتي تسبق الطلاق؟؟.

يعتقد بعضهم أن عادة «الضرب للنساء» تقتصر فقط على المجتمع الإسلامي. إنه أمر شائع في بلدان العالم أجمع وبمقدمتها دول أوربة وتطور هذا الفعل ليصل إلى قتل المرأة من قبل الزوج أو العكس إما بإطلاق النار أو عن طريق السم؟

لقد تحدث القاضي الفرنسي ـ برنارد روكان ـ عن الأمر المتفشي في المجتمع الفرنسي فقال: «من واجبي كقاضي أن أحمي النساء والأطفال.

---

(١) تفسير الطبري ـ الجزء الثامن ـ الصفحة ٢٩٩.

وقد رأيت النساء يتعرضن للموت من شدة الضرب من قبل أزواجهن. . لذا فإني أرفض فكرة سحب الشكوى».

فالضرب جاء علاجاً لحالة النشوز لا هواية يمارسها الرجل ضد زوجته برغم أن الظاهرة ـ تدل على وضع متأخر حضارياً ـ والنشوز لا يقتصر على النساء بل يشمل الرجال كما جاء بالآية ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.

فبعض الرجال مولع بدخول بيوت الدعارة وترميم صداقات تكون على حساب الزوجة وزيادة في همومها ومعاناتها وهذا ما يحصل مع كثير من الرجال من دول عربية يغادرون بيوتهم للسفر إلى الخارج تاركين زوجاتهم في البيوت أسيرات لأفلام الفيديو؟؟.

فقوة الرجل «ونزواته الفحولية»[1] التي حذر منها سليم مطر تجعلنا نعيد النظر بالحالة التي نتعامل من خلالها المرأة مع الرجل فسواء كان منحها الجنس للعاطفة الكامنة في نفسها بأمل بناء حياة مشتركة مع الزوج والتي دافع عنها القرآن ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2] والهدف الثاني الذي تقوم من خلاله المرأة بمنح الجنس هو للمصلحة الخاصة بعيداً عن هدف الزواج وهو ما حرمه الإسلام وتضيفه في قائمة الزنى أما النوع الأخير الذي تعتقد من خلاله المرأة أن المتعة الجنسية هي مدخل للزواج أو أحد أبوابه المشرعة فهو غير صحيح. . فالتبادلية في تقديم الجنس تختلف باختلاف الهدف منها سواء كان نحو الذات (إشباع جنسي من طرف واحد) أو نحو الثنائي (كعلاقة مشتركة).

---

(١) سليم مطر كامل ـ مجلة الناقد [العدد الأخير ٥/ ٩٩٥ [أفخاذ تقدمية].

(٢) سورة الروم (٥١).

فإنه حالـة من حالات التمزق الداخلي الذي تعيشه المرأة لأن شعورها بالخسارة يختلف تماماً عن شعور الرجل الذي يبـدو منتصراً كما يعتقد؟؟.

هموم المعاشرة.. التوافق بين الثنائي:

نادراً ما ترغب المرأة المسلمة الملتزمة بإشباع جنسي لذاتها إنها وفي جميع الحالات تنطلق من خضوعها لزوجها وطاعته إكراماً للعلاقة الزوجية واستمراراً لعدم هموم الأسرة وتشرد الأولاد؟.

أي إنها ليست كارهة للفعل الجنسي مع زوجها كما يتصور بعضهم أو يظن أبداً!.

إنها على الأقل لازالت تعتقد أن الجنس كحاجة مشتركة يجب أن يشترك بها الثنائي معاً بهدف الإنجاب وبناء أسرة!.

فالعلاقة الزوجية مسألة بغاية التعقيد وبكلمة أدق قد تخضع للخسارة والربح وأحد الزوجين يدفع شيكات دون أرصدة؟.

جميع الأزواج يتظاهرون بالانسجام والتوافق في زواجهم ونادراً ما يتحدثون عن العثرات التي تعترضهم في عش الزوجية.. وإلا كيف عالجت هيلاري كلنتون زوجة الرئيس المريكي «بل كلنتون» مشكلتها مع زوجها والتي استطاعت من خلالها تضميد الجرح النازف الذي فتحته «مونيكا لوينسكي» الموظفة في البيت الأبيض الأمريكي والتي أتت على الأخضر واليابس في حياة زوجها السياسية وسمعته؟.

وهل كان فضل الأميرة [ديانا] هدية تقدم لزوجها المعطوب الأمير تشارلز؟؟.

وهل تنبه الزوج لمعاناة الزوجة التي آثرت التضحية برغباتها الباطنة إكراماً لنرجسية الزوج وأنانيته المفرطة.. لقد تنبه الرسول محمد ﷺ لهذا

الأمر وعالجه من آلاف السنين حينا نصح الرجال قائلاً [لا يقعن أحدكم على زوجته وقوع البهيمة].

إننا ندرك ما خلفه الإفراط والكبت كنقيضين في الطبيعة الإنسانية من مخاطر.. في مرحلة المراهقة تعيش الفتاة المسلمة في بيت الأهل حياة مغلقة تشبه مراكز العناية المشددة.. وبعد وصولها سن الزواج تحاط بأسوار واهية من الوهم لا تستيطع اختراقها بسهولة.. وعند زواجها يتحول هذا الزواج إلى «ليالي رتيبة.. وصباح روتيني.. ونبرات عالية وأسئلة جوفاء مع حديث متكرر يقتله تفاهة الاهتمامات» فالترف الذي تنعم به بعض السيدات سعيدات الحظ يقابله تعاسة لا توصف لنظيراتهن اللواتي لازلن في الصفوف الخلفية ليومنا هذا؟..

وبكلمة أدق إن هم المرأة الناجم عن حاجتها إلى المال ، لم تلغِ الوفرة أو الثراء الذي ابتليت فيه.. بل يصبح الفقر في الكثير من الأوقات علاجاً مفيداً للفقراء من الأمراض النفسية والجسمية الخطيرة التي خلفها حب المال والتشبث فيه. وهو ما عبر عنه الرئيس الأمريكي ـ السابق ـ ريتشارد نيكسون [إن أكبر غضب يحل بالإنسان.. هو تحقيق جميع رغباته][1].

إن المجتمع المادي الاستهلاكي أغرق المرأة بالهموم والمصائب ومع هذا السلوك لابد من المطالبة بسلوك ناضج للمرأة بعيداً عن التطرف وهو ما يمكن تسميته بمواصفات المرأة الصالحة الثابتة والتي وصفها الرسول [بزوجة صالحة إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرَّته ، وإن أقسم عليها أبرته. وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله][2].

فالطاعة الزوجية الواردة في الحديث ليست مطلقة كما يعتقد بعضهم

---

(١) اليزابيت جينواي المصدر السابق.

(٢) رواه ابن ماجه مرفوعاً.

إنها توازن بين «الرفض والإيجاب» وبكلمة أخرى هي تحقيق للآية ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[1].

لقد سألت أم سلمة الرسول ﷺ «إني لم أسمع ذكر الله للنساء في الهجرة من مكة إلى المدينة وكان الحديث فقط عن الرجال».

فجاء الجواب بالآية ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾[2] فغض النظر وحفظ الفرج جاء تذكيراً للرجل والمرأة. . من منطق ترشيد الدوافع الشريرة بالنفس لا إلغائها لأن العمل الجنسي في الإسلام خارج مهمة «العبث وإرواء الغرائز» فغايته التزاوج والتكاثر وإثراء المجتمع والأمة (فالعوامل النفسية الاجتماعية تلعب دوراً في إثارة الشهوة الجنسية والتسامي بها ، وقد تؤدي لانحرافه وشذوذه»[3] فالفشل الجنسي ناجم أولاً وآخراً عن نقص الإرشاد الزواجي وأخطاء في التربية بين الشباب والشابات وتعاني منه الفتيات أكثر من الشباب للعديد من الأسباب نذكر منها **الخجل** الناجم عن التربية في أوساط متزمتة التي تعتبر الحديث في هذا الموضوع من الأمور المحرمة ويؤدي بالتالي لحالة من «عدم التوافق في الزواج» في الطرف الآخر هناك مجتمعات إسلامية أكثر انفتاحاً ووعياً في مناقشة العلاقات الزوجية وحلها هذه المجتمعات تمثل الوسطية بين المحافظة والتحرر؟.

ففي الحالة الأولى (الكبت) نجم عنها انحرافات في السلوك واللجوء ـ شباباً وشابات ـ لمشاهدة الأفلام الإباحية ونتج عنه أنماط منحرفة في السلوك لأن المتلقي لهذه الأفلام يبدأ بالتوحد معها أو تقليدها لاشعورياً لذا جاء العلاج الديني كوسيلة رادعة لمثل هذا السلوك ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١) سورة البقرة (٢٢٨).

(٢) سورة آل عمران (١٩٥).

(٣) د. حامد زهران [المصدر السابق] الصفحة ٣٨.

إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ .

فالخجل وكما يعرف الدكتور: حامد زهران «أبعد للأفكار المخجلة والتي تؤدي للقلق من حيز الشعور إلى اللاشعور فتختفي» .

ويعتبر الدكتور زهران أن «الفشل الجنسي» نتيجة للشعور بالذنب الناجم من الإحساس بالوقوع بالخطأ كدخول تجربة غرامية فاشلة عن طريق الخطأ! .

فعدم التوافق الجنسي يؤدي للفشل الجنسي والعكس الصحيح! . .

□ نقص الثقافة الجنسية مثلاً .

□ حالة البرود الجنسي عند المرأة والتي يقابلها الوهن الجنسي أو العجز عند الرجل .

□ الانحرافات الجنسية وهي من أخطر الهموم لدى الجنسين لكونها سبباً من أسباب انتشار الفساد والرذيلة وتفكك الأسرة مع وقوع الجريمة .

إن أمراضاً خطيرة تقف خلف هذا السلوك المنحرف والذي يقف خلف إعاقة التوافق الزواجي وفشله! . .

وسنعالج الآن مسألة من أكثر المسائل إلحاحاً إنها الشذوذ في العلاقات الجنسية وتأثيره على منظومة الزواج .

* * *

شذوذ العلاقات الزوجية ومنظومة الزواج

﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة البقرة (٢٢٣)]

مع ازدياد التلوث الاجتماعي زاد الحرص على تثقيف المرأة وتطوير نظرتها للزواج.. كل ذلك بقصد حمايتها من الأمراض الخطرة التي منشؤها السلوك الجنسي الشاذ والمحرم مثل مرض «السيدا» والسفلس..

فالشذوذ الجنسي لم يكن وليد عصره بل تناقلته الأجيال منذ الأزل ومن عهد لوط ليومنا هذا لكننا اليوم وفي حياتنا المعاصرة نواجه أشكالاً غريبة من النساء والرجال غير الأسوياء.. فالعاهرة التي تنادي بإبطال الزواج واللجوء لعلاقات غير شريفة هذا النمط من النساء ورد ذكره في القرآن ﴿ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾[1].

فعندما نجد المرأة مطيعة لزوجها حافظة لفرجها ومحافظة على أولادها نجد الأخرى (الظلال) تخون الثقة وتتمرد على زوجها وتجر أولادها في كل مكان.. وتتخذ من الجهلة عشاقاً لها وفجأة تتحول لزوجة فاضلة تتطاول على الرجال من محيطها وتعربد بالشوارع وهكذا «تتكرر حالات الطلاق ، ويزيد عدد الثنائيات ويجد الرجل الذي هرب من عاهرة عاهرة أخرى بانتظاره»[2].

يقابل هذا النوع من النساء «المرأة الساحرة» التي تتلوى كالأفعى تطالب بأمور ومن ثم ترفضها ، إنها مثال للأم التي تخون زوجها وتكره أولادها ، تستدرج عطف الرجال بدموع التماسيح لتفوز عبثاً بالأقوى والأغنى من بينهم!

هذا النوع من النساء كان الاستثناء دوماً وليس القاعدة ورد ذكرهن

---

(١) سورة التحريم (١٠).

(٢) اليزابيت جينواي (مكانة المرأة بعالم الرجل) الصفحة ٣٣٩.

في القرآن كنمط فاسد ينبغي تجنبه إن لم يكن الخوف منه ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾[1].

الكثير من عادات الجماع ليست صحيحة لا بل ليست صحية وهو ما أكده الدكتور: محمد فتحي «إن الجماع قد يكون خطراً على الأم والطفل خلال الثلاثة أشهر الأولى من الحمل وخاصة باليوم التسعين ومفيدة بالثلاثة أشهر الوسطى ولكنها خطر على الأم»[2].

أما الرجال المصابون «بالسفلس» من امرأة أخرى فينصحهم الدكتور فتحي بعدم الاتصال بنسائهم حتى يشفوا. فإصابة الأم بالزهري أو السيلان تسبب لطفلها فقدان البصر إذا لم يتم معالجتها!

هذه الأمراض وغيرها تشكل هاجساً قوياً للمرأة وتضيف لهمومها الأخرى هموماً فالإجهاض الذي يحصل بين الأسبوع الثامن والثاني عشر والناجم عن «شذوذ تركيب البيضة الملقحة ـ عيب في البلازما ـ جلبته الخلية المنوية وقت الإخصاب فتنمو المشيمة (أي السرة) نمواً غير طبيعي لمدة قصيرة ثم تنقطع تماماً عن النمو فتموت البيضة وبعد ثلاثة أسابيع تطرد البيضة الميتة وهذا هو السقط أو الإجهاض».

ومن أسبابه نقص فيتامين (آ) مع أسباب داخلية تتعلق بالمرأة. إنها معاناة للمرأة تندرج تحت بند الهموم. فالنزف والألم المرافق لحالة الإجهاض لا يفوقه ألم.. وكذلك حمى النفاس والتهاب الحوض والثدي والأنيميا (فقر الدم) واللوكيميا (سرطان الدم) وتسمم الحمل واضطراب الطمث وعدم انتظامه والمخاض مع الولادة وموت الأطفال الجنيني الناجم من «نقص oz وتشوه الجنين مع إصابة الأم ببعض الأمراض

---

(١) سورة الأعرف (٨٣).

(٢) الدكتور: محمد فتحي [على عتبة الأمومة] صفحة ١٣٦.

كالسكري والالتهاب الرئوي وانفجار كريات الدم مع فقر الدم المزمن عند المرأة» لقد جرت أبحاث في أمريكا على موت الأطفال الجنيني وتم ربط الأمر بفرشات الإسفنج التي ينام فوقها الأطفال فيموتون خنقاً لنمو فطور على مادة الفرشة الإسفنجية تطلق أبخرة سامة تسبب استهلاك الأكسجين فيموت الطفل خنقاً؟؟.

ألا يكفي هذا لتعزير قوله تعالى ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾.

مما سبق وجدنا في القرآن تحذيراً للرجل وتنبيهاً له بعدم الاقتراب من النساء في مجالات كثيرة بعضها معروف والآخر تَمَّ كشفه من قبل الأطباء وعلماء الفقه كاللواطة وعند المحيض ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1].

أين تقف المرأة المسلمة حصراً من هذا السلوك الشاذ والعلاقات المحرمة وكما تقول الكاتبة وداد سكاكيني في ـ العاشقة المتصوفة رابعة العدوية ـ «في الدنيا متعسفون ومنحرفون تمرسوا في الخطايا ثم انقلبوا مستغفرين تائبين.. وكم تراقص الشيطان وتلعب بين أعين ناسكين زاهدين».

لقد قرأت في صحيفة المحرر العدد/ ٢٥٠/ أيلول لعام ٢٠٠٠ عن راقصة تائبة تدعى (هندية) تصوم وتصلي في النهار وترقص في الليل إنها من مصر تقول «أعمالي السابقة لا تسبب لي أي ضيق ، لكني نادمة على كل وقت ضاع من عمري ولم أكن فيه مع الله ، والذي يريحني نفسياً أن الدين الإسلامي دين يسر لا دين عسر»[2].

---

(١) سورة البقرة: (٢٢٢).

(٢) محمد فاعور (مجلة العلوم الاجتماعية ـ الكويت) مجلد ١٨/ ١٩٩٠ ـ بيروت.

لقد سبق الشابة هندية عدد من المطربات والفنانات أمثال:

شادية وسهير البابلي وسهير رمزي وياسمين الخيام وشهيرة.. هذا الحشد من النساء كثيرات غيرهن اختار الوقوف بعيداً عن تلك الأجواء والتي ربما قد توقعهن بالخطأ، فالكثير من المتزوجين لفنانات يقبلون أو يتقبلون عمل زوجاتهم الفني كالغزل المكشوف على الشاشة «بحكم متطلبات العمل الفني الذي يجبر الفنانة على تجسيد شخصية زوجة عاشقة أمام رجل غير زوجها وكذلك يضطر الفنان إلى احتضان امرأة غير زوجته ليبثها مشاعر الحب».

هكذا رأى محمد عبد العزيز ـ القاهرة ـ لكن ذلك لا ينسحب على جميع الفنانين والفنانات «لمياء الجداوي» مثلاً وزوجها الفنان أشرف سيف من الفنانين الغيورين الذين لا يسمحون أن يقوم الواحد منهما بهذا الدور أو ذاك أمام كاميرات التلفزة أو الشاشة، وكانت الغيرة الشديدة أو كادت أن تعصف بزواجهما لأكثر من مرة لولا تجملهما بالصبر والإيمان.

وعموماً قد يقبل البعض السلوك الشاذ على أنه قدره فاختيارهم للسلبية الجسدية جعلهم معزولين عن مجتمعهم الطبيعي وينظر إليهم بعد ذلك على أنهم خارجون عن المألوف وهم يعلمون ذلك ويعونه جيداً. إنهم بصريح العبارة «نشاز» عصرهم الذي تكلمنا عنه وعنهم في بحثٍ سابق.

فالإقرار يحب المال والاندفاع لاقتنائه وحب الشهوات والشبق إليه أشار إليهما القرآن الكريم مع ما تحملهما من آثام وشرور برغم أنهما يشدان المرء للخروج عن الإيمان بالقيم ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾[1].

فيجب أن نفرق إذاً بين السلوك القويم وذاك الشاذ والمنحرف.

---

(١) آل عمران: (١٤).

□ بين الشاب الجاد الملتزم وذاك المتحلل غير المنضبط.

□ بين التجربة بقصد التعليم وبين الخطأ في التجربة.

□ بين الخجل من الجنس وبين الإخفاق الجنسي فالأولى سلوك ناجم عن عقبات من الواجب تذليلها والثانية أمراض يجب علاجها «فالإخفاق الجنسي لا يجعل المرء غريباً عن شريكه والثقافة مع القيم السائدة فحسب، ولكن يجعله غريباً عن جسده هو وهذا يمكن أن يعمق الشق الداخلي الذي يصعب التئامه أو تضميده»[1].

فالإخفاق الجنسي بصريح العبارة هو الفشل بالوصول للرعشة بالنسبة للجنسين ويؤدي في أحيان كثيرة لعدم التوافق الزوجي بين الثنائي وقد ينتهي بالطلاق لذا طالب الله عز وجل الرجال بمعاشرة النساء من منطق أن الرجل أقوى بتقريب المرأة منه ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

فإذا كان الإخفاق من نصيب الرجل فالمعاناة ستكون من نصيب المرأة لحسها المرهف وشفافيتها الزائدة. لذا نجد المرأة بحالات الهجر في الفراش تتساءل:

ماذا أصابني؟ هل زال سلاحي الأنثوي فصرت أقل إثارة وجذباً للرجل؟ إنه مطابق تماماً لهمومها عند نشوزها.. وهو السر الكامن خلف أهمية علاج هجر الزوجة في الفراش قبل الوعظ لعلاج حالة النشوز أو الخروج عن طاعة الزوج وهو الحد الفاصل بين الخطأ صعب العلاج والآخر الذي يمكن التنازل عنده والرجوع إلى الصواب.

□ لماذا يخفق الزواج: إن خلفيات عدم التوافق كثيرة.. فالشاب الذي يجتمع بالفتاة قبل زواجه منها يقدم لها أجمل ما عنده ولو أن هذا التصرف خاص بالشباب لأن الفتاة تفضل دائماً الصمت لمعرفة الغامض

---

(١) اليزابيت جينواي (مكانة المرأة بعالم الرجل) الصفحة ٤٧٥.

من حياة شريكها لأن الشباب وكما وصفهم شكسبير «لا يعرفون الاستقرار فقدم في البحر وأخرى على الشاطىء» وفي فترة الخطوبة يأتي دور الفتاة لتقديم نفسها وعرض بضاعتها كفتاة عصرية من طراز حديث ولأن مشاعرها مذبذبة فالأحاديث لا تعدو أن تكون «ثرثرة فوق النيل»؟

وبعد إنجاز الزواج وقضاء شهر العسل يبدأ الثنائي بنشر غسيله الوسخ أمام الأهل والجيران. . هنا يبدأ مشوار الحياة وليس قبله فالمشكلات المكبوتة قبل الزواج تنفجر كالقنبلة الموقوتة التي لا نعرف متى تثور؟ . .

سأذكر رواية تقرب إلينا ما كان نائياً. . في إحدى ليالي ما نشتهر بأمريكا جاء قزم حزين لعيادة دكتور نفسي وسأله الطبيب إذا كان مريضاً.

فأجاب القزم نعم يا دكتور: إن مرضي قاتل فأنا خائف من العالم الذي حولي وأعصابي منهكة لا أجد السرور في أي مكان أزوره فإذا لم تساعدني فسأنتحر!

فأجابه الطبيب: يلزمك أن تسلي نفسك بالضحك والمرح لتنسى معاناتك.

فقال القزم: وكيف العمل؟

فأجاب الطبيب: اذهب إلى السيرك وشاهد المهرج «غريملدي» فإنك ستنسى همومك صدقني.

فما كان من القزم إلا أن قال: ولكن أنا [غريملدي] نفسه.

فضحك الطبيب وكأنه لم يصدق ما سمعه؟.

فهموم الإنسان لا يعرفها سوى صاحبها أو كما يقولون «البيوت أسرار» فالبوح بمكنونات النفس من أصعب الأمور التي تواجهنا. كثير من الشباب يرغبون بارتداء ألبسة النساء الداخلية ويفتنون بجسدهم ومع ذلك لا يرغبون بفعله أمام صديقاتهم أو زوجاتهم لأن فيه كشف شذوذهم؟

والكثير يكره التعري أمام زوجته وبالتالي لا يريدها أن تفعل ذلك وهو ما يفسره الدكتور: حنا خوري «صراع بين المثل العليا والدافع الجنسي بين غرائز الفرد وضوابط المجتمع يجعله بحالة من الصراع الدائم مما يجعله يكره التعري.. لكنها تزول بالتقادم».

والأغرب من ذلك أن بعض الشباب يكرهون ممارسة الجنس مع زوجاتهم مع تمتعهن بقسط وافر من الجمال ويعود السبب إلى صدمات لدى الزوج قد تكون ناجمة من وجود الأولاد. أو زواج الأقارب ، أو تأثره العميق بعشيقة سابقة لزوجته.

ما نريد قوله: إن جهل الرجل بأعضائه التناسلية مع جهله بوظائفها يدفعه إلى فشل الانسجام أو عدم التوافق الزواجي.. وإذا ما تطور ذلك فسيعود إلى اليأس فالطلاق؟

فسرعة القذف عند الرجل ناجمة عن ذاك الجهل إن لم تكن حالة مرضية تستوجب العلاج وكذلك حساسية العضو عند المعاشرة والتي يعقب عليها الدكتور: سامي قباني في مجلة طبيبك فيقول:

«اللذة التي تتوافق مع المعاشرة مزيج من المتعة النفسية والجسدية وليست متعلقة بالأعصاب.. لذلك ننصح بتحسين علاقة الرجل مع زوجته».

وضعف الانتصاب ناجم عن عوامل نفسية سببها الخوف من العمل الجنسي وعدم الثقة بالنفس نتيجة علاقة فاشلة أو شذوذ جنسي عند الرجل؟

ويؤكد الدكتور: **ماسترو وجونسون** في كتابهما [الشفاء من الضعف الجنسي] أن «السفر الطويل والغياب المتكرر للرجل عن بيته وأحياناً المرض يؤدي لخلل في إفراز غدة البروستات ويعالج ببرنامج الرياضة الجنسية وينصح بعدم إجبار النفس على العمل الجنسي واللجوء للمعاشرة

التي تسبق العمل الجنسي كجزء من برنامج الرياضة الجنسية ، ونحن نقول كجزء من المقبلات التي تسبق الطعام هناك حالة الشبق الجنسي وهي حالة معاكسة للحالة الأولى مع حالة الانتصاب التلقائي وتزولان بعد الزواج؟؟؟

إننا هنا أمام الحديث عن هموم المرأة المسلمة التي تسبب أرقاً وسهراً وهماً يقلق حياتها من تلك الحالات التي تخص المرأة:

- ☐ صغر الثديين.
- ☐ حالات النزيف المتكرر.
- ☐ عدم انتظام دورة الطمث.
- ☐ عدم التوافق باللذة الجنسية مع الرجل (الرعشة).
- ☐ البرود الجنسي وبخاصة بعد المولود الأول.
- ☐ طلبات الزوج المتكررة والتي لا تتزامن مع استعدادها العاطفي والجسدي!
- ☐ حالات الولادة والنفاس.
- ☐ وأخيراً وليس آخراً سن اليأس والأمراض التناسلية بشكل عام.

بقي أن نشير لعدد من المواضيع التي تفسد الزواج وتسبب إرباكاً في استمراره منها:

- ☐ الغطيط أو الشخير.
- ☐ أمراض القلب عند الرجل المتزوج.
- ☐ تجسس المرأة على زوجها.
- ☐ ظن الرجل السيىء بتصرفات وسلوك زوجته من دون مسوغ.

قد لا يصدق بعضنا أهمية ما ذكرناه أو يستغرب دون أن يعلموا. .

«أن من أكثر الأمور رسوخاً بالعقل تلك الأشياء التي لا يصدقها العقل».

في العام ١٩٩٦ أوفدت إلى مصر مع قلة من الزملاء في دورة حساب منظمة ايكاردا ICARDA ونزلنا فندق «كونكورد» بالقاهرة.. وكان توزيعنا ضمن الغرف من قبل إدارة الفندق ولا رأي لنا فيه ـ شخصان لكل غرفة ولم أعلم أن زميلي الذي كان معي في الغرفة سيسبب لي قلقاً من جراء الشخير.. كانت تخرج منه أصوات غير متناسقة شعرت أنها أقلقت نزلاء الفندق جميعهم.

وفي اليوم الثاني شرحت الأمر لمدير الفندق وذكرته أنني من الناس الذين يقلقون في نومهم لمرور «صرصور» تحت سريري وضحك ولبى طلبي ونقلني لغرفة أخرى بقيت فيها وحدي لنهاية الدورة.

لكني سأشير لأسباب الشخير أو الغطيط من الوجهة الطبية وكما شرحها الدكتور: زاهر سلامة «عند زيادة الضغط على القلب ينخفض مستوى الأكسجين بمقدار ٦٠٪ مقارنة مع العاديين أي OZ عن القلب لست ثوان الأمر له علاقة بالتهاب اللوز والزوائد الأنفية والجيوب وجميعها تحتاج لعمل جراحي».

فالامتناع عن تناول الطعام قبل النوم وعدم تعاطي المشروبات الكحولية والنوم على الجانب الأيمن مع رفع المخدة قليلاً.. ويفيد السير قبل النوم بالإقلال من ظاهرة الشخير إن لم نقل علاجها.

الزواج وأمراض القلب:

بما أن مرض القلب يصيب الرجال أكثر من النساء نجد الرجل يحصر تفكيره بالجنس ويقول الدكتور: مصطفى ماهر عطري «يستحسن أن تكون فترة الاتصال الجنسي عند مرضى القلب في الصباح الباكر بعد نوم عميق وذلك لتخفيف الضغط النفسي والعصبي...».

□ بقي أن نشير إلى أن تصلب الشرايين يؤثر سلبياً في الأداء الجنسي.

□ وأن إزالة البروستات عند الرجل تؤدي للضعف الجنسي.

□ ويلعب مرض السكري دوره بإضعاف العمل الجنسي.

أما البرود الجنسي عند المرأة فله أسباب نفسية وجسدية مثل:

□ القلق والاكتئاب واضطراب دورة الطمث وسن اليأس فوق الأربعين.

تجسس المرأة على زوجها:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

تلجأ المرأة للتجسس على زوجها لشكوكها في تصرفاته وقد تصبح عادة لا يمكن الإقلاع عنها. إذ تلجأ لفتح رسائل الزوج أو تقليب ألبوماته بحثاً عن ماضٍ له مع قراءة الأجندة الخاصة بالمواعيد مع مراجعة فهرس هواتفه ونسيت الزوجة «أن من تذكر الماضي فقد لذة المستقبل» فالثقة إذا لم تتعزز بالسر لا يمكن تعزيزها بالعلن فالظنون ليست جميعها صحيحة ولو صدق بعضها ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]. صحيح أن علاقات الزوج خارج بيته تشكل هاجساً مقلقاً للزوجة لكنها لا تؤخذ كأساس علمي يمكن الاعتماد عليه؟

وكذلك حالات تجسس الزوج على زوجته لا تستند هي الأخرى لتسويغ ما دامت خارج حدود النشوز أو الشطط. فمسألة الضرب للمرأة شكلت ضجة عالمية للذين لم يفهموا دواعي هذا الفعل.. ومع ذلك نجد أن المجتمع الأمريكي والغربي ربما لا يسمح بضرب المرأة كإجراء قانوني ومع ذلك يسمح بقتلها بالرصاص.. فلو حدث الضرب فإن للزوجة الحق بحسب القانون بالحصول على كل شيء يخص الزوج كالممتلكات

والمنزل ونفقة الزواج بعد أن تزج بزوجها في السجن!.

لذا كان من حق الزوجة أن تضرب زوجها لأنها تعلم أنه لا يستطيع أن يدافع عن نفسه ويفضل الهروب من بيته خوفاً من الإدانة والمشاهد للفيلم الأمريكي [إغواء الجنون] من بطولة «آن مرغريت» يكتشف ما كنا نقصده.. فالمرأة تتزوج من رجل له أولاد من زوجته المتوفاة وتحاول تحريض الأولاد على والدهم.. وتقوم بالنهاية باستئجار قاتل اتخذت منه عشيقاً تخون زوجها معه!.

وفي اليوم الذي يسبق الجريمة تقوم بضربه وتهرع للشرطة لإبلاغهم أنه اعتدى عليها بالضرب بعد أن جرحت ذراعها عمداً.. وعند حضور الشرطة تقترب من زوجها الذي حاول إقناعهم عبثاً.. تقترب من زوجها وتضمه وهي تقبله وتلتفت إليهم لتقول أن الشكوى لم يعد لها ما يسوِّغها.

وفي اليوم التالي يتم قتله أمام منزله بفعل الشاب المأجور. إننا هنا أمام إسقاط إثم من صنع المرأة.. وقانون أشبه بقانون «قراقوش» في الحقبة التي حكم فيها العثمانيون.

في حين أن مسألة الضرب في المجتمع الإسلامي لم تستخدم إلا لفئة واحدة من النساء التي شذت عن قواعد الزواج واختارت التمرد على زوجها ومع ذلك طولب الزوج بتطبيق علاجين لظاهرة النشوز:

الوعظ. والهجر في الفراش.

وإن لم يفلح أو تفلح هاتان الطريقتان بإعادتها لصوابها تضرب كإجراء قبل طلاقها.. المسألة الثانية التي أخذت ضجة في المجتمعات الأوربية هي قوامة الرجل المسلم على زوجته بحكم الإنفاق والقدرة الجسدية أو الفوارق الفسيولوجية؟.

لقد تم استجواب عدد هائل من النساء الأمريكيات ووجهت إليهن الأسئلة التالية:

□ هل تقبل الزوجة أن يتكفل زوجها الإنفاق الكامل عليها؟

□ أم تفضل مبادلة الأدوار.

□ أم تجعل الإنفاق مناصفة مع زوجها، وكان الاستفتاء ٨٩٪ من النساء يفضلن أن يقوم الزوج بكامل النفقات.

٢٥٪ فضل المناصفة مع الزوج.

٧٪ فضلن قلب الأدوار.

وحتى لو تم الاستفتاء في مجتمع إسلامي فإن النتيجة واحدة.

ومع ذلك فإن المرأة تقع في تقصير (عفوي) لا تستطيع تطويقه أو محاصرته فالهموم أضحت جزءاً من حياتها في (العمل).. مع الزوج والجيران مع الأهل وكذلك مع أطفالها.. يبكي الطفل فتبكي لبكائه لجهلها بالأسباب ويتذمر الزوج الذي قد يأتي متعباً لكنها لا تستطيع إرضاءه.. الإحساس بالذنب لذنب لم تقترفه.. ذاك الإحساس الذي يشعرها بالتقصير.. «فعجزها عن المبادرة يقعدها عن الفعل ويبقيها في حدود رد الفعل السلبي».

بعض الرجال يقوم بمساعدة زوجته لمعرفته الكاملة بدورها كأم.. وبعضهم الآخر لا يتفهم دورها وقد لا يفهمه أصلاً إذا كان جاهلاً فيقوم بتوبيخ زوجته وتحميلها أكثر مما تحتمل، فجهل الزوج بهموم زوجته يجعله عاجزاً عن إنقاذها ومساعدتها.

إن المرأة مهما كانت قادرة على ابتلاع همومها فهي تحتاج لمساعدة الرجل مساعدة زوجها أولاً ودعماً معنوياً من أهل الزوج وأهلها بالذات، وقد تحتاج لمساعدة الطبيب، وقبل كل شيء على المرأة المسلمة تقوية إيمانها والتجمل بالصبر لتعلم أن الفشل يكون أكثر فائدة من تعليم النجاح.. فالزوجة العاجزة عن إغواء زوجها وجذبه إليها كما تجذب

الزهور الفراشات ستفشل حتماً في الاحتفاظ فيه أو المحافظة عليه ، ومع أهمية سلاحها الأنثوي لدى الزوج وإهمال نفسها وزوجها فإن عليها أن تتوقع منه كل شيء؟؟ .

إن زوجات كثيرات خسرن الزوج لأن بدايات الزواج كانت لقرض مادي فالمرأة التي تفكر بالرجل لماله وتذكره كلما حدث مكروه بمكنوناتها قد يصل نتيجة مفادها أنه يعيش مع خادمة لا زوجة ، وسيدفعه سلوكها مع الزمن إلى اختلاق أساليب من شأنها أن تعفيه من التزاماته المادية حتى لو أدى ذلك إلى الهجر بدافع التعجيز أو السفر بدافع إكراهها وجعلها تتنازل عن كل ما تم إبرامه .

تعـدد الـزيجـات

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ [سورة النساء (الآية ٣)]

□ إبان الثورة البلشفية طالب الحزب الشيوعي بأن يكون الجنس كشرب الماء أي تقوم المرأة بمنحه هكذا بلا مقابل من دون هدف. . وفي المجتمع الرأسمالي أخذ الجنس طابع الصفقات التجارية بين البائع (المرأة) والشاري (الرجل) فإذا قدم البائع سلعته رخيصة فإنها ستشكل فائضاً عن الطلب لا يجد من يشتريه والذي يقود لإفلاس المرأة في عالم القيم. . فالرغبة هنا هي التي تحسم عملية المساومة؟.

وفي مجتمعات إسلامية مختلفة عُرضت المرأة بالمزاد العلني وبيعت كالرقيق أي امتلاك المرأة والفوز بها يخضع للمنافسة لا بل لمن يدفع نقداً. لنكن صادقين أكثر من الواقع فالمرأة المسلمة في ظروف عديدة وليومنا هذا كانت عشيقة أو خليلة ولأنها ترفض ذلك فقد تتحول لضحية أو طعم رخيص من تدبير الرجل؟

ولأن الرجال كما يقولون «عند حاجتهم نساء» فيجب أن تتحول العاشقة الرافضة بالمصادفة كزوجة ، نساء كثيرات كانت فيها الشريحة من النساء كغصن الصفصاف الذي إن لامسته الريح انحنى ومال ولكنه سرعان ما ينتصب بعد زوالها!

هنا تتحول الطاعة تبعاً لقاعدة «قوامة الرجل» إلى إرضاء للزوج لا حبّاً له وذلك إرضاءً للأولاد وبقصد الحرص عليهم وهنا فقط نقول إن المرأة منحت الجنس لزوجها مكرهة لا عن رغبة.. لكن الزوج العاقل الذي يمتلك الحاسة السادسة سيدرك على الفور إن لم نقل متأخراً أنه يحتضن أفعىٰ... ويعاشر ثعلباً، ويترك خلفه بخروجه من البيت حرباء بألف وجه ولون؟

إنها والأمر كذلك يشكل اللغز الذي لا يمكن فهمه.. وفي عنفوان المضاجعة تفرط من شدة الضحك وأحياناً من شدة البكاء، صدقوني هذا ما يحصل فالعاطفة لا يمكن أن تكون نقية إلا إذا كانت «صادقة وصادرة بشكل طوعي» إنكم سمعتم بالرجال من ضعاف النفوس يقدمون هدايا ثمينة لزوجاتهم وأحياناً لعشيقاتهم ثمناً لدخولهن في الفراش!! فأكبر سلاح تمتلكه المرأة ضد الرجل هو ذاك الذي سلمها إياه والذي يشكل نقطة الضعف التي تتعامل معه من خلالها.

إنه ذاك الفعل المخجل الذي ترفضه الزوجة المسلمة الصالحة حتماً هذا الابتزاز تقوم به نسوة خضعن لدورات تدريبية باحتراف الرذيلة وممارسة الدعارة بشتى الوسائل.

كثير من الرجال باعوا مزارعهم.. وسحبوا أرصدتهم.. وآخرون طلقوا زوجاتهم وتبرؤوا من أولادهم للبقاء بجوار هذا الصنف الرخيص لذا كان الثمن الرجل بكامله «فتبدل النفوس أمر طبيعي فما ولد أحد وظل على شأنه الأول حتى الممات. فالحياة كالأرض فيها سهول وجبال وفيها أودية وقمم تعلو بنا وتهبط ولا يدري امرؤ ما هو المصير أو ما يُخبَّأ له»[1].

---

(١) وداد سكاكيني [العاشقة المتصوفة ـ رابعة العدوية].

ولأن المرأة هي المانحة للجنس والمانعة له بآن معاً ، ندرك أنها التي تلهم الرجل وتمنعه من الإلهام. فقد يكون عطاؤها ناقصاً عندما يكون سلوكها شاذاً والعكس عندما تكون زوجة صالحة؟

وهنا نجد أنفسنا أمام ثلاثة أنماط من سلوك المرأة إن لم نقل ثلاث وسائل لمنح الجنس هي:

□ الحالة التي تقدم فيها الجنس بلا هدف (الزنى).

□ والحالة التي تقدم من خلالها الجنس للحصول على المال (المتعة).

□ وحالة النكاح الدائم الذي بموجبه تقدم الجنس ثمناً للزواج الناجح وإنجاب الأولاد في أسرة ناجحة تستمتع في بنائها بنفسها ومن خلالها.

وبالحالات السابقة فإن المجتمع يطالب بتضييق الحصار على تلك العينات الفاخرة «كالحفار» الذي يعمل على تشكيل أنفاقه داخل جذوع الأشجار الباسقة القوية لإسقاطها.

فالشكل الشاذ للمرأة مرفوض كنموذج في (علائق الزواج) فهل يصح أن يتنازل الفرد عن سلاحه الذي يمتلك لشخص آخر ليقتله فيه إنه «كمن يضع بيضه كله بسلةٍ واحدة»[1].

إذا كان الرجال كذلك.. يخافون من غموض المرأة ونشوزها إذا كان ذلك صحيحاً لِمَ لا نصدق ما أقره الخالق لنا وأن ﴿وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾.

إن العداء للإسلام ونظامه يهب مع الرياح كالسموم التي تقتل الأخضر واليابس في هذا النظام.. وإذا كان هذا ما يحصل فَلِمَ لا يكون:

---

(١) اليزابيت جينواي (المصدر السابق) صفحة ٣٤١.

□ الإجماع على وحدة الأمة أهم من الخلاف على لباس المرأة.

□ والتفريق بين المقدس والمدنس أولى من الخلط فيه.

لماذا تُعامل النساء في الحب معاملة (البغايا) وفي الزواج معاملة (الخدم) ومع ذلك نطالب نساءنا بالمكوث بالبيت والوفاء للرجل ؟!.

ما هي إذاً موجبات تعدد الزيجات؟

إن قلة من الرجال الميسورين قادرون على الزواج بأكثر من امرأة.. ومع ذلك وليومنا هذا لا زال الرجال المزواجين ـ وجلهم من الأثرياء ـ هم الأكثر نفوذاً وقوة في مجتمعهم ، لقد فهم الكثير من الرجال أن الزواج المتكرر يشبه لحد ما امتلاك مفتاح واحد لعدد من الشقق السكنية.

وفهمه آخرون على أنه «اجتماع عشيقين في فراش واحد» وصنفه رجال الأعمال وأصحاب الامتياز والنفوذ في مجتمعنا الإسلامي بأنه «شركة تخضع للخسائر والأرباح ويجب أن تكون المرأة خاسرة دوماً» لقد تبارى بعض الناس باقتناء الزوجات للمتعة فقط لا أكثر ولا أقل وتنافس المهووسون جنسياً على اصطحاب الجميلات لأماكن يقمن من خلالها بعرض الجسد بالجملة والتفصيل «مسابقات ملكات الجمال». وقلد الكثيرون للحاجة أو للبطر اقتناء الخدم والخادمات واستقدامهم من كل دول العالم الأكثر فقراً للتلذذ والاستمتاع بمعاناتهم ومحنتهم غير المرئية لكونها تعيش بالنفس البشرية ولا تطفو على السطح.

«فوجود الخدم في المنزل سبب خطراً على الفتيان والفتيات ضمن البيت الواحد»[1].

ولأننا سنتعرض لظاهرة الخدم في بحث مستقل نستعرض الآن موجبات الزواج بأكثر من واحدة:

---

(١) محمود شاكر (مفاهيم إسلامية) الفيصل ١٢/ ٩٨٧.

١ ـ الخوف من ضياع الأولاد وتشردهم بوفاة الزوجة الأم.

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾.

٢ ـ حالة خيانة الزوجة لزوجها.

﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ﴾.

٣ ـ حالة مرض المرأة الميؤوس من شفائه.

٤ ـ حالة المرأة العاقر.

الكثير من دول العالم تنبه للتعديات التي تحصل باسم تعدد الزيجات فقاموا بوضع لوائح ودساتير لتنظيم هذه العلاقة حفاظاً على كرامة المرأة ورفع الظلم عنها فقانون الأحوال الشخصية في المغرب المادة الثلاثون منه مع تعديلاته لعام ١٩٩٣ حدد شروطاً لزواج الرجل على زوجته منها:

□ إشعار الزوجة الأولى برغبة الرجل بالزواج خوفاً من المفاجئة.

□ للزوجة أن تشترط على زوجها بعدم الزواج عليها وإلا كان العقد لاغياً.

□ عند توقع الزوجة (الأولى أو الثانية) الضرر الذي قد ينالها ترفع دعوة للقضاء للبت بالزواج والقيام بوقفه!

فالإرباكات الواقعة في المجتمع الإسلامي قد تكون المرأة سبباً فيها والتي شكلت ردود فعل سلبية لدى الرجل على دور المرأة السلبي وتعاملها مع الرجل «فالمرأة العربية تعيش في ظل منظومة قديمة تنطلق من أن المرأة موضوع وليست ذاتاً. فهي موضوع للجنس أو الزواج أو

الإنجاب للأولاد.. وهي مع ذلك لا تملك أي قرار يتعلق بحياتها»[1].

وقد اعتبرها الشيخ محمد الغزالي في (آداب النكاح من الإحياء) نوعاً من الرق «فهي رفيقة للزوج وعليها طاعته بشكل مطلق»[2] وتعلق الكاتبة اللبنانية (مي الصايغ) على الظلم الذي لحق بالرجل وألحق به برودة للمرأة كرد فعل فتقول:

«ليس للمرأة مكانة أو هيبة داخل الأسرة إلا إذا تقدمت بها السن وتراجع دورها الجنسي وفقدت سحرها الأنثوي عند ذلك يصبح لها احترامها ونفوذها ذلك الدور الذي ليس في النهاية إلا مواصلة لسلطة الرجل القمعية».

إذاً نحن أمام ظاهرة يقوم من خلالها بعض الرجال وليس الجميع بهواية جمع النساء، في حين تخضع النساء لضوابط وقيود بعض منها الرجل.

«إن خوف الرجل من المرأة يأتي من كونه رآها لأول مرة كأم صانعة الرجال»[3].

أي أن دوافع زواج الرجل من أخرى لا تبقى دائماً على هدف أو تستند لقاعدة من تلك القواعد التي ذكرناها في موجبات الزواج من أخرى أي (تعدد الزيجات) بل قد تكون نزوة عابرة أو إعجاب وقتي سرعان ما يبرد أو يزول.

وهكذا نقرأ عن النساء أو نصطدم بهن على أرض الواقع أنهن كن السبب في تهور الرجال والإيقاع بهم عن قصد الرجال الذين أعطوا هذا

---

(١) د. بدرية عبد الله العوطي (المرأة في قانون الأحوال الشخصية). دراسة مقارنة ـ الكويت.

(٢) الشيخ محمد الغزالي (آداب النكاح من الإحياء).

(٣) مدكرات أنيس نون.

الصنف من النساء أكثر مما يستحق والذي أثار استغراب الكثير من الكتاب والأدباء الواقعيين أمثال: فاضل عزاوي «إنني أستغرب من أولئك الذين يسفحون عواطفهم الهائجة ودموعهم الساخنة على الورق عند تذكر حبيبات قلوبهم. إن مثل هذا الحب لا يدل فقط على حالة مرضية في علاقة الرجل بالمرأة.. وإنما لسذاجة الشاعر والكاتب الذي يحول المرأة إلى كائن خرافي لا علاقة له بالمرأة الحقيقية»[1].

وحتى نقترب أكثر من هذا التعليق.. سأروي هنا واقعة زواج حقيقية حصلت بين نقيضين. امرأة تحمل إجازة عامة في الآداب ـ قسم اللغة الفرنسية ـ تعلقت بشاب لم يكمل تعليمه الابتدائي وتكبره بعشر سنوات، لكنه عاجز عن تنسيق ملابسه وتعترف بذكرياتها الحميمة من عشيقها السابق قبل ارتباطها بهذا [النيص][2] وعندما سألتها عن أسباب هذا الزواج الفلكلوري، أجابت: كنت أحب رجلاً مثقفاً ومتعلماً يبادلني الحب والمشاعر..؟

لكنه هجرني وتزوج من غيري.

وتستطرد تقول: وحتى لا يفوتني قطار الزواج.. لجأت بل قبلت بهذا الزواج غير المتكافىء. إن ما قالته هذه المرأة جزء من الواقع فالكثير من حالات مشابهة تتكرر مع رجال وقعوا أسرى لنساء أميات وكان انسحابهم من هذا الزواج بمنتهى الصعوبة. ولأن مواصفات «العواطف تتعارض مع مواصفات العقول» تقع المرأة المسلمة ضحية زواج سابق لأوانه تدفع من خلاله زهرة شبابها.

---

(١) فاضل غداوي (عزيزتي شهرزاد كفي عن تسلية الملوك).

(٢) النيص حيوان من فصيلة القنافذ، له رائحة كريهة ويحمل على ظهره أشواكاً يدافع بها عن نفسه يكثر بوادي اليرموك.

والخلاصة: بالرجوع للآية (٢٥) من سورة النساء نكتشف أن الإسلام أراد العلاقة بين الثنائي أن تحصل بعلم الأهل ولأجل تحقيق الزواج الخاضع لشروط يجب الوفاء بها من قبل الزوج كالمهر وعدم ارتكاب الفاحشة بغياب الزواج وإلا ستكون العلاقة عابرة وقتية إن لم تكن نزوة.

فالكثير من التصرفات التي تقوم بها بعض النساء لازالت تقلق الرجال وتثير نزقهم وفضولهم باكتشاف الدوافع الكامنة خلف هذا السلوك الغريب الذي تلجأ إليه بعض النساء نذكر على سبيل المثال[1]:

- ☐ الإيقاع بأصدقاء الزوج.
- ☐ صراعات مفتعلة مع الحيران بسبب أو من دونه.
- ☐ سياسة المحاور مع النساء الوسط بهدف الإيقاع بهن.
- ☐ فتور علاقتها مع الزوج بكل ما تعني هذه الكلمة.
- ☐ فتور العلاقة مع أهل الزوج كرد فعل ينتهي بالطلاق.
- ☐ التصاقها الزائد بأهلها واللجوء إليهم لحل مشكلاتها.
- ☐ نقل أخبار البيت وأسراره للخارج.

مع هذا الكم من الخبث والكيد يتساءل بعض الأزواج:

كيف نحافظ على العلاقة الزوجية.. نحافظ على الحب؟

نقوم بتحليل رسالة للكاتبة والصحفية من روسيا (لياكريكونا).

تقول الرسالة: «سرعان ما تبدأ المشاجرات بانتهاء شهر العسل هل ينتهي الحب بسرعة هكذا..».

ترد الاختصاصية الاجتماعية لإدارة شؤون الأسرة والزواج في مدينة

---

(١) سورة النساء (٢٥).

(بطرس بودغ) «لا ، هناك أزواج يعتبرون حمل شنطة الخضراوات والفواكه أو مسح وشطف الأرض أمراً يحط من قدرهم».

مع إكمال رد المستشارة نكتشف أن فقر الشباب بالثقافة الدينية والتربوية لديهم لا يمنحهم المناعة اللازمة لحمايتهم من السقوط. لقد أمضى الشباب ثلاثة أرباع أعمارهم في التهام الملذات بلا حساب. لقد تعودنا من خلال التربية الدينية أن الاتصال المحرم جريمة يعاقب عليها القانون. . وتعلمنا أن «عذرية الفتاة» كنز ثمين يجب أن تحتفظ به لحين الزواج. . كيف نقنع هؤلاء الشباب بأهمية هذا الكنز وهم يساومن الفتيات على التفريط به واعتباره «أسطورة من طراز قديم» كان هذا أو حصل في مجتمع أباح الإجهاض واللواطة والدعارة والقتل واعتبارها حقاً من حقوق الشبان.

«كان الأمريكيون يلتزمون عند زواجهم بأن تكون الفتيات عذارى أما الآن فقد توصل الشباب إلى صرف النظر بزواجهم عن هذه الصلة على أساس أنها خرافة من طرازٍ قديم»[1].

ومع أن هذا هو الواقع فقد حصلت ردة لدى الشباب بالمطالبة بعذرية الفتاة باعتبارها تمثل العفة وعدم الانصراف لما هو إباحي. . عبر عن هذا الشعور الكاتبة «اليزابيت جينواي» نفسها وبلسانها «ويصرف النظر عما يكلف النساء الصالحات من صبر ومتاعب فقد هيأ لهن أن يقلن لا. . للرجال الذين يطلبون ذلك. وكان للفتيات المؤهلات للزواج شيئاً ما يساومن عليه إنه عذريتهن»[2].

ألا يكون ذلك انتصاراً للتشريع الإسلامي واعترافاً من أكبر دول

---

(١) اليزابيت جينواي ـ المصدر السابق صفحة ٤٤٢.
(٢) سورة التحريم (٢٦).

العالم قوة بأن العذرية هي سلاح النساء الصالحات العابدات التائبات. . !

فالمرأة وكما تقول الكاتبة والأديبة لطيفة الزيات «أكثر تأثراً من الرجل بالزواج الخطأ. . فالمرأة العادية تضع حياتها الخاصة في المقام الأول ثم عملها. . فالزيجة المختلفة تحطم المرأة المسلمة ولا تحطم الرجل»[1].

فالسلوك السليم الجاد وضده يعيشان في نفسٍ واحدة. . ومهمة العقل فرزهما عن بعضهما هذا ما أكده القرآن ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

- فالسلوك القويم الإيجابي يقابله سلوك مضاد سلبي.
- والاختيار الموفق للشريك يقابله اختيار خارج يؤدي للفشل.
- والتعاليم الإسلامية يقابلها تعاليم مستوردة.
- والانضباط والالتزام يقابله الانفلات والتحلل.
- والزواج الموفق الناجح يقابله آخر فاشل ينتهي بالطلاق.
- والاعتقاد المدروس يقابله اعتقاد مشكوك فيه.

والنتيجة إذا سلمت المقدمات سلمت النتائج «فعلى الفتى التريث باختيار شريكة حياته. . وألا يكتفي بجمالها دون دراسة لأخلاقها والبيئة التي تربت فيها»[2].

أي: إن التفكك وعدم التكيف في العلاقات الزوجية «يأتيان من تخلي المرأة المسلمة عن دورها»[3].

---

(١) الدكتورة: لطيفة الزيات ـ العربي ٤١٥/ ١٩٩٣ (السعادة الزوجية).
(٢) إبراهيم أحمد الوقفي [وعاشروهن بالمعروف].
(٣) د. أسعد السحمراني ـ أستاذ فلسفة بجامعة بيروت.

أي إنه إذا اعتقد الرجل بكفاءة زوجته ودرجة تأهيلها وقدرتها على تجاوز صعوبات ومخاطر عملها خارج البيت فلا توجد مشكلة أي Noproplem..

سنقوم الآن بتغطية الجانب الآخر في تعدد الزيجات مع تسليط الضوء على الجوانب المضيئة والمظلمة للوصول إلى هم مشترك عن أهداف تلك العلاقة وأبعادها. إنه الزواج المؤقت أو زواج «المتعة» الذي يختلف عن النكاح أو الزواج الدائم.

الزواج

○ الزواج الدائم (النكاح):

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الروم (٢١)]

الزواج الدائم (النكاح)

الغاية من الزواج تشكيل أسرة قوامها «المودة والرحمة» هذه الأسرة نواة لأمة متكاملة ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾[1] والرسول محمد ﷺ اعتبر الزواج بمنزلة اكتمال نصف الدين «فليتق الله في النصف الثاني»[2] أي إنّه «اقتران إنسانية رجل بإنسانية امرأة.. لا جسداً بجسد»[3] فالفارق بين الأولاد الشرعيين من الزواج الدائم وأولاد الزنى.. إنهم في الحالة الأولى يعيشون بكنف والديهم يتلقون عطفهم ورعايتهم؟

فالزواج يجب أن يصل بين الناس لتحقيق البعد الإنساني بعيداً عن العلائق المشبوهة المؤسسة على الفاحشة وهو ما رفضه الرسول محمد ﷺ «ما ظهرت الفاحشة في قوم قط يعمل بها فيهم علانية إلا أصابهم الطاعون والأوبئة التي لم تكن في أسلافهم»[4].

الحقيقة الثانية للزواج الدائم التركيز على دين الزوجة وخلقها لضمان طاعة الزوج والحفاظ على ماله وعرضه في حالة غيابه. وهناك شروط

---

(١) سورة النساء: ١.

(٢) رواه البيهقي.

(٣) طارق إسماعيل كاخيا (الزواج الإسلامي).

(٤) رواه البيهقي.

كثيرة في اختيار الزوجة كأن لا تكون مشركة أو عاقراً أو تحمل أمراضاً وراثية لا شفاء منها هذا على صعيد الزوجة. أما اختيار الزوج فيجب أن يؤسس على التزامه بتعاليم الإسلام «فكفاءة الدين والخلق هي المرجع الأول لقبول الخاطب أما كفاءة الوسط الاجتماعي التي تقاس بالمال والحسب فلا يصح تفضيلها على ميزات الدين والخلق»[1] فزواج المرأة من رجلٍ فاسق أو كتابي مالم يسلم تجعلها في قلق دائم لا يخرجها من مسألة الوسط والمجتمع الذي تعيش عملاً بالآية:

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾[2].

والأساس الخامس: خلو الزوج من موانع النكاح كالعجز الجنسي والأمراض العصبية والجنون والجذام.

وقد أفتى الفقهاء بطلاق المرأة من زوجها العاجز عن النكاح.

❊ ❊ ❊

(١) طارق إسماعيل كاخيا ـ المصدر السابق صفحة ٧٢.

(٢) سورة البقرة (٢٢١).

تضاؤل دور المرأة مع انتشار الخدم

«كما تعلمون أن ظاهرة انتشار اليد العاملة الآسيوية والأجنبية شائعة في الخليج بكثرة ولم تكن هناك ضوابط حتى وجدنا تفشي أمراض غريبة عن البيئة الخليجية . . كالسل . . السرطان . . أمراض الكبد الوبائية ـ الأمراض الجلدية هذه الأمراض تشكل أزمة حمية ليس لها أول ولا آخر».

الدكتور: خليفة الجابر ـ نائب رئيس الوقاية الصحية في دولة قطر

برغم إغفال الدكتور: خليفة لذكر مرض «الإيدز» فإن حالات كثيرة من الأمراض الاجتماعية فاقت بخطورتها تلك الأمراض الجسدية . . منها على سبيل المثال أن المواطن المحلي في دول الخليج بات غريباً عن بلده لكثرة ما غزاها من أجناس وعروق؟.

ومع ذلك فإن «أكثر الجرائم المسجلة في سجن دبي المركزي تصل إلى ٤٧٪ من الخدم إضافة لجرائم المتاجرة بالمخدرات والمشروبات الكحولية مع تعاطيها والسطو والاعتداء الجنائي وبذلك يكون من تستند إليهم تربية الأبناء من الخطر على المجتمع بمكانٍ كبير» كان هذا التقرير الذي نشره الاختصاصي الاجتماعي ـ عصام عبد الجواد في الإمارات العربية المتحدة (دبي).

في الحقيقة وجد الخدم في زواج المتعة منفذاً للتسلل إلى البيوت المستورة ونسفها من الداخل ، فالخادمة التي ترغب بزواج المتعة من سيدها أو أحد أبنائه إنها تهدف لمرامٍ وأبعاد كثيرة منها:

أولاً: تنفي عن نفسها سمعة المهنة الوضيعة التي تمارسها.

ثانياً: حماية نفسها عن طريق الزوج وظهورها بالمظهر اللائق في المجتمع كإنسان ذي كيان أسوة بباقي العائلات في وسطها.

ثالثاً: الحصول على المال وبطريقة سهلة.

حتى نفهم ما يدور خلف كواليس هذا الأسلوب المخادع يجب أن نستعرض بعضاً من القصص والأفكار التي تخدم ما نحن بصدده.. الكثير من النساء يقمن بترغيب الزوج للارتباط بأخرى حتى لو كانت خادمة هل هذا السلوك جاد أم أنه نوع من الشذوذ الخفي الذي لا يكشف بسهولة؟ وهنا:

«تتراوح دوافع المرأة ما بين تملق الزوج والسيطرة على اختياره للمرأة التي يعيش معها أو يعاشرها مروراً بتحويل طاقة الزوج الجنسية إلى شريكة أخرى وصولاً إلى التلاعب والسيطرة على الزوج والزوجة المؤقتة بآن معاً».

هذا ما كشفته الكاتبة والباحثة شهلا في سيكيولوجية الأعماق لبنات جنسها.. من المواقف الخطيرة للخادمات حكاية مرعبة «فعندما قررت سيدة البيت طرد الخادمة السيلانية في ـ دبي ـ قامت الخادمة بطحن الزجاج وخلطه بالبن وقدمته ساخناً لمخدومتها بهدف قتلها.. إن جمعيات سرية تدير سرقات البيوت عن طريق الخدم.

حادث آخر تمثل بذبح الطفلة الخليجية «ليلى» على يد خادم بعد أن اعتدى عليها.. والمضحك في دول الخليج أن رب الأسرة يرسل خادمته لشراء حاجيات البيت بسعر أرخص لأن الذي يبيعها في السرير ماركت من نفس جنسها.. لقد أصبح المواطن غريباً في وطنه؟.

هذه الحوادث نشرت في مجلة [الحوادث] المصرية ـ عدد أغسطس

(آب) ١٩٩٧ ونقرأ في مجلة [سيدتي] مقابلة تحت عنوان [خدم وخدمات بالجملة]. أو ـ الخطر الأصفر ـ يدور الحوار بين محرر المجلة والسيد جمعان أحد أمراء دولة قطر ممن يجمع لديه كماً هائلاً من الخدم والخادمات.

السؤال: ولم هذا الكم الهائل من الخدم؟

= جمعان: تجد بينهم الطباخين والسائقين.. والبعض لرعاية البنات لمرافقتهن إلى السوق لشراء أغراض البيت.

ـ أين ينام كل هؤلاء؟

= الخادمات في غرفة.. والخدم في أخرى بعيدة عن البيت الرئيسي.

ـ ألا تخاف اختلاط الرجال بالنساء ؟

= الذي نشك فيه نبعده إلى بلده.

ـ ألا تعتقد أن العدد كبير؟

= الذي أنعم الله عليه.. لماذا يتعب نفسه.

ـ ولكن تربية الأولاد ـ عبادة ـ وهي مسؤولية الوالدين لا الخادمات.

= في الخليج مشاغلنا كثيرة.. وزوجاتي يسافرن معي للخارج. والأولاد لابد أن يبقوا ليواصلوا الدراسة ولابد لهم والحالة هذه من خدم وخادمات يرعون شؤونهم.

ـ ألا تعتقدون أن الخدم والخادمات لهم تأثير سلبي على الأولاد؟

= صحيح أن الأولاد يتطبعون بطباع الخدم. ويتأثرون بتصرفاتهم ولكن أثناء وجودنا معهم نعوضهم ما فاتهم من حنان.

والجزء الثاني من الحوار الذي تجريه أسرة مجلة (سيدتي) مع السيدة زوجة جمعان.

ـ سمعنا بعض الحوادث المؤسفة عن الخدم والخادمات ما سبب ذلك؟

= الأسباب كثيرة. اذكر أن إحدى الخادمات ذبحت سيدها.. وكانت مريضة عقلياً.

«فالقهر الذي عرفته الخادمة وبعدها عن أهلها وأحياناً ما نكون نحن السبب فالبعض منا يقسو على الخدم ولا يعاملهم معاملة البشر الذين لهم مشاعر. ونحن أنعم الله علينا بالمال لنجلب هؤلاء لخدمتنا. فلا نصون النعمة أو نرعى حقوق الله في عيال الله».

انتهت المقابلة

كإجراء وقائي يفترض أن يبدو الخدم كالمحارم وحتى يبعد من لديه خدم التهمة عن نفسه فقد لجأ البعض لعقد زواج بالمتعة بين الخادمة وسيدها أو بينها وبين أحد أبناء العائلة خصوصاً في البيوت التي تغص بالذكور والإناث الناجحين.. ولكن وبشكل فعلي لا يمكن التخلص من هذا الإشكال في مجتمع إسلامي قائم على النمط الخليجي... ولا يفترض أن يكون الزواج السابق جنسياً فقط..!

فرغم عقد زواج المتعة بين الخادمة وسيدها المتزوج فإن فراغاً ما لا يمكن ملؤه إلا في الحالة التي تكون فيها الزوجة مستغنية كلياً عن خدمات زوجها ومصرة على التعامل معه ومع الأولاد بالاستشعار عن بعد؟ إذاً كيف توفق بين سلوك الزوج المسلم والمرأة المسلمة وبين الحرية الجنسية والتجاوزات التي رصدناها للتو!

تلك التصرفات التي تلتصق فينا كالمغناطيس.. فظاهرة البغاء والدعارة والعنف الجنسي والتعري الفاضح لازالت تعشعش في المجتمع الإسلامي بشكل سري أو رمزي.. لكنها وبشكل مفاجيء ظهرت بأشكال

مختلفة فرضت نفسها عن طريق الضوء وأفلام الفيديو والإعلانات التجارية والفضائية. . ؟

لكن ستبقى الممارسة العلنية للعمل الجنسي هي التعارض الأخلاقي الممكن رفضه بالنسبة للمجتمع ككل. . . والذي علقت عليه الكاتبة الأمريكية «باتريك كاميل» بشكل سافر «أنا لا يهمني ما يفعله الناس ما داموا لا يفعلونه بالشوارع»[1].

إن ما يحصل بدأ يقلق رجال الفكر والدين والثقافة في أرجاء الكرة الأرضية وليس في مجتمعها المسلم فحسب «فالرابطة الجنسية تقوى بفقدان الروابط الاجتماعية الأخرى. . »[2].

ويثار حول الموضوع أكثر من تساؤل:

أين يقع الجنس من قمة اللذائذ والشهوات؟

ما هي بدائل الجنس. . وبالتالي الأشياء التي يتم التخلي عنها وفقدانها من أجله.

الإسلام أشار إلى أهمية «الشهوة والمال» في حياة الإنسان. . ويتوقف نوع الإغراء على التجارب والثقافة المكتسبة مع مرور الزمن والتي تشكل المحور الأساسي في قلق المرأة المسلمة وهمومها. . ؟

«والصعوبة لا تكمن بالجنس. . بل في طريقة فهمنا له».

فاستخدامه بشكل خاطىء يمثل الإثم والعار. . لأننا تعلمنا من خلال القرآن أن وعاءه الزواج وليس الاتصال المحرم. . كان الناس يجهلون ما حولهم ويتشوقون لاختراق المجهول ومع زوال العائق اكتشفنا أن العالم من حولنا ليس مخيفاً لهذا الحد لذا تغير مفهوم الناس عن السياسة ،

---

(١) شرف بهلوي [وجوه في مرآة] شقيقة شاه إيران.

(٢) اليزابيت جينواي ـ المصدر السابق صفحة ٤٣٦.

الاقتصاد ، الدين ، علم الاجتماع ، وعن الحرية والديقراطية . . ولم يكن الجنس والعلوم المتعلقة به بمعزل عن هذا الفهم وهذا التغيير؟ .

فالممنوعات والمحظورات من التداول متناثرة في كل مكان . . صحيح أن فهمنا بما حولنا أخذ أبعاداً غريبة غير مألوفة من خلال قوة الإعلام التي يمتلكها الآخرون بهدف تغيير قناعاتنا وإسقاط دورها لكن ومع ذلك سيبقى صبرنا وإيماننا بمنزلة السلاح الأمضىٰ الذي يحمينا من انتشار هذا الوباء وستكون مؤسسة الزواج الأولى التي تتعرض للأذى بقصد التهميش وتحويلها لشظايا يصعب جمعها وهنا فقط نعزي النساء بمقولة الباحثة الاجتماعية (نورمان ميللر) التي تقول فيها [إن إحساس الرجل بالرعب بوجود النساء جعلهم يذلوهن . . ويتطلعون لتحطيم كل صفة فيهن من شأنها أن تعطيهن صفات الذكر ؛ لأنها بأعينهم مسلحة أصلاً بالقوة التي أظهرتهم إلى حيز الوجود. إن أولى الانطباعات في الذاكرة تعود إلى تلك المرأة التي من بين ساقيها أدخل الرجال . . وكادوا يختنقون بساعات الولادة» .

إن منظومة الزواج في أمريكا والكثير من دول أوربة قد انقرضت ولم يبقَ من بنائها إلا الأب والأم الذين يتحملون عناء الإنجاب بالأولاد دون أن يعلموا أين يذهبون ٣٠٪ فقط من العائلات التي لا تزال تتمتع بالسيطرة على أفراد العائلة ولأن الأمر كذلك فقد توقع علماء الاجتماع انهياراً وشيكاً للمجتمع الأمريكي تماماً كما حصل للاتحاد السوفيتي لقد بدأ الأمريكيون يتساءلون عن أسباب هذا الفساد «كاللعنة» التي هي من صنع أيديهم . . إنهم يكتشفون ولو بصورة متأخرة حسنات المجتمع الإسلامي الذي لازال ينبض بالحياة في مجال التكامل الاجتماعي وتحصين مؤسسة الزواج والحفاظ على حقوق المرأة؟

فالسرقة والجريمة وحوادث القتل والاغتصاب والسطو المسلح هي

حوادث تتكرر يومياً وبشكل دوري في المجتمع الأمريكي. وبدأت أعمال الجريمة كجزء لا ينفصل عن المجتمع الأمريكي وحتى المكلفون بقمع الجريمة ومطاردة المجرمين أصبح لهم مكاتب متخصصة في ابتزاز الناس.

المرأة المسلمة وتحديات العصر..؟

«سيمضي العالم بشكل أفضل عندما يحتفظ الرجال والنساء كلٌّ في أجوائه الخاصة به. فالقول التعسفي الموجه إلينا كنساء والذي يعني أن نكون مشغولات بمكان آخر غير البيت ما هو إلا كلام طنان لا معنى له».

اليزابيت جينواي
«مكانة المرأة في عالم الرجل»

□ التعارض والتداخل بين مكوث المرأة المسلمة في البيت عملاً بالآية ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾.

والعمل خارج البيت عن طريق الالتحاق بسوق العمل لرفد حياة الزوج والتي حولها النظام الاقتصادي المعاصر إلى جحيم!.

نقول: إذا كانت المرأة المسلمة ستمكث في بيتها تاركةً «الفضاء الخارجي» للرجل فهل تقبل بهذا المنطق عن قناعة ومشاركة مع زوجها أم ترفضه لكونه الجدار الذي يقيد حرياتها ويعزل رغباتها عن المشاركة الفاعلة في المجتمع؟

وهل صحيح أن الفوارق الفسيولوجية بين الجنسين والتي فرضت طريقة التعامل بينهما واستدعت بالنتيجة أن يكون الرجل قيماً على زوجته ومدعاة لفصل الأدوار بينهما.

وإذا كان ذلك ما يحكم البشر وعلاقتهم فما علاقة النظم الاجتماعية والثقافية في طرق التفكير القائمة في المجتمع عن قصد وتعطيل نصف المجتمع فلو سلمنا بصحة المقول عن قطرية الفوارق بين الرجل والمرأة.. فالتطور مهما بلغ ذروته لن يصمد دون الاستعانة بإرث الماضي بكل ما يحمله من عقائد وأساطير وتراث والتي تتشابك مع بعض كجذور الأشجار؟

فعالمنا الإسلامي اليوم مهما دبجوا له وحسنوا صوره الخارجية لن يكون عالماً مثالياً ما دمنا نجهل قيمة وجودنا فيه كبشر وتعامل شعوبه كما تعامل قطعان الغنم. فالقيم والتراث الموروث سيبقى تحت الأنقاض إذا لم يجد من يخرجه.. والمرأة بصفتها مصانع الرجال تجمد دورها الحقيقي بالمشاركة بخلق تنوع اجتماعي وحضاري فاعل، فمع اقتراب الألفية الثالثة تفتخر دولة إن لم نقل إمارة أنها أحرزت نصراً بإدخال امرأتين للبرلمان.

صحيح أن المرأة المسلمة تملك مهارات فردية لإدارة البيت وتربية الأولاد، لكن ذلك لا يلغي مهاراتها الخارجية التي أصبحت استثماراً مفيداً لإغناء مجتمعها.

ومع ذلك فالطروحات الموضوعة لإقناع المرأة المسلمة بالتنازل عن عملها خارج بيتها كانت جميعها غير مقنعة وتصب في بوتقة واحدة هي «عدم الاعتراف بإمكاناتها».. وإلا ما فائدة الخدم والخادمات داخل المنازل ما دامت ربة البيت موجودة أصلاً لإدارته والإشراف عليه، لقد بدت تلك البيوت كالمؤسسات الحكومية أو المزارع الجماعية تفتقر لمواصفات البيت المذكور بالقرآن الكريم والذي طالب المرأة المسلمة بإدارته!.

في الماضي كانت المرأة تصرف أوقاتها في رعي المواشي. . وجني المحاصيل الزراعية من الحقل. . وكانت تجمع جذوع الأشجار وتحملها على رأسها لاستعمالها في التدفئة وكانت وربما لازالت تحمل الماء على رأسها من أماكن نائية جداً عن مسكنها ، وكانت تعمل جنباً إلى جنب مع الزوج في بناء البيت وإذا ما فرغت من عملها هذا عادت إلى البيت لتقوم بصنع خبز العائلة وإعداد الطعام وغسل الثياب والسهر على صحة وراحة الأطفال! . .

وأخيراً يجب أن تكون جاهزة مع بداية السهرة للجلوس مع الزوج ودغدغة عواطفه وتأمين طلباته من الألف إلى الياء.

فهناك فرق شاسع إذاً بين [الهم] و[الهمبرغر].

وكذلك هناك فرق واضح بين البيوت سالفة الذكر والبيوت التي تراها اليوم والتي تشبه المتاحف. بجمع ما يخدم ويأتيها رزقها من كل حدبٍ وصوب لقد خرج الهدف إن لم تقل أخرجناه نحن والذي من أجله طولبت المرأة بالبقاء بالبيت؟؟.

أما إذا كان عمل المرأة المسلمة في بيتٍ آخر غير بيتها.

وإرضاءً لرجل آخر يختلف عن زوجها.

ولرعاية أطفال جدد ليسوا أولادها.

وسواء كان المنزل المذكور داخل مزرعة أو مصنع أو مؤسسة عامة أو خاصة أو قصراً يمتلكه أحد الأمراء. .

فإن مبادىء السلوك وقواعده اختلفت تماماً عن هدفها وانحرفت إلى هدفٍ آخر أكثر إجحافاً وظلماً.

فمواصفات البيت الأساسية [كمركز للعواطف المحيطة بالعائلة بكل ما تمثله من براءة وشرف ومكان للعيش البسيط غير المترف والبعيد عن

فساد القصور والمدن والملاذ الآمن من المطامع والآمال المزيفة)[1] فإذا وصل نصيب المرأة في قطاع العمل ١٠٪ فهذا لا يقدم دليلاً إحصائياً ومسوغاً لبقاء المرأة داخل بيتها. . وبالعكس لو ارتفعت نسبة عملها إلى ٧٠٪ فهذا لا يعفيها من مسؤولية الإشراف على البيت وإدارة عملها بشكل صحيح!.

إذاً حتى حج المرأة في عملها خارج حدود المنزل لا بديل عن دعم الرجل. . . فسواء كان عملها لكسب النقود أم لملء الفراغ فإن دعم الرجل هام جداً لاستمراره وابتعاده عن المصادمات. . وليكن معلوماً للمرأة أن الإشباع العاطفي والجنسي خارج مؤسسة الزواج هو جريمة يستحق العقاب سواء كان الناشز الرجل أم المرأة؟

فالنزوة لا زالت ليومنا هذا تبدأ بالرجل وتنتهي بالمرأة وهو ما عبر عنه الكاتب عباس محمود العقاد بعبارة [السيطرة والاستحواذ] من قبل الرجل والاستسلام من قبل المرأة وهو ما يفسره حالات التحرش الجنسي والاغتصاب التي يقوم بها الرجال من دون النساء؟

لقد تحول مبدأ «الطاعة الزوجية» كدور هام تقوم به المرأة المسلمة إرضاءً لزوجها إلى خضوع يستغله الرجل في إذلال زوجته وهضم حقوقها المالية والاجتماعية. . ومع ذلك يجب ألا نخلط بين هذا الاستحواذ أو التعسف الذي يقوم به الرجل ضد زوجته وأفراد أسرته والأهلية التي تمارسها المرأة بشكل غريزي نحو زوجها وأولادها «فسلطة الأم على طفلها لا تولد إحساساً بالإثم. فإذا ما أرادت أن تبقيه حبيساً فما ذلك إلا من أجل منفعته الذاتية ولها عليه حقوق لا حدود لها. وهذه هي مكافأتها إن عنايتها بالطفل تزيح عن كاهلها عبء الأوامر المزمن الذي

---

(١) اليزابيت جينواي ـ المصدر السابق صفحة ٤٦٦.

يشكل وزناً ثقيلاً على كاهل كل كائن بشري متمدن[1].

فالخالق عز وجل ثمن دور المرأة وطالب الأولاد برد الجميل بشكل قد يبدو مبالغاً فيه ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا . . . ﴾.

وهذا نفسه الذي يعزز من دور النساء لتحقيق ذاتهن بشكل أفضل كزوجات وأمهات ، وهو الذي يعيد الأذهان لما أكدته الاختصاصية الاجتماعية «مارنيا فارنهام»:

«بأن الحيل بالأطفال هو الواجب الأساسي للنساء».

فالمرأة تمتلك السلطة في محيطها الخاص داخل المنزل.

والرجل يمتلك القدرة نفسها على الصعيد العام خارجه ، وهذه هي المقايضة بين الرجل والمرأة والتي تبدو دائماً كأساس مقبول في مجتمع إسلامي. فقوة المرأة تبرز من خلال عطائها.. ذاك العطاء الذي لا حدود له.

- فالأنوثة التي ينتظرها الرجل هي عطاء.
- والحبل بالأطفال مع ولادتهم عطاء.
- والطاعةالتي تقدم للرجل بهدف إسعادة وتحقيق رغباته عطاء.

فالذين صوروا أن المرأة المسلمة تختار خضوعها لزوجها عن طيب خاطر لكونها أقل شأناً منه حتى لو أدى ذلك لركلها بحذائه تبعاً للقصة التي أوردناها عن قبيلة ماري البلوخستائية شرق الباكستان؟

هذه الصور لا تعدو أن تكون حرباً إعلامية لإسقاط دورها داخل مجتمعها فإذا ما عرفنا أن الرجل هو الذي يحاور المرأة للوقوع في الخطأ..

---

(١) اليزابيت جينواي ـ المصدر السابق صفحة ٢٦٩.

وهو الذي يذلل الصعوبات أمامها للوصول إلى إيذائها . .

وهو الذي يقدم المغريات لها ويشعرها بأنها كائن خرافي بعيد عن الواقع . .

لذا نجد أن أكبر همومها تلك المستوردة من الخارج أو التي لم تكن من صفها فمشادة زوجها وهو راجع مخموراً لمنزله تعاسة ما بعدها تعاسة؟

وقلقها من نقص الغذاء لأطفالها يفوق بصعوبته «سباق الماراتون» وعليه وجدنا أن أكثر الأمور إيلاماً للمرأة المسلمة تلك التي وضع الإسلام قيوداً لمنعها مثل:

السرقة والزنى والربا والبخل والقتل العمد والانحرافات الجنسية لدى الزوج لا لشيء فقط لأن نتائجها لا تصيب إلا المرأة عندما يطيع الزوج . . فالتبعية التي التصقت فيها المرأة المسلمة أخذت أشكالاً مزمنة في قسوتها ظالمة في نهجها . . لها أن تأكل وتلبس وتجالس من يختاره الرجل لها . . وبالمقابل عليها الحبل بالأولاد مع ولادتهم بالجملة ومن دون تخطيط . . هؤلاء الأطفال كالأرانب يزحفون إلى الشوارع «حفاة عراة» كما ولدتهم أمهاتهم فقط لأن الزوج خارج حدود المعاناة إنه يستمتع في هذا [الكرنفال] وعندما يضجر يسرع مهرولاً لجلب امرأة أخرى للتفرغ لنزواته وأفكاره الضبابية التي لا حدود لها!

أعود بالذاكرة للوراء «للفوارق الفسيولوجية» التي تم استثمارها لمصلحة الرجل . . فالمرأة ليست ملزمة أن تكون نجمة السهرة في عشاء عمل لصالح رجال الأعمال . . وليست ملزمة للعمل بأعمال مجهدة تضر بجسدها وروحها؟

وإذا ما بقي المصلحون ورجال الدين يزيدون من عزلتها وعزلها فسيجدون نسبة عالية من النساء تنظر لهذا الإصلاح كأمر مرعب ،

وسيشكل هذا السلوك منفذاً لأفكارها الباطنية والسلبية بالتسلل للخارج وتهديد المجتمع برمته!.

لذا نجد مع هذا الخلط بين حقوقها وواجباتها تذكير من فاتهم الرجوع لأصول الإسلام أن من حقها أن تتعلم ومن حقها المشاركة بإبداعها ومواهبها، فالنساء ذكيات مبدعات كالرجال لكن الموانع نفسية فالخوف من التفوق الذي قد لا يرضي الرجل يجعل خطاها بطيئة قدم للأمام واثنتان للخلف.. فالعلم لدرجة التفوق يهدد الهدف لهذا التفوق إن لم نقل يعمل على تشتيته. لذا نجد أن الشاذات ينعزلن عن مجتمعهن ويكون الخبث والإخلاص صفتين متوقعتين فيهن.

لذا نجد أن الصفات المستحبة تمتدح عادةً بالنساء المسلمات الملتزمات كالصبر والتجمل والود والحنان والطاعة والهدوء والنظافة..

لذا نجد أن الرجال الذين نجحوا بجهودهم كان نجاحهم مدعوماً بجهود خطية من صنع النساء، فالمقدرة على الإرضاء ميزة للمرأة قد ترضي الرجل بصرف النظر عن استثناء القاعدة. فقد تعودنا أن نسمع عن السكرتيرات لشركات تجارية أو لرجال أعمال أثرياء ليسوا مستعدين لإرضاء أيّ كان ما دام الطرف الآخر جاهزاً لأن يقدم نفسه رخيصاً لقاء المال!.

وهنا نحذر المرأة المسلمة حصراً بعدم المبالغة بالطاعة والإرضاء لدرجة الإفراط «فلا طاعة لمسلم في معصية الخالق» هذا ما خاطب به عمر بن الخطاب ذوي المراكز المتغطرسين «بم استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

فالرجل السادي والمزاجي والهستيري والشاذ والزاني والبخيل والسارق والمنافق المتملق والكاذب هذه التشكيلة من الأزلام لا ينبغي للمسلمات إطاعتهم وإرضاؤهم وهنا يجب التفريق بين الطاعة بدافع

الحب. . والطاعة بقصد الواجب فالأولى تحمل معاني التضحية والثانية تحمل معاني الخضوع المسبوق بالمجاملة ، كأن ترافق المرأة رب العمل لعشاء عمل أو تلك الحالة التي تضطر المرأة من خلالها للجلوس مع مديرها في جلسة غرامية يعود نفعها عليه؟

إن عملية الإرضاء فضفاضة في معناها وقد تأخذ شكل (التبعية) بمعنى التنازل ، فبين هذا السلوك أو ذاك تضعف النساء فالكثير من النساء اختار السلوك الأخير للوصول إلى الهدف بأقرب السبل واتفق على تسمية هذا الصنف أو النوع «بالمتسلقات».

□ وفئة أخرى من النساء سائسات المشاعر شاغرات لملء الفراغ الذي ينشده الرجال النشيطون واتفق على تسمية هذا الصنف «بالمنحرفات».

□ والفئة الثالثة اللاتي اخترن أسلوب الرفض ولجم الرجال الذين يطالبون بعكس ذلك وبرغم الثمن الباهظ لهذه المواقف من الصبر والمعاناة فإن شيئاً ما يثير العجب في أعماق تلك الفئة إنهن «المعارضات».

«فالمرأة في بيتها لا تتلقى أجراً على أتعابها. والعمل خارجه تتلقى عليه أجراً مادياً ومعنوياً بشكل مكافأة لخدماتها تلك. والسبب أن عملها في بيتها لا يدخل بالدخل القومي برغم الاختلاف في حجم ونوع المادة المنتجة داخل البيت وخارجه»[1].

لقد غير التمدن كل شيء في حياتنا ، وبصرف النظر عن الأجر الذي تتلقاه المرأة من عملها خارج بيتها فإن النساء العاملات يعملن مع أناس لا ينتمون إليهن وضمن أهداف لا سيطرة لهن عليها. . إنهن يمارسن أعمالاً لا تمت من قريب أو بعيد لطبيعة أعمالهن في البيت. لذا نجد أن

---

(١) حسن علي حسن [العلوم الاجتماعية ـ الكويت] صفحة ١٩ ـ ٢٩.

المرأة العاملة تعيش في ازدواجية المهنة وأحياناً تنفذ أعمالاً قد لا تكون لصالحها.. وهنا يتوجب عليها أن توفق بين المعلوم والمجهول بين احترامها لزوجها وطاعته.. واحترامها لمديرها وإرضائه؟؟

وهنا لا يبدو التشابه بين التعبيرين قريباً. فالحاجة التي تدفع المرأة للخروج من بيتها هو الذي يقلق الكثير من الأمهات وهو مع ذلك يشكل أكبر همومهن في سوق العمل؟

كيف..!

إن التزام المرأة المسلمة في لباسها وحشمتها وزينتها وحديثها مع زملاء العمل مع ما يرافق هذا السلوك من هموم تتعلق بالأولاد الذين تُركوا مع مربيات بديلات.. يزيد من الضغط النفسي للمرأة يوصلها لأزمة حقيقية بحاجة لإعادة النظر بعملها والذي يفرز بدوره عدداً من التساؤلات الخاصة بها مثلاً:

- ☐ هل أستمر بعملي أم أتركه لمصلحة الأسرة؟
- ☐ كيف أوفق بين ما يطلب مني هنا وما ينتظرني هناك؟
- ☐ هل أضحي بالأجر المادي والمكافآت المعنوية من سوق العمل؟

«إن حرمان الطفل من عناية أمه يمكن أن يؤدي لخلخلة شخصيته وتمنعه من النمو باتجاه نضوج سعيد وطبيعي. وربما يكون هذا الكابوس الأكثر ملازمة»[1].

وبشكلٍ عام هناك أمور من شأنها أن تحدد حاجة المرأة للخروج للعمل من عدم حاجتها إليه منها:

١ ـ عمر الأطفال وعددهم.

---

(١) د. محمد رميحي [الإبداع الثقافي] ـ العربي ١١٩/ ١٩٨٥.

٢ ـ مواصفات بدائل الأمهات (المربيات) في رياض الأطفال ودور الحضانة.

٣ ـ وجود السعادة والاستقرار الأسري أو غيابها.

٤ ـ حاجة العائلة لدخل المرأة من عملها أم عدم الحاجة إليه.

٥ ـ المؤهل العلمي الخاص بالمرأة العاملة مقارنة بالعاملات من دون مؤهل.

٦ ـ وضع المرأة العائلي متزوجة ـ عازبة ـ مطلقة.

٧ ـ نوع العمل وأهميته للمرأة والمجتمع.

وعموماً فإن حاجة المرأة المسلمة إلى جو هادىء ونظيف يحقق ذاتها ويحافظ على كرامتها هو مطلب ملح مهما كان نوع العمل الذي تمارسه. «فطوال قرون طويلة كانت كتل الكائنات البشرية تحرم من الإحساس بالتمتع.. عن طريق نظام الإقطاع».

لقد اعتدنا في هذا العصر أن نرى جوائز (نوبل) مع مكافآت تشجيعية يتم تخصيصها للذين أبدعوا من خلال غيرهم وتحرروا من خلال تضحيات الآخرين الذين فضلوا أن يعيشوا في الظل جنوداً مجهولين، فالهموم التي تحملها المرأة المسلمة تنشطر لأكثر من جهة مرة نحو الذات وأخرى باتجاه الزوج وثالثة باتجاه الآخرين وهذا الأخير الأكثر تقديراً وتثميناً في حياة المرأة لكونه يمثل [الواقع في الحريق] وذاك القائم على إنقاذه منه أو إطفائه.. ولأن تركيز النساء بشكل عام ينصب على مشاعر الناس لا على أعمالهم فإن أحكامها ستكون في مجملها عاطفية تميل لتأييد ومناصرة الناجحين والمشهورين من الرجال.

وعليه لن نستغرب عندما نجد النساء يذرفن الدموع في المسلسلات العاطفية والرومانسية ويفضلن العيش بعيداً عن المشاحنات والأجواء المتوترة ولأنهن كذلك فإن القرار الإلهي جاء مطابقاً لتلك المواصفات

التي تعيش بأعماق المرأة وهو ما تمثل في شهادتها أمام القضاء ﴿ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾.

ولأن الأمر كذلك فيجب ألاّ تتساوى المرأة مع الرجل في كل الأمور كالمشاعر والعواطف.. إن بكاء النساء قد يبدو شائعاً ومألوفاً لدى الرجال لأن مرارته لا تعدو أن تكون نقطة في بحر الدموع التي يحبسها الرجال ومع ذلك تبدو النتيجة واحدة لأن المرأة التي تبكي على نفسها وما أصابها تختلف عن تلك التي تبكي على غيرها!

فلو فكر الرجال بما يفعلون بمشاعر النساء لبكوا دماً بدل الدموع وحتى نتفهم كنه ما نقوله يجب التدقيق جيداً بما سنطرحه في موضوعنا [اختلاف دوافع الجنسين] إننا هنا سنحتاج لأكثر من إشارة استفهام أو أداة تعجب.. وسيحتاج المدمنون على التدخين لأكثر من سيجارة واحتساء أكثر من فنجان من القهوة تابعوا إذاً ما سنكتبه واقرؤوا السطور وما بينها حتى لو كان ذلك شاقاً وغير مرئي!!!

اختلاف الدوافع بين المرأة والرجل

«يسود الاعتقاد بأن المرأة تنجز لأن لديها حاجة للاستحسان الاجتماعي (أي لفت الأنظار) بينما ينجز الرجل لوجود حاجة مباشرة للنجاح»

حسن علي حسن
مجلة العلوم الاجتماعية
ـ الكويت ـ

□ تختلف الدوافع بين الرجل والمرأة باختلاف الغاية منها أو أهميتها وعلى أي حال يمكن إجمالها بالآتي:

أولاً: دوافع التحاق المرأة بسوق العمل.

لم يكن خروج المرأة للعمل بقصد الانتقام من الرجل أو منافسته ولا كان تقليداً للنساء العاملات. إنه أكبر من ذلك فعندما تفقد المرأة المسلمة ارتباطها بالأسرة وتسوء علاقتها مع الوسط الخارجي وتصبح فيه منطوية على نفسها، معزولة عن مجتمعها ستحاول ملء الفراغ والبحث عن بدائل تنجيها من هذا الجحيم وذلك عن طريق الالتحاق بالعمل أو الوظيفة. وحتى تعوض المرأة هذا الفراغ الذي عاشته في بيتها والمتمثل في دفء العواطف وتهذيب المشاعر مع تعويض فقدان الزوج [الذي ذهب ولم يعد] هذا كله يحتاج لمكافآت عينية ومادية يفترض أن يسددها الزوج هكذا الزوج الذي تخلى عن دوره المتآكل مع الزمن وبالتقادم. إن انعزال

الأطفال مع أمهاتهم عن عالم العمل يشكل عاملاً آخر يزيد من أهمية الارتباط العاطفي بين الطرفين ، أي إن هؤلاء ليسوا معزولين عن العالم فحسب بل هم في عالم آخر له صفاته المميزة الخاصة به» .

فالمرأة المسلمة ما كانت لتخرج من بيتها لو أن زوجها كان يشاطرها أتعابها ويخفف عناء الجهد الذي تبذله لتربية الأولاد. لقد سألت كثيرين من سائقي الأجرة في مدينة دمشق:

هل تصطحب زوجتك في رحلة مع نهاية الأسبوع بقصد الترويح عنها وعن الأولاد وكانت إجابة ٨٠٪ منهم بالنفي وبعضهم أعلن بصراحة إن لم نقل بوقاحة أنهم يفضلون اصطحاب الجنس اللطيف ممن يتعهد لها بدفع فاتورة الحساب لقاء «الدردشة» أو تقدّم هي الجنس تعويضاً لنفقات محروقات التكسي!.

إن المرأة اليوم تلتقي بالرجال بالجملة وبأساليب مبتكرة من خلال منافستهم ومشاركتهم اليومية وحتى إدخالهم في معرفة أسرار بيتها وفهم نقاط الضعف في حياتها مع الزوج.

وتوسعت ثقافة المرأة لتنافس ثقافة الرجل ، وقدم العلم الوسائل التي تفضل الجنس على النسل مثل «الحبوب المانعة للحمل» واللولب. . إلخ.

وبدأ الدور الرئيسي للمرأة المسلمة وحتى الرجل المسلم يتلاشى بالتدريج ويأخذ أكثر من معنى بقصد إعادته لسابق عهده ، فعمل الأم لا ينتهي بمكوثها في البيت ومعايشتها الأولاد في حين يكون زوجها في عالم [أليس في بلاد العجائب] لقد اختلف دور الأم المربية مقارنة بتلك التي تحبل بالأطفال وتلدهم.

فاندلاع الحروب المفتعلة في بلدان إسلامية عديدة أسقطت أي دور لعالم القيم لا بل تم إسقاط منظمة الأمم المتحدة برمتها. صحيح أن المرأة المسلمة بصرت وتحملت وابتلعت آهاتها حفاظاً على الأولاد

والبيت وعاشت الأحداث الدامية كما يعيشها رجال الصحافة في ساحات المعارك، وفضلت الاحتماء بعقيدتها كمن يحتمي بصخرة من أزيز الرصاص؟

ولأن دورها بتفويض السياسات القائمة على الظلم والتعسف هو دور سلبي مقارنة بالرجال لذا نجدها اختارت الانزواء والصلاة بقصد الخلاص.

أ ـ الضجر والملل اللذان يعصفان بحياة المرأة.

الكثير من الأزواج ممن تبخر الدفء العاطفي من حياتهم.. الكثير منا يعتقد أن الرخاء الاقتصادي أو الحياة الجاهزة للمرأة في بيتها تجعلها أكثر سعادة وهذا خطأ «فالسرير المصنوع من ذهب لا يطرد الكوابيس» لقد عاشت امرأة فرعون في وضع لم تصله زوجة بالعالم من حيث الترف والنعيم ومع ذلك تضرعت إلى ربها ليخلصها مما هي فيه لأن ضجرها ومآسيها مما هي فيه لم تلغيه القصور والمال والخدم لذا كانت دعواها ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١].

فالظلم لا يفترض أن يقع عليك حتى تشعر به فإحساسك بمعاناة الآخرين وظلمهم يكفي لأن يحرك فيك المشاعر الدفينة لتنتصر لك ولغيرك. إن الراقصة التي تهز خصرها لإسعاد الآخرين!! عاشت لأجلهم وفقدت سعادتها بسببهم إنها تقوم بعمل قد لا تكون راضيةً عنه لكنها وتحت وطأة الحاجة اضطرت للقبول بهذا العمل.. وكأنها تقول لمن حولها: «والطير يرقص مذبوحاً من الألم»[1].

ألم تراقبوا الفتيات الروسيات بعد سقوط الاتحاد السوفيتي حين

---

(١) مَنْ أجبر الراقصة على امتهان الرقص؟! ولِمَ لَمْ تعمل في مهنةٍ شريفةٍ؟! (الناشر).

تقطعت بهن السبل وضاقت بهن الأرض بما رحبت وتوزعن في أرجاء المعمورة للبحث عن عمل يؤمن لقمة العيش حتى لو كان هذا العمل على حساب الجسد والروح!.

ماذا تقول الزوجة التي توفي زوجها تاركاً فصيلة من الأولاد؟

وماذا تقول نظيرتها التي دخل زوجها بالسجن وتركها بالخارج تنهشها الذئاب؟ ألا يستحق ذلك لأن يكون مسوّغاً لبكاء النساء وضجرهن لا بل ودفعهن للانتحار.. فعندما يلتحق هذا الصنف من النساء بسوق العمل يكون أفضل بألف مرة من الجلوس في البيت وتقبل صدقات المتغطرسين؟

ب ـ الإحساس بالضياع والتهميش:

إنه شعور يصيب الزوجات أكثر من الفتيات فالكثير من الرجال استغل مسألة القوامة وطاعة المرأة وقام بإبعادها عن العمل حتى لو كانت طبيبة أو مهندسة أو مدرسة فقط لمجرد التفاخر بانتصاراته وبقصد إيذاء الزوجة، وإذا استمر هذا التصادم ردحاً من الزمن فإن المرأة ستبدأ بالتفكير إذا كان من المجدي ترك المنزل والأولاد.

عندها ستختار من خلال تقييم الربح والخسارة في مسألة ترك المنزل أو البقاء فيه وفيما لو كان العمل يستحق الزوج برمته واللجوء للطلاق.

هنا يأتي دور الفرز لفضائل النساء لا بل لنوع العمل. فالمرأة الفاضلة هي التي ستقرر إن لم نقل توازن وبدقة بين التضحية بإنهاء زواج ناجح مستقر وبين عمل تافه لا يحقق نفقات الكدح الرخيص للحصول عليه.

«فالنساء ألوان.. إنهن يكتفين بتحقيق ذاتهن من خلال نجاح الزوج والأولاد»[1].

إننا عشنا في الريف وبعضنا لا يزال يعيشه وعرفنا من خلال المعايشة

---

(١) الدكتورة هناف عبد الصمد [أمراض الجلد ـ بيروت] مشفى سان لويس باريس.

أن النساء الريفيات يعملن ليل نهار دونما كلل فقط إرضاءً للزوج خوفاً من خسارته بالزواج عليها وهجرها وأحياناً تتسع دائرة التضحية لتصل إلى صف الأولاد ولمصلحتهم وهنا نعترف بتلك الفوارق.

جـ ـ الخوف من مخاطر الزمن:

سواء كان الخوف من الزوج.. أو المجتمع فالأمر سيان ما دمنا لا نعلم ما تخبئه لنا الأيام فكم من زوجة غدر بها زوجها وخسرت كل ما تملك بما فيه أنوثتها.. أنا أذكر أمّاً ضحت لتربية أولادها بعد وفاة زوجها وحرمت نفسها من كل الطيبات وزوجت بناتها الخمس لرجال ميسورين ومع ذلك كان مصيرها بزواجهن الجلوس على مائدة الجيران والتنقل في الأعياد والمناسبات لجمع المال الذي يغنيها عن التسول؟؟.

د ـ الوضع الاقتصادي للأسرة:

المعروف أن الرجال في مجتمع إسلامي يشعرون بالخجل والإحراج من ضآلة دخلهم لعدم تمكنهم الوفاء بالواجبات الاجتماعية الواقعة على كاهلهم كالإنفاق على العائلة ومواصلة صلات الرحم والقربى وعادات اجتماعية تتمثل بإكرام الضيف.. الخ.

تحت ضغط نفقات الأسرة اضطر الكثير من ذوي الدخل المحدود لتشغيل زوجاتهم وأولادهم للحصول على المال الذي يوفرون من خلاله مصروف الأسرة وخارج هذا الوضع فإن الالتحاق بالعمل قد يكون حباً بالظهور أو للوصول إلى الشهرة كالعمل في دور الأزياء والاشتراك في مسابقات ملكات الجمال والإعلانات التجارية والعمل في الملاهي الليلية ومطربات أو راقصات أو نادلات في المطاعم والفنادق ومضيفات جويات وأرضيات إنها وبصريح العبارة أعمالٌ «تحقق أرباحاً خيالية بجهد بسيط».

مع ذلك لا تخلو هذه الأعمال من مجازفة ومخاطر.

ولتخفيف المعاناة عن المرأة العاملة تقدم علماء الاجتماع

والاختصاصيين الاجتماعيين بنصائح وإرشادات لتكون عوناً للمرأة العاملة ومدخلاً لسعادتها تستعرض بعضها ومن خلال [المختصّ طلعت عيسى]:

□ استعملي أجهزة كهربائية في منزلك لتوفير الوقت.

(غسالة أوتوماتيك ـ مكنسة سجاد ـ فرامة لحمة وعصارة فواكه . . .).

□ صارحي زوجك ولا تلجئي لكتمان غيظك وأطلعيه على مشكلات العمل ولا تعطي رقم الهاتف لزملاء العمل.

□ خصصي وقتاً كافياً لزوجك. . ولا تضخمي مشكلاتك مع الزوج وحاولي تطويقها.

□ عند زيارة إحدى صديقاتك بوجود الزوج لا تلجئي للرمزية أو التورية بذكر الزملاء لأن لغة الألغاز مرفوضة دينياً ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.

□ وأخيراً لا تطلبي من زوجك زيارة عائلية لمديرك حتى لو كان ذلك ضرورياً ويفضل أن تكلفي زوجك بحل إشكالات العمل مع المدير بدلاً من معالجتها من قبلك.

ومما سبق نخرج بنتائج مفيدة من خلال تجربة «المرأة العاملة»، ومنها:

* النساء العاملات برغبة ومشورة أزواجهن هن نساء سعيدات داخل البيت وخارجه. . . حتى لو كان هذا العمل بقصد ممارسة مهنة أساسية للزوجة كالطبيبة والمهندسة والمدرسة.

* النساء العاملات من دون مشورة وموافقة أزواجهن فإن حظهن من السعادة نادراً جداً إن لم تقل يكاد أن يكون مفقوداً.

ثانياً: دوافع الإنجاز والإبداع للمرأة المسلمة.

الإبداع هو إنجاز ما بعلوم العصر لإغناء المجتمع من خلال هذا العمل

المتمثل بشكل إنجاز تيمناً بقول الرسول محمد ﷺ «إن الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» والإنسان بحد ذاته إنجاز وإبداع إلهي ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1] فالمرأة ترغب بالنجاح في عملها وتقدم شيئاً ما يتحدث عنه الناس لكن جملة من المعوقات مثل (صراع الإقدام والإحجام) يمنعها من تحقيق الهدف «فهي في موقف الإنجاز لا تخشى الفشل بقدر ما تخشى النجاح».

وبمقارنة سلوك الإناث بالذكور نكتشف أن الإناث أكثر دقة وانضباطاً وأقل رسوباً مقارنة بالذكور؛ لذا وجدنا أن المرأة أكثر نجاحاً بإدارة شؤون الأطفال وتربيتهم من الرجل. وبالمقابل أكثر إيماناً بالتعاليم الدينية وإقامة الشعائر والفروض من الرجل. وعموماً فإن الإبداع [لا يزدهر بأجواء القهر والتسلط].

ما هي إذاً معوقات الإبداع التي تواجه المرأة المسلمة؟

هناك اختلاف بطرق التفكير بين امرأة وأخرى، وبين مجتمع وآخر، وهو ما اتفق على تسميته «طرائق التفكير» فبين العالم والجاهل بونٌ شاسع ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ولأن القدرات العقلية غير متماثلة فقد طالب الخالق عز وجل عباده المبدعين أن يتعمقوا في هذا الكون وكشف أسراره ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾.

ولأن المرأة المسلمة تختلف عن غيرها لإحاطتها بجملة من المعوقات والتعليمات فإن قدرتها على الإنجاز لن تكون بالمستوى المطلوب مالم يرفع عنها هذا الكابوس من «القهر والتسلط» فالسيدة شيخة النصف تدافع عن حقوق النساء في الكويت وتقول: «نأمل وصول صوتنا سواء وصلت المرأة إلى البرلمان أم لم تصل».

---

(١) سورة التين (٤).

فالأفراد كلهم قادرون على الإبداع ويمتلكون ملكة الإبداع لكن ذلك «يتوقف على المجتمع الذي يعيشون فيه»[1].

حتى نترجم ما قلناه بصورة فعلية يجب أن نضع إصبعنا على تلك المعوقات التي تحد من كفاءة ونشاط المرأة المسلمة:

١ ـ معوقات اقتصادية:

كالفقر وشح الموارد وسوء نظام التوزيع في المجتمع الذي تعيشه.. وهنا تقع المرأة ضحية لهذا الواقع أكثر من غيرها وتكون النظرة إليها وكما وصفها الدكتور: محمد الرميحي «نظرة المشتري إلى البائع، وهي معاملة تنطوي على الغمط والقهر معاً فتتراجع الموهبة وتتعرض الحقوق للنهب والقرصنة من قبل الرجل»[2].

٢ ـ معوقات إداريـة:

عندما تسيطر البيروقراطية على النتاج العلمي والاجتماعي والثقافي تعم البطالة ويهرب المبدعون ويزداد احتكار المنافع بيد الرجل الذي قد يحجبها عن أقرب الناس إليه وهي زوجته، ويزداد مع الفساد الإداري وتدني أخلاقيات المجتمع أعداد المنافقين غير المبدعين.

٣ ـ معوقات اجتماعيـة:

إذا سادت أسطورة (الأقوى والأضعف) سنجد انعزالاً للأطفال بعيداً عن الوالدين وستكون المرأة المسلمة في ازدواجية غريبة ووضع لا تحسد عليه. كيف توفق هذه الزوجة بين الرجل الذي يخرجها من بيتها بحجة السفر والترويح عن النفس أو الاصطياف في دولة بعيدة.. وبين الواقع

---

(١) د. عبد السلام عبد الغفار (التفوق العقلي والابتكار) ـ مصر.

(٢) د. محمد رميحي (المصدر السابق) ص ١١٤.

الذي من خلاله تترك في شقتها بانتظار الزوج الذي ذهب للسهر مع رفاق السوء.

٤ ـ معوقات سياسية:

ليس سهلاً أن تعيش الزوجة بعيداً عن زوجها الذي زج بالسجن دون أن تعلم حدوداً لهذه المعاناة.. صدقوني عند سماعكم للكثير من قصص الرعب السياسي ستقشعر أبدانكم وترتجف قلوبكم هلعاً من غرابة ما تسمعون «وهنا تتوارى الأصالة النافعة لتترك خلفها التزييف العقيم تماماً كما يحدث في أسواق النقود».

لمثل هذا الرعب بكت النساء وغاب عطاؤها ونضب زيتها الذي كان نوراً في دروب الرجال.. لمثل هذا الرعب السياسي هرب الرياضيون من ملاعبهم.. والمفكرون من دور العلم.. والأطباء والصيادلة والمهندسون من أماكن عملهم.. والأكثر من ذلك هربت الفضيلة من النفوس والشهامة من الرؤوس.. وبقيت الساحة فارغة لقارعي الطبول وشاربي الكؤوس؟؟!!..

٥ ـ دوافع الخير والشر بسلوك المرأة المسلمة.

يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾.

المرأة تتأثر بالخير والشر كغيرها من البشر، لكن إحساسها بالقسوة والظلم تكون مختلفة كثيراً عن غيرها إنها «كالترمومتر» الذي ينقل حالة الجو العام بصورة تلقائية لذا نجد أن المرأة غالباً ما تبحث عن الأجواء الرومانسية الهادئة بعيداً عن النزاعات وهذا لا يعني أنها ستكون مثالية بمنأى عن الأخطاء.. فقد تكذب وتصبح ذات سلوك شاذ وعدواني فهي تكذب للتباهي والمبالغة وتكذب لتصبح مميزة أمام نساء محيطها.

وبالعودة للوراء حيث الأدوار السلبية نكتشف الروح العدائية من خلال أدوارها وعند تذكر أوبراكارمن [الغجرية العاشقة المتوحشة] التي تسعى

للوصول لأرقى المستويات ، ولأن المجتمع يرفضها فإنها تستخدم سلاحها الأنثوي (الجنس) وتختار بتجوالها [دون جوازيه] رجل القانون فتحاول اختراقه بهدف الانتقام لنفسها من مجتمعها بعدها تطلب الموت لأنها وصلت لما تريده! .

هذا السلوك الغامض والعدائي الكامن بأعماق المرأة يقابله سلوك آخر أكثر . . والسؤال هنا :

هل تقبل المحصنة بالإيمان القيام بهذا الدور . . بالطبع سترفضه! .

وستبحث عن أدوار أخرى أكثر إيجابية وفائدة علينا إذاً التفريق بين هذا الصنف الذي تحول (الشيطان بقالب امرأة) وذاك الذي يرفضه .

إن الفتاة اللعوب التي تتلاعب مع زملائها كأحجار الشطرنج ولأن الشاب الذي لهث خلفها طويلاً يكتشف بعد مدة أنه [الاستنبه] التي تحمل لوقت الحاجة . . ويكتشف متأخراً أنه «الكومبرس» الذي تدرب على أيدي البطل الحقيقي (الفتاة) وهنا سيجد نفسه أمام خيارين :

الأول/ القبول بإكمال الدور .

الثاني/ الدخول إلى السجن .

على من فاتهم حل اللغز أن يتذكروا فيلم [الراقصة والطبال] لأخذ العبرة بصورة مجسمة ، وهكذا تطالب الفتاة المسلمة الملتزمة حصراً أن تبقى في دائرة التعاليم الإسلامية دونما تمثيل لها!

«كانت قوة المرأة لضعفها والرغبة بتفوقها والطلب لأنوثتها وهي فتنة المرأة وهذا سبب صراع الأقوياء عليها . فإذا خرجت للعمل عليها الهدوء والحجاب والحشمة»[1] .

---

(١) الكاتب محمود شاكر (مفاهيم إسلامية).

لـذا وجدنا أن المجاملات التي اعتادت المرأة التعامل بها ما هي سوى سلاح خفي ينجيها من الكثير من المطبات أدركت نجاعتها مع الزمن. وحتى لا يقع الرجل بشرك هذه المجاملات عليه التسلح بالعلم والثقافة الوعي الإيمان حتى يتمكن فك اللغز الذي مر عليه مرور الكرام لا لشيء فقط ؛ لأن معظم تفكيره كان منصباً على الحصول على الأمور المادية من المرأة ليس إلا لتأخذ تجربة أخرى عن دوافع الخير والشر لدى المرأة.

عن تلك المرأة التي تهرول للالتحاق بسوق العمل خارج بيتها لا حباً بالأجر المادي وإنما طمعاً بالحصول على الأجر المعنوي «فالحصول على منصب أو مركز والارتباط بعلاقة غرامية هما فعاليتان متبادلتان دون أن تفتقر الواحدة منهما على الأخرى».

وهذا يقودنا إلى القول إن فكرة الالتحاق بعمل جديد للمرأة المطلقة كانت نتيجة لزواج فاشل ومع ذلك فإن هذا الأمر لا يمكن تعميمه على العديد من المطلقات فسرعان ما تكون (الأعمال المفتوحة بالنسبة للنساء اللواتي لم يكملن التعليم الثانوي أعمالاً تتطلب الكدح.. لا يمكن إدراجها بالأعمال الرفيعة رغم أنها تؤمن صداقة ودخل وبغياب أقدمية العمل فإنه يعني أجوراً أدنى وتسريحاً من العمل أبكر»[1].

والآن: كيف نخلص المرأة المسلمة من همومها؟.

□ العلاج الديني.

«الفرق كبير بين من يشعر بالأمن ومن لا يشعر به فالأول يشعر بالثقة والاطمئنان والأمان والثاني يعيش خوفاً دائماً من فقدان رضا الآخرين في المجتمع». الدكتور: حامد زهران ـ جامعة القاهرة، مؤلفه (الصحة النفسية).

---

(١) الفنانة التشكيلية العراقية ـ ليلى عطار ـ عن المحرنيوز ١٨١/١٩٩٩.

□كيف نخلص المرأة المسلمة من همومها (العلاج الديني)؟

الكثير من الرجال بالغوا بعبارات المديح وصولاً لكسب المرأة من الخارج وإسقاطها من الداخل. . ولأن «الغزل عطر النساء» فإني لست مع الكاتب حسين شرف بقوله [لتهنأ المرأة بثرائها. . إني أحسد العطر عليها] فالثراء الخارجي لا يعبر عن ثراء الروح وغنى النفس. . فما فائدة الجمال إذا كان مبنياً على رذيلة. . وما فائدة العطر إذا كان الجسد وسخاً تنقصه الطهارة والاغتسال؟

أي ثراء هذا؟! وكان موضوع الرقيق. . موضوع الجنس والاغتصاب موضوعاً لترويح البضائع بأي ثمن أو كما تقول الفنانة التشكيلية ليلى العطار «ضبطت كل الرجال متلبسين بجرم تعريتي بعيونهم. . من يخدع من؟

الرجل أم المرأة ولم لا يكون هو الذي خرج من ضلعها. ما أكثر ما ترجم به المرأة في عصرنا بغير الحجارة حتى بتنا نترحم على أيام الرجم بالحجارة»[1].

قالتها وهي تحترق من الداخل كان هذا قبل أن تحترق فعلاً في صالة الرواق في بغداد مع لوحاتها ورسوماتها بصواريخ أمريكا المجنونة في عملية «ثعلب الصحراء» فمنشأ هموم المرأة المسلمة إذاً من الخارج ولا علاقة له بالإسلام ونظامه لأنه أصلاً لا يوجد نظام للإسلام مطبق على الأرض. ولأنها شرقية فإن سماتها وجمالها قد يكونان مبعث التعب والهم بجسدها وعقلها معاً. إن في سلوك المرأة المسلمة راحة وطمأنينة من الصعب أن تعيش مع نظيراتها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

«صحيح أن للمرأة همومها ومشاكلها وأحاسيسها ونفترض أنها أولى

---

(١) الفنانة التشكيلية.

من غيرها بالمعالجة وتسليط الأضواء.. ونفترض أيضاً أن الرجل المسيطر زور الكثير أو عرض من الخارج هذه الهموم والمشاكل التي تعاني منها المرأة. فالقمع يأخذ شكلاً هرمياً من الأعلى للأسفل وهكذا».

إن ما قاله الكاتب عبد الرحمن منيف كان سليماً في جوهره فالصبر والتجمل صفات تتمتع بها المرأة المسلمة وهو سلاحها.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾. لأن فيه ـ أي الصبر ـ الحد الفاصل بين الالتزام والتحلل وبين السلوك الشاذ والسلوك القويم. فالإيمان مشروط بالقوة والصحة النفسية والجسدية (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير).

إن تفريق أو فرز الصالح من الطالح وبين ما يرضي الله وما يغضبه لهو انتصار لا يمكن الفوز به من قبل نساء العالم كله ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

الفرق كبير جداً بهذا النوع من النساء العارفات لتعاليم دينه والمتفهم للطريق التي سيسلكها وذاك الذي أبطاله على شاكلة المسلسل الأمريكي [الحسان والشجعان] فالنص القرآني السابق أشبه بجامعة متكاملة تعج بعلوم العصر ومعارفه التي لا حدود لها.

* * *

هموم المرأة المسلمة
خطوات العلاج النفسي والديني

يختلف العلاج هنا بين ما يبنى على نظريات من صنع البشر وأخرى من صنع الخالق.. صحيح أن الإسلام وتشريعه جاء للناس كافة على هذا الكوكب. لكن الفوارق القائمة اليوم بين الشرق والغرب والشمال والجنوب لا تعني الإسلام من قريب ولا من بعيد!..

هذا ما أردنا أن نذكر به الآنسات والسيدات المسلمات ليس إلا..؟ فالعلاج الديني يهدف إلى «تحرير الشخص المضطرب من مشاعر الخطيئة والإثم التي تهدد طمأنينته وأمنه النفسي ومساعدته على تقبل ذاته وإشباع الحاجة إلى الأمن والسلام النفسي»[1].

أعراض الاضطراب النفسي:

منشأ الهموم برأي الدين: من أهم أعراض مشاعر الغضب والانفعال الناجم عن تصرف خارجي كما في إهانة الزوج لزوجته من مشاعر الذنب الشاذة والعدوانية (للجنسين). لذا خاطبهما القرآن بنفس القدر من المساواة «الزاني والزانية» «السارق والسارقة» «المنافقون والمنافقات».

فالاكتئاب الناجم عن التفكير بالانتحار قد ينجم من فقدان زوج أو انكسار نفس (صدمة) من تأخير الزواج أو الطلاق أو لمرض يصعب شفاؤه

---

(١) د. حامد زهران (المصدر السابق) صفحة ٣٧٧.

فالمرأة الكئيبة إنسان حزين فقد الحماس لأي شيء فأهمل لباسه ونسي واجباته وحتى أسرته مع ما يرافقه من أعراض مرضية كالتعب وفقدان الشهية للطعام والشحوب وأخيراً الانزواء فالموت؟.

لقد حذر الإسلام من الوقوع بالخطأ والمبالغة بالأحزان لدرجة العطب ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ ومع ذلك تبدو قاعدة الانطلاق واستقبال الحياة أكثر فائدة من توديعها؟

أي إن الأساس الديني العلاجي الذي أرساه الدكتور زهران كان مفيداً ومشجعاً للتخلص من الهموم الداخلة والأحزان أي المقلوب [في النفس المطمئنة التي توفق بين النفس الإمارة بالسوء وتلك اللوامة مع تنمية النفس (البصيرة)].

فالتربية الدينية إطار مرجعي للسلوك وصولاً لتحقيق توازن بين جانبي الحياة «المادي والروحي» للتوصل للتوافق النفسي وبناء الشخصية المسلمة التي ترجمها الرسول محمد ﷺ بحديثه [ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة. ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه] وما قاله الرسول استند بدوره للآية ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾.

فالعلاج بالإسلام يرتكز على ثلاثة عناصر متلازمة:

١ ـ التربية الدينية للمرأة المسلمة في بيتها قبل أن تتزوج وما بعد الزواج.

٢ ـ الصحة النفسية للمرأة المسلمة بعد قبول الزواج من رجل يحمل عوامل وراثية ممرضة كالعصاب والسكري والجذام والبرص وأمراض القلب والروماتيزم مع تمتع الزوجة بصحة نفسية وجسدية حفاظاً على نسلها.

٣ ـ امتلاك العقيدة والإرادة فالمغريات كثيرة. . أي التوازن بين الدوافع

والضوابط ولنا في قصة يوسف مع امرأة العزيز عبرة لكبح الشهوات وضبط النفس ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ ﴾[1].

فإرادة يوسف المرتبطة بإيمانه جعلته يرفض ما طلبته امرأة العزيز من فاحشة. فالصراع بين الإيمان والكفر كالصراع بين الحق والباطل وبين النور والظلام والحلال والحرام.. والخير والشر وينتقل بعد ذلك ليصبح صراع المرأة المسلمة المؤمنة مع مغريات الحياة فالحق وكما يقال يحتاج لشخصين [الواحد ليفهمه والآخر ليقوم بتطبيقه] فالصراع إذا استحكم بإنسان صرعه إن لم نقل قتله.

□ خطوات العلاج النفسي الديني:

١ ـ الاعتراف الذي يطهر النفس من الإثم ويخفف من عذاب الضمير كالحالة التي اعترف بها آدم وحواء بخطئهما للخالق كما ورد بالآية.

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

٢ ـ التوبة: وهو أمل المخطىء الذي تحطمه ذنوبه بالاستغفار من الله عز وجل. فالتوبة تعيد الثقة والطمأنينة للنفس بعد انهزامها من الداخل ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2].

٣ ـ الدعاء إلى الله ليعود للنفس الانسجام لكونه تعرف على أسباب مشكلاته ومبعث همومه ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[3].

فالعلاج الديني هو وسيلة يتقرب من خلالها المخلوق لخالقه سواء كان مريضاً أم سليماً لأن الإنسان مبني على الخطأ، ويحتاج دائماً

---

(١) سورة يوسف (٢٤).
(٢) سورة الزمر (٥٣).
(٣) سورة الرعد (٢٨).

لمساعدة الخالق بتخليصه من همومه ومشكلاته ذكراً كان أم أنثىٰ.

فالإسلام وسيلة لتحقيق الأمان والشعور بالسلام للنفس البشرية وهو هبة من المولى عز وجل تهدف لخير الإنسان وسعادته وتعينه على حل مشكلاته والتخفيف من همومه إن لم نقل إزالتها واقتلاعها من جذورها دون الاستعانة بالحلول المادية التي تعالج الجسد بعيداً عن الروح!.

ولأن الدين المعاملة فهو الطريق إلى المحبة الخالصة والعقل الذي يفصل بين الخلاص وراحة الضمير.

وبين الانغماس في الملذات والمحرمات، والذي لا يحقق إلا الندم والحسرة والضياع. ألم يكن القرآن بعد هذا شفاء للنفوس؟

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[1] صدق الله العظيم.

* * *

(١) سورة فصلت (٤٤).

الفقر والحروب والكوارث... بيت الطاعة

«الفقر والحروب والكوارث وما أكثر الربح فيها والخسارة.. بل والسطوة.

طوت المرأة أسطورة العائل والمعيل.. هن المعيل.

في عيد الأم تذكرت امرأة طردها زوجها من البيت.. لم أتصور أن الزوج يجر امرأة لا تريده إلى «بيت الطاعة» وأن المرأة ترمى حتى يخطر للزوج أن يطلقها. ويستطيع أن يتزوج خلال ذلك امرأة أخرى..».

الدكتورة ناديا خوست ـ نساء زماننا
في مناسبة عيد الأم ـ صحيفة تشرين ٢٢/ آذار ١٩٩٩

□ من الطبيعي أن يجتمع في حياتنا الأضداد. . ومن الطبيعي أيضاً أن تنال المطالبة كل ما هو سلبي وصولاً للأكثر إيجابية وصلاحاً. هذا هو ناموس العصر وكل عصر «فالعقيدة للمسلم هي الداخل والقانون الوصفي هو الخارج وليس هناك ازدواجية . . إن الله لا يكشف عن ذاته بل يكشف عن قوته وشريعته بالقرآن»[١].

فسواء رضيت النساء بما وصلت إليه من إنجاز أم لا . . فإن نسبة غير قليلة ستظل غير راضية بما وصلت إليه وسيبقى بنظرها صعب المنال والتحقيق مهما كان المجتمع متطوراً؟ فما يصيب الإنسان من ظلم وشرور مصدره خارجي من صنع الإنسان وقانونه الخاص ونتيجة حتمية لفساد هذا القانون وتخلفه إذ لا يفترض بالقانون السائد أن يكون عادلاً أو قريباً من العدالة ولا يفترض بالقانون المطبق في بلدان أوربة والخاص بالمرأة أن يناسب ما تطلبه المرأة هنا!.

وبمقدار ما يتغير فهمنا عن الواقع الذي نعيشه بمقدار ما ننجح بإدماج فكرنا وفهمنا في منظومات العالم المتطور المحيط بنا وهو ما يمكن تسميته التقاء الثقافات بدلاً من صراعها «كان البعث والخلود هدف المصريين القدماء عندما أقاموا حضارتهم فيما ضاع الإيمان بالهدف الكبير. نهبت المقابر. وتوقف التخبط وبناء الأهرامات وانتهت الحضارة! وبالمقابل كان نشر الإسلام وتطبيق عدالته هدف العرب جميعهم فلما ضعف إيمانهم انحطوا وضاعت حضارتهم»[٢].

فالعلاقة بين مكانة المرأة في بيتها وخارجه تخضع للربح والخسارة التي من خلالها تصبح عائلاً أو معيلاً.

---

(١) الفيلسوف الفرنسي ـ روجيه جارودي [المستقبل ـ ٤٢٨ ـ أيار ١٩٨٥٠].
(٢) الكاتب حافظ أمين [مقاييس حديثة للتقدم والتخلف].

فسواء جلست المرأة في بيتها أم غادرته بحثاً عن لقمة العيش فإن مسؤوليتها ستستمر في اكتساب العلم والمعرفة والثقافة لا بل التجربة التي تمكنها من اختيار هذا البحر العارم المسمى «الحياة» فالعيب وكما أسلفنا هو فينا وبكلمة أدق في النظام المثقوب والمخترق كثقب الأوزون أو كما يقول الشاعر العربي:

نعيب زماننا والعيبُ فينا وما لزماننا عيبٌ سوانا

فالاختراق لقانون «الأحوال الشخصية» المطبق في بلدان العالم الإسلامي مرده للعادات والتقاليد الموروثة والمكتسبة من الشرق والغرب والتي لا تزول إلا بزوال مسبباتها مع إعادة تطبيع الأنظمة الإسلامية على تقبل الفكر والتشريع الإسلام كل منطقي لمشكلاتنا!.

هذا على الأقل ما أراد الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ فالتغير هنا لا يعني تبديل قانون بآخر بل تبديل قناعة بأخرى والذي يجب أن يتناول:

□ المفاهيم والمعتقدات الخاطئة.

□ العلائق الاجتماعية القائمة على مصالح مادية صرفة.

□ القناعات المريضة المحمولة عبر السنين التي كانت لخدمة الأنظمة ليس إلا..

فالقوة سواء كانت للقانون أو للحاكم الذي وصفه.. وسواء كانت للرجل أم للتشريع الذي يحكمه في مسألة الطاعة والقوامة مثلاً.. فيجب أن لا تفهم أن تلك القوة يجب أن تكون الطاعة والقوامة مثلاً.. فيجب ألاّ تفهم أن تلك القوة يجب أن تكون مطلقة وبلا حدود «فالقوة هي التي تستطيع من خلالها إجبار الآخرين على طاعتك في حين ـ السلطة ـ

هي الحق بأن توجههم أو تأمرهم لطاعتك»[1].

فإذا اجتمع الاثنان (السلطة والقوة) في شخصٍ واحد تحول إلى طاغية سواء كان ذلك على المستوى الضيق (الزوج) أم الواسع الحاكم.

ولنا بالقرآن قدوة وعبرة لمثل هذا الطغيان والجبروت.

﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾.

ولأن هذا النموذج من الطغيان لا يعترف بقانون أو تشريع إلهي فإنه يسخر كل شيء بما فيه (المرأة) لمصلحته الشخصية فالطغيان «تدمير لقيم الإنسان الأخلاقية» فالزوج المستبد يقود أسرته بكاملها بنرجسية كريهة إلى الهلاك.. «تلك الشخصية الفقيرة باطنياً المقدسة لمظاهرها الخارجية الذاتية والمحتاجة لإعجاب الآخرين» أي إن الزوج لا يستند بعلاقته مع زوجته وأسرته لمرجعية قانونية بل يقوم بتشويه صورتها وعكسها لمصلحته الشخصية.

وهنا يتساءل المرء:

هل صحيح أن قضية المرأة هي جزء من القضية الاجتماعية والمرتبطة بالاضطهاد العرقي والطبقي..؟

الجواب نعم.

فالأمومة وظيفة اجتماعية والتسهيلات الاجتماعية تستدعي مساهمة المرأة المسلمة في النشاطين [الاجتماعي والسياسي] إضافة لمهمتها بالنشاط الاقتصادي والتنمية الاقتصادية ، فعندما يتحدث الاشتراكيون عن مساواة المرأة بالرجل فإنهم يقصدون المساواة الاجتماعية وليست المساواة في القابليات البدنية والروحية وتلك التي تناولها الاشتراكيون تمثل أساس [القوامة] في الإسلام والمرتكزة أصلاً على القدرة البدنية

---

(١) ماريتان [السلطة والقوة] عن كتاب [الطاغية] عبد الفتاح إمام.

والقدرة الاقتصادية والعامل الاجتماعي كمرجع ليستمد منه معاملته لزوجته وأولاده.

فالذين تصوروا أن مسؤولية المرأة تجاه بيتها وزوجها وأولادها تذوب أو تنتهي لمجرد علاقة المرأة المسلمة بزوجها علاقة حميمة.

فالمسؤولية بينهما مشتركة والفواصل بينهما ليست متضاربة كما يعتقد بعضهم بحكم الآية ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[1].

ونكون إلى هنا قد أوضحنا ما قصدته الدكتورة: ناديا خوست وبالعودة إلى البدء حيث موضوع [بيت الطاعة].

وأنا بدوري لا أتصور ذلك. لكني مع ذلك سأتحدث عن هذه المسألة التي باتت هماً يثقل كاهل المرأة. بالعودة لبحث الحقوق المالية للمرأة نتذكر حقها في السكن.. هذا السكن المشروط بالراحة والأمن وهو نفسه السكن الذي اختاره الزوج لها وقبلته مع بداية زواجها. بينما بيت الطاعة المطبق في قانون «الأحوال الشخصية» الذي استمد مرجعيته من الحقبة العثمانية ولا أساس له ولا مرجع في القرآن. هذا البيت إن صح التعبير هو «وكر» يصلح لسجن الإنسان الخارج عن القانون لا بيتاً.. ولأن كلمة الطاعة التصقت بهذا البيت وكأننا نريد أن نسميه بيت التأديب والعقاب والزجر لأنه لا طاعة لمخلوق في عصيان الخالق، ويحق للمرأة هنا أن ترفضه جملةً وتفصيلاً.. لا بل يحق لها بحسب الشرع رفض الزوج نفسه ما دامت لا ترغب أن تعيش معه..

وإلا فيجب أن يكون سكنها كما أراده القرآن ﴿... أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة (١٨٧).

(٢) سورة الطلاق (٦).

فسياسة المعاملة بالمثل أو الاحترام المتبادل التي أرادها الإسلام لا تعطي الزوج صلاحية طرد زوجته من بيتها ومطالبتها بالالتحاق في بيتٍ آخر فاقد لشروط السكن. . هذا الاحترام يستند الآية ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[1].

فإخراج الزوجة من بيتها مرفوض إلا في حالة ارتكاب الزوحة للفاحشة الثابتة قطعاً والمستندة أيضاً للآية ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾[2].

فكلمة [بيوتهن] الواردة بالآية هي دليل ثابت أن البيت للمرأة كما للرجل وحتى القضاء في مصر يعتبر أن البيت من حق الزوجة استناداً لهذه الآية.

أما كلمة: [ولا يخرجن] هو صلاحية شرعية للمرأة بالتمسك في بيتها مع تمنعها من الخروج منه ما دامت تعرف أنها لم ترتكب تلك الفاحشة المنسوبة إليها والتي هي أصلاً من اختصاص القضاء وليس الزوج؟.

«فالمرأة وهي مقهورة في بيتها تتحول لكارثة مستعدة أن تلقي اللعنة على أطفالها في الوقت نفسه وخارج حديقة المنزل الجافة المسيجة ينبت الحب كالعشب الضار حيث يملك حريته. يلتقي الرجال والنساء على قدم المساواة»[3].

إن الرجال الذين يطالبون زوجاتهم بالمكوث في البيت على مضض ويبيحون لأنفسهم الهروب منه لا يعلمون أن هروبهم هذا أصبح هماً

---

(١) سورة البقرة (٢٢٨).
(٢) سورة الطلاق: (١).
(٣) اليزابيت جينواي (مكانة المرأة في عالم الرجل).

حقيقياً تعيشه المرأة المسلمة نفسها لا زوجها. . فالمكوث في البيت لا يخرج عن ثلاثة تصورات هي:

□ إجراء ناجم عن سلطة الزوج واستجابة لطاعته [طوعاً وكرهاً].

□ نتيجة حتمية لفشل الزوجة في التأهيل والتعليم ونضوب رصيدها الفكري والاجتماعي.

□ قرار اتخذته الزوجة بمحض إرادتها وناجم عن قناعة ذاتية أو مشتركة في سبيل استمرار الحياة الزوجية السعيدة وبناء أسرة قوامها الاحترام المتبادل.

إذاً نخرج بتصور أن «الطاعة الزوجة» حق من حقوق الرجل على زوجته بالمعروف بينما «بيت الطاعة» بالشكل المتعارف عليه عبارة عن بدعة لا أساس لها في التشريع الإسلامي وهذا ما يؤكده الشيخ جمال السراج مفتي القدس الشريف «بيت الطاعة عبارة عن بدعة وهو من مخلفات لأعمال شطب رجال الدين بعضها وأبقوا على البعض الآخر. . فيحق للزوجة أن ترفض الالتحاق فيه وطلب الطلاق من زوجها إذا كانت لا تريده».

قضية أن تعمل المرأة أو لا تعمل. . هذا شأنها وقرارها.

ومع ذلك تعترف سيدات من المجتمع من النساء العاملات التوفيق بين العمل خارج البيت والعمل. داخله السيدة الكويتية هناء عبد الرحمن تقول «نتيجة لذلك ستهمل المرأة العاملة نفسها وستظهر عليها بوادر الإرهاق والشيخوخة والملل والعجز بسرعة وهي في عز شبابها والمشكلة الأكبر عندما يفكر الزوج في البحث عن زوجة أخرى أكثر شباباً وجمالاً وهكذا تعيش المرأة العاملة تحت ضغوط جسدية ونفسية. . نسبة قليلة من

الأزواج يشعرون بمعاناة الزوجة ويساندونها مما ينعكس على الأطفال والجو الأسري فيسعده»[1].

ولأن الرقص يحتاج لشخصين فإن عملية التوفيق بين البيت والعمل تحتاج لمشاركة الثنائي فالزوج الواعي المثقف يدرك أن الزوجة بعملها تقدم تنازلات على حساب راحتها وصحتها. لكن هذا لا يبدو تعميماً يمكن سحبه على جميع الرجال. الاختصاصي الاجتماعي عماد سالم يعارض شكوى المرأة العاملة معتبراً أن المعاناة من نصيب الرجل وليس المرأة فالحياة الآن بنظره [سهلة إذا ما قارناها جيل الأمهات والجدات فهناك الخادمة التي تقوم بكل شؤون البيت والأجهزة الكهربائية التي تجعل من أعمال البيت أعمالاً بسيطة. أما الزوج فهو يتعب ويخرج للعمل لتوفير حياة سهلة للزوجة والأولاد أعتقد أن المستوى الثقافي له دخل كبير في مدى التفاهم بين الزوجين][2].

لكن السيد عماد سالم خاطب ربات البيوت والعاملات كشريحة من النساء تنعم بما ذكره من خدم وحشم وأدوات كهربائية حديثة ناسياً أن بعض الزوجات العاملات لا يجدن وسيلة ركوب الذهاب والعودة من عملهن.

سوسن عبد اللطيف عميد كلية الخدمة الاجتماعية بدولة الكويت في العام ١٩٩٥ تقول: [أقولها بصوت عال إن المرأة العاملة أسعد بكثير من ربة البيت التي تعاني من فراغ قاتل يعكس مشاكل كثيرة لزوجها لكن المشكلة رعاية الأولاد].

إن ما تراه السيدة سوسن ينطبق على كثير من النساء العاملات وحتى

---

(١) هناء عبد الرحمن [عندما تصرخ المرأة العاملة] سيدي ٧٢٢/ ١٩٩٠ صفحة ٥٢.

(٢) عماد سالم: باحث اجتماعي ـ الكويت ـ المصدر السابق.

أولاد العاملات يمتلكون ثقة بالنفس بدرجة عالية مقارنة بغيرهم ، فالعزلة التي تعيشها ربات البيوت وبخاصة اللواتي لم يحصلن على مؤهل علمي أو رصيد ثقافي يجعلهن أكثر انخداعاً لبعض الأشخاص.

منى عبد الحميد رشاد باحثة اجتماعية من مصر (ماجستير آداب ـ جامعة عين شمس) أجرت بحثاً على مئتي عائلة (أي زوجة) عاملة وكان البحث بعنوان [العلاقة بين عمل المرأة المسلمة وتسلط الزوج].

وكانت النتيجة: أن أي امرأة تدعي أنها تحررت بعملها من سلطة الزوج فهي واهمة وتقول «.. أما المرأة التي اقتنعت بدورها كأم ومربية هي أكثر سعادة واستقراراً واستمتاعاً بالحياة».

نخلص إلى القول:

إن الأزواج في المجتمع الإسلامي (دراسة خاصة) لا يتقبلون فكرة عمل زوجاتهم ولاسيما طبقة التجار والمقاولين والأمراء ورجال الدين والذين يتقبلون ذلك عن رضا وقناعة هم المثقفون من الأطباء والمهندسين وكبار الأدباء.. أما الفئة الثالثة أو الشريحة الأكثر اتساعاً فهم من ذوي الدخل المحدود الذين تعرضوا بحياتهم لهزات اقتصادية مستمرة ومستوى من المعيشة متدنٍّ هؤلاء وافقوا على أن تعمل زوجاتهم على مبدأ [مكرهاً أخاك لا بطل] بقصد رفد دخل العائلة وعلينا أن نعترف أن إطلاق سراح الأنثى غير المؤهلة للعمل يفرض عليها التعامل مع أنماط مختلفة وهو ما يجعلها في وضع غير متوازن قد لا ينتهي بسلام... أما النساء المتزوجات فإن صمودهن في سوق العمل يتوقف على جديتهن وحسن تربيتهن.. فالزوجة الهشة التافهة سواء عملت خارج بيتها أم بقيت فيه فإنها ستكون كالزجاج المشعور لا تدري متى يكسر؟؟!.

«البيت مملكة النساء».

تحت عنوان [ارحمني يا زوجي العزيز].

كتبت السيدة هادية رشاد [. . البيت مملكتي وأنا وجدت السعادة لأسرتي لأنني وجدتها لنفسي] لنقرأ وبشيء من التفصيل ما قالته السيدة رشاد «أنا اشترطت على زوجي قبل الزواج ألاّ أعمل. . أنا لا أحب (البهدلة) خاصة أن زوجي لا يحتاج لمرتبي. . المرأة العاملة تضطر لتأجيل أعمالها. . أنا لا أشعر بالملل زوجي في عمله ، أولادي في المدرسة. . أسمع الموسيقا. . أمارس الرياضة ، أخرج إلى النادي مع الصديقات. أما عن المشاكل فسواء كانت المرأة عاملة أم لا البيت لا يخلو من مشاكل. . أنا أعتقد أن البيت مملكتي».

إذاً كلمة السرقي إبداع المرأة هو حبها لعملها واقتناعها به.

عمر أبو ريشة الشاعر العربي العريق يقول رأيه في هذا المجال «أرفض العمل للمرأة إن لم تكن محتاجة كلها في اعتقادي ما هو أسمىٰ من الأعمال مهما عظمت خارج البيت ـ المرأة الزوجة ـ المرأة الأم ـ المرأة ملكة البيت ، والرجل والأطفال رسالتها في البيت وهي رسالة إبداع خلاقة لها».

* * *

موقع المرأة المسلمة من نساء العالم

الأسرة الأوربية مقارنة بالأسرة الإسلامية.

موقف المرأة المسلمة من الحداثة.

حقوق الطفل.

المرأة المسلمة والطلاق.

الاختراق الذي حصل لحضارتنا العربية الإسلامية سببه الحضارة الغازية بعلومها وإعلامها. . فسواء كان هذا الغزو سلبياً أم إيجابياً فإن الأنظمة في العالم الإسلامي والقائمة على القمع ومصادرة الحريات هي السبب. . هذا القمع أثر في المرأة أكثر من الرجل لأنها بالأساس مصنع الرجال.

الشاعر نزار قباني يتحدث عن مستقبل نسائنا وأطفالنا في العالم العربي بلغة صريحة لا تخلو من التشاؤم «المستقبل كله غامض ، ونحن صرنا مسلوبين من أوطاننا نحن لا نملك حتى جوازات السفر. . في مطار أوربي أشعر بمركبات النقص. . أشعر كأني أخبىء شيئاً كأني لص. .؟ أو مهرب. . أو مجرم حتى أثبت براءتي. . هذا هو وضع العربي لاسيما بعد كل حوادث الانفجار»[1].

وعندنا سؤال: هل يعاني الشعر أيضاً في وطننا العربي؟ أجاب:

«. . الشعر والغناء والموسيقا. . بحاجة إلى مناخ من الحرية والليبرالية أما حين تشعر أن أحداً يراقب أوراقك أو يراقب صوتك ويقص لسانك فأنت ترحل».

لقد توالت على عالمنا العربي الهزة تلو الأخرى وكان لذلك أثره في تشتيت الطاقات وضياع المواهب. . واستنزاف الخيرات. ماذا تتذكر المرأة المسلمة؟

□ في لبنان الذي ذبحت مع أطفالها من الوريد إلى الوريد.

□ في العراق الذي لم تسلم فيه أشجار النخيل والجسور الجميلة التي تربط قراه.

---

(١) نزار قباني ـ مقابلة مع مجلة سيدتي أجراها مفيد فوزي ـ فندق الرشيد ـ بغداد.

□ في الجزائر حيث تجربة قتل النساء والأطفال بالفؤوس وباسم الإسلام.

□ في فلسطين حيث المقدسات تخضع للمساومة وتجرر المرأة مع أطفالها بصورة مخجلة تهز المعتصم بالله في قبره.

□ في أفغانستان بلد الأشباح والتي حوّلوها إلى خراب تنعق فيها الغربان.

□ في البلقان التي أصبح فيها اغتصاب النساء مشهداً مغرياً على شاشات التلفزة العالمية!..

□ في تركيا حيث تمنع المرأة المسلمة من وضع الغطاء على الرأس ويطارد الشرفاء إرضاءً لأعداء الأمة.

ماذا عليها أن تتذكر (الصومال ـ السودان ـ إرتيريا ـ ليبيا ـ مجازر قانا ونزوح أبناء الجولان الذين لا زالوا ينتظرون الفرج من أين.. لا يعلمون أولئك ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾.

ويبدو هنا الوجدان القمعي كقاسم مشترك بين عناصر المجتمع على اختلافها، «فعدم تعرض المجتمعات العربية إلى تغيير جذري في تركيبها الطبقي الموروث.. إذ يكون التغير الاجتماعي حتى الآن على درجة من عدم العمق تمنعه من أحداث تحولات جذرية في سلوك الناس ووعيهم.. فالذي تغير الأشكال.. فقد تم تنحية الإيمان الديني لصالح الإيمان السياسي»[1].

مرة أخرىٰ..

أين ستجد المرأة المسلمة ذاتها؟..

---

(١) هادي علوي [تاريخ التعذيب في الإسلام] الصفحة (٧٧).

○ مع الرجل الذي ألقى بها في سوق العمل على حساب جسدها وأنوثتها تحت شعار دعم موارد العائلة وتحسين مستواها.

○ أم المجتمع بكل منظماته التي أغرقت المرأة بالوعود والشعارات. مع مقارنة همومها مع هموم المرأة في أوربة نكتشف أن المرأة الأوربية عانت كثيراً من ويلات الحروب والتفرقة العرقية ستقوم بتسليط الضوء على هذا الجانب المظلم في حياة نساء العالم ليكون عزاء للسيدات في مجتمعنا الإسلامي.

□ **المرأة في أوربة ومنظومة الزواج:**

لا تخلو أسرة في أوربة الغربية أو الشرقية من معاناة فاقت بثقلها معاناة المرأة المسلمة فما بين (١٩٣٩ ـ ١٩٥٣) عملت المرأة في انكلترا بالمصانع ومحطات السكك الحديدية وفي الحرب الثانية وما أعقبها عانت نساء أوربة من الجوع والفقر والتشرد ووقفن في طوابير التموين مع فقدان نسبة عالية من الرجال.. وكان على المرأة أن تقوم بدورها ودور زوجها الذي افتقدته!

ولم يكن نصيب المرأة الروسية ونظيراتها في دول أوربة الشرقية بأكثر حظاً لقد عملت النساء في المعامل والمزارع الجماعية وتنظيف الطرق والخدمة في المطاعم والفنادق والنوادي العامة والخاصة.. وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي كبرت المعاناة وتجسمت الهموم وأصبح عدد هائل منهن متسولات أو مهاجرات طلباً للرزق حتى لو كان ملوثاً!.

فالزواج تعرض لهزة عنيفة لعدم قدرة الشباب على إنجازه وأصيبت مؤسسة الزواج بالعطب من الداخل.. في سن الثامنة عشرة ينفصل الشبان ذكوراً وأناثاً عن ذويهم.. وتضيع المسؤولية ويحدث الخرق للأسرة عن طريق التشرذم فالاجتماع بين أفراد العائلة يحدث بالمناسبات كأعياد الميلاد أو بالمصادفة.. والمواعيد تضرب بالهاتف أو الفاكس وتبدلت

صلات القربى بعلاقات «تخصص الأعمال». . الباحثة الاجتماعية [هتدنال كونترول ..H.CO] من ولاية الكنسا بالولايات المتحدة الأمريكية أجرت دراسة على عينات من المجتمع الأمريكي وكانت النتيجة: أن ١/ ١٠ من العائلات الأمريكية يمتلك سلاحاً فردياً جاهزاً للإطلاق في كلِّ لحظة؟. .

ولأن القانون الأمريكي يجيز امتلاك السلاح دفاعاً عن النفس فقد خرج الأمر من أيدي مكافحة الجريمة وليس هذا فحسب بل خرج من أيدي من يملكه. ففي الولاية نفسها (الكنسا) استطاع طفلان في مدرسة ابتدائية من إطلاق النار على زملائهم فقتلوا منهم أربعة مع أستاذ في المدرسة كان هذا في العام ١٩٩٨ وتشير الإحصاءات لنفس العام أن خمسة عشر مراهقاً يلقون حتفهم كل يوم في هذا السن فقط.

وأن مجموع القتلى في حوادث مماثلة بلغ [٥٥٨٥] في أمريكا مقابل [١٠٥] قتيلاً في فرنسا.

وتحاول وزارة الداخلية الأمريكية وضع غرامة تعادل عشرة آلاف دولار على بيع السلاح للقاصر، وتباشر وزارة الشؤون الاجتماعية حملات توعية للقاصرين تتناول طرق استخدام السلاح وترشيدهم بعدم استعماله إلا بالضرورة القصوى كالدفاع عن النفس. واستطاعت الكثير من الشركات المصنعة للسلاح تزويدها بأجهزة تحكم خاصة بالإطلاق بحيث لا يستطيع استعمال السلاح إلا صاحبه حصراً.

حالات الطلاق في المجتمع الأمريكي:

تقول الباحثة الأمريكية [جوديت فاليريتشاين]:

«إن سلوك الأسرة في أمريكا تحكمه المصلحة الخاصة».

لقد تبدلت طقوس الزواج لا بل تبدل المفهوم الذي من خلاله يتعهد كل زوج وزوجته أمام الكاهن في الكنيسة في التلاحم بالسراء والضراء

وانقلب عهد الزوج إلى ما يسمى [مشروع الزواج] هذا العهد تبدل بأهزوجة . . تماماً كاستبدال النشيد الوطني لأي بلد بأغنية غرامية الأهزوجة تقول «أنا في حالي وأنت في حالك. فأنا لم أوجد في هذا العالم لأسير وفق هواك. وأنت لم تعي كما أتوقع. فأنت أنت ، وأنا أنا ، وإذا حدث صدفة أن توافقنا وهذا شيء جميل فإن لم يحدث فما حيلتنا»[1].

□ أي إن الخطوبة صداقة عابرة.

□ والزواج تجربة قد تنجح أو تفشل مع أنها فاشلة سلفاً.

□ وشهر العسل نزهة أو رحلة للترويح عن النفس ليس إلا.

□ والتوافق الزواجي محكوم إن لم تقل يترك للمصادفة.

□ فالزواج برمته عبارة عن /طفرة/ حصلت بالمصادفة. وتشير الإحصاءات أن الأطفال المهددين من آثار الطلاق ٤٥٪ وعدد المطلقين زاد على ٢٠ مليون حتى نهاية ١٩٩٩ بعد أن كان ١٧,٥ لعام ١٩٩١ وتقول الباحثة جاديت التي دام بحثها ٢٥ عاماً «إن الأطفال من الطلاق بأمريكا يعانون الاكتئاب ويتخلفون في برامجهم الدراسية ويجدون مشقة بإقامة علاقات اجتماعية مع أترابهم من الأطفال العاديين فضلاً عن الاحتفاظ بهذه العلاقات».

ومع ذلك بعد أن يكبر هؤلاء الأطفال يصبحون وقود المشكلة عن طريق انحرافهم وتشردهم الذي يقودهم لتعاطي الكحول والمخدرات ومع ذلك يسيرون بالحياة بلا هدف تنقصهم الثقة بالنفس في خلاف دائم مع والديهم.

إذا ما كبروا وخاضوا تجربة الزواج عادوا سيرة آبائهم أي إن (التاريخ

---

(١) باول لوفريد [المجتمع الأمريكي والطلاق] صفحة (١٩).

يعيد نفسه) وغالباً ما تنتهي الحياة الزوجية بالطلاق أو الانفصال بلا إجراءات طلاق وهنا تصبح المرأة معلقة. وهنا تعارض واضح بين ما يجري هنا وما هو قائم بالتشريع الإسلامي ، فقد حذر القرآن من هذه المسألة وذلك حفاظاً على كرامة الزوجة وحسماً للخلافات الزوجية بقوله تعالى: ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾.

ومع كل هذا يأتي من يقول: إن أمريكا أقوى دولة في العالم إن لم يكن هي القوة الأولى الوحيدة بالعالم.. وهذا صحيح لكن هناك فرق كبير بين احترامك وتقديرك لهذه القوة وبين إجبارك على هذا القبول وكما يقول باولوفريد «إن تضليل عقول البشر هو أداة قهر إعلامية أو تطويع الجماهير لأهدافها الخاصة».

فالمتاعب الجديدة التي عصفت بالأجيال بدأت تتراكم على السطح وتبدو بشكل شرور وفتن يومية لعشرات الملايين من البشر ، وإن الجمهور الأمريكي هو الخاسر الأول من جراء هذا الإعلام الموجه. ويقول مؤلف كتاب [المتلاعبون بالعقول] هربرت. أ. شيللر:

«فمن الصعب تماماً بالنسبة للكثيرين أن يوفقوا بين حجم إنتاج قومي يزيد على تريليون دولار؛ وبين الإهمال المتعمد والمذهل لكبار السن والفقراء والمرضى والأغلبية من السود والسمر والحمر.. ويصعب على الكثيرين أن يفهموا كيف ينتج نظام اقتصادي كميات هائلة من السلع الغريبة المضحكة وعدد لا يحصى من الخدمات ذات الأهمية الثانوية كالمؤسسات المخصصة لتربية الحيوانات المدللة في الوقت الذي يعجز فيه (النظام الأمريكي) عن توفير الأطباء البشريين وأطباء الأسنان والتعليم الكافي وغير ذلك من الخدمات الاجتماعية الأساسية».

وبكلمة موجزة لقد انقرض في أمريكا البعد الإنساني.

الجوانب المشرقة في المجتمع الإسلامي:

أ ـ حقوق الوالدين: من غير المعقول أن تحبل الأم بالأطفال وتمضي سنيّ عمرها في رعايتهم وتربيتهم وتجد بعدها من يرفض هذا الإنجاز العظيم.

وكذلك الأب الذي يتآكل وهو يشقى لتأمين مستقبل واعد لهؤلاء الأولاد مع والدتهم دون أن يلقى رداً لهذا الجميل. لهذا طالب الخالق برد الجميل إكراماً له مع والدتهم، إكراماً لهؤلاء جميعاً ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ لدرجة أن الكلمة الجارحة لشعورهما تعتبر عصياناً للخالق وأوامره ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

وليس هذا فحسب بل طالبهم القرآن بالرحمة ولو كانت محملة بالإذلال. ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ هذا الفعل طولب به الأولاد اليافعين لوالديهم الذين أسرفوا إن لم يكن وصلوا إلى «أرذل العمر» بقوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾.

فكلمة عندك تحمل من المعنى مالم يفهمه الملايين من البشر لم يقل الخالق [عند غيرك] لأن مسؤولية رد الجميل من اختصاص الأولاد لوالديهم.. فالذين استغنوا عن خدمات والديهم بوضعهم في (دور العجزة والمسنين) أو تحويلهم بدافع الطمع بالثروة والإرث إلى (المصحات العقلية) بعد إلصاق تهمة (الخرف والسفه) بهم كل هذا يجب أن لا يحصل معك أو [عندك] وأمام ناظريك أيها المسلم؟؟.

إنه تذكير بأهمية صلة القربى والرحم والتي اعتبرها الخالق عز وجل كحقوق مفروضة على الإنسان لا يجب التنصل منها أو إنكارها ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾.

ب ـ حقوق الطفل:

الكثير يعتقد أن مهمة الأم تنتهي مع الولادة ويعتقدون أكثر من ذلك أن الأطفال لا يحتاجون لكثير رعاية حتى يصبحوا يافعين، فللطفل حقوق ذكر بها الرسول محمد ﷺ المسلمين (ليس منا من لا يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا). ومن حقوق الطفل:

□ حق الرضاعة الطبيعية لصحة الأم وطفلها حتى يكتمل نموّه حسب الآية: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾[1].

وبحالة تعذر الرضاعة من قبل الأم لسبب ما يدفع الزوج أجرها حتى لو كانت طليقته. والرسول محمد ﷺ جعل افتداء الأسرى بغزوة (بدر) بأن يعلم الأسير منهم عشرة من أطفال المسلمين القراءة والكتابة ويحثنا على التعليم فيقول «علموا أولادكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم» والرسول نفسه كان أمياً تلقى علومه عن طريق الوحي بقدرة خالقه عندما خاطبه قائلاً ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾.

وهكذا يتم التعامل مع الطفل بالإسلام من الألف إلى الياء لإعداده إعداداً سليماً جسماً وعقلاً «علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل» هذه وصية الرسول لأمته وحثهم على التخير بانتخاب العوامل الوراثية المتفوقة بالزواج من الأباعد «تخيروا في نطفكم فإن العرق دساس».

وهكذا تصبح شريعة الطفل وحقوقه قضية متكاملة تبدأ بالأم والأب وتنتهي بالمجتمع.

ج ـ المرأة المسلمة والطلاق:

قبل الخوض بأسباب الطلاق والدواعي التي تحكمه سنزود القارىء

---

(١) سورة البقرة: ٢٣٣.

بجدول من خلاله يستزيد بالأمور المتعلقة بالطلاق تاركين الاستزادة بالرجوع لكتب الفقه ونذكر تسهيلاً للقارىء الآيات مع الموضوع الذي تعالجه.

مسلسل	السورة والآية	الموضـــوع	ما ترشـــد إليه
١	النساء (١٥ ــ ١٦)	الفاحشة	الخيانة الزوجية الثابتة
٢	النساء (٣٤)	نشوز النساء	الخروج عن المألوف والتمرد
٣	النساء (٣٥)	التفريق بين الزوجين	حالات قبل الدخول بالزواج وما بعدها
٤	النساء (١٢٨)	نشوز الرجال	الشطط للزوج
٥	النحل (٣٣)	تحريم الزنى	العقاب للزوج والزوجة
٦	البقرة (٢٢٢)	الشذوذ في العلاقة الزوجية	الاتصال المحرم من الزوج لزوجته
٧	البقرة (٢٢٣)		
٨	النور (٣٧)	إكراه الفتاة على البغاء	عدم إكراه الفتيات على البغاء من قبل الأهل

وعلى أي حال مهما كانت موجبات الطلاق فإنه سيبقى [أبغض الحلال إلى الله] أما الذين يقذفون النساء بشرفهن فوضع الله عقاباً لهم ما لم يثبت صدق ما يدعون. وهنا يأتي السؤال:

□ هل الخيانة الزوجية والطلاق نتيجة من نتائج الاختلاط؟ . .

في القسم الثاني من هذا الكتاب أفردنا بحثاً متكاملاً عن الاختلاط وموجباته في مجتمعات غالت في التعصب وأخرى أفرطت في التحرر . . !

ما يهمنا بالحالتين الخلفية السلبية لهذا الاختلاط إذ كيف تجيز فتاة لنفسها الاشتراك بدورة ألعاب أولمبية (كدورة سدني 2000) وهي تعارض تصويرها من قِبَل أجهزة الإعلام لدواعٍ أخلاقية . . وإلا فالأجدر بها ألاَّ تشترك في مثل هذه الدورة ، فالهدف يحدد النية والإسلام يدين الأفعال وليس النوايا إذ كيف يمكن أن تحكم على امرأة بالزنى دونما إثبات؟! في صيف ١٩٨٢ حضر إلي صديق من إحدى الدول الشقيقة مع زوجته وشقيقاته وطلب مني السفر إلى الساحل السوري للاستجمام على شاطىء البحر . . وكان من بصحبته يلبسن الحجاب . . فذكرته أن رحلة البحر تختلف عن زيارة ضريح خالد بن الوليد في حمص . . إذ لا يجوز أن تكون زوجتي مكشوفة الوجه أمامك وزوجتك مع شقيقاتك يضعن الحجاب على الوجه . . فوافق مقتنعاً وأمر زوجته وأخواته بإزالة الغطاء عن وجوههن[1] .

في هذه القصة تذكير بأن لكل زمان خصوصية ولكل أمة عاداتها وتقاليدها فالذين نزلوا البحر وسبحوا فيه يختلفون عن أولئك الذين نظروا إليه عن كثب . . والذين اختاروا أصدقاءهم عن دراسة وتجربة يختلفون عن أولئك الذين لا زالوا يحكمون على البشر من خلال أشكالهم أو طريقة انتمائهم . . فالاختلاط بالأقرباء بلا هدف لا زال أمراً شاذاً . .

سنضع القارىء أمام رواية من واقع مصر للتعرف على سلبيات الاختلاط بالغرباء .

---

(١) هذا التصرف ليس ملزماً ، وهو تصرف مخالف للشرع «الناشر» .

بطلتها امرأة من طنطا تزوجت من رجل فقير يخرج صباحاً ويعود مساءً للحصول على لقمة العيش مع هذا الواقع تعرفت الزوجة على رجل ميسور استطاع إغراقها بالمال والهدايا واتفقا على التخلص من الزوج بقتله.. وهذا ما حصل!

حتى تتمكن هذه الفئة من معرفة طريقها وتلمس دروب الخير خصوصاً لمن فاتهن قطار الثقافة والتجربة.. فالحياة لازالت تنبض بكل جديد وتستطيع الفتيات اللاتي لم يتعلمن من مدرسة الحياة دخولها بطرق شتى سنقوم بذكرها.

* * *

آداب التصرف

(الأتيكيت)

«فليس هناك امرأة تفهمك حق الفهم قد تفهمنا مجاملة ولكن يبدو لي أن تداخل الأمزجة والهموم والابتسامات شيء صعب. البطل دائماً وحيد..؟

حتى على المسرح لذلك من الصعب أن تستوعب المرأة كل شيء فيك.. أبحرت كثيراً في قلب المرأة وما رسوت على شاطىء، كانت الموانىء قريبة ثم اكتشفت أنها بعيدة كالسراب!..

تظل المرأة هي الشاطىء المستحيل ومن يدري لو كانت حلماً سهلاً لما لهثنا وراءه.. الحلم المفسر.

صدقني نوع من التآمر علي اغتياله لتبقى المرأة حلماً غامضاً بشرط أن لا يكون كابوساً».

الشاعر نزار قباني

مقاييس الجمال الطبيعية

□ جاذبية الجنس.

□ أوهام العلاقة التبادلية.

تختلف مقاييس الجمال من جيل لآخر ومن حضارة لأخرى.

ومع ذلك تبقى قواعد الجمال سراً لا يمكن امتلاكه لكل النساء وحتى لا يمكن اكتشافه وفهمه إلا للذين تمرسوا في الحياة وامتلكوا مواهب غريزية من ولادتهم!..

يتحدث بعضهم عن السعادة دون أن يعلم مقوماتها.

وقد يلقي بعضهم الآخر كلمات لأجلك ومع ذلك لا يخفق قلبك.

إذاً لو استطاعت المرأة إذابة الجليد في قلب الرجل لما حصل فراق فحينما يكون الاشتياق للطرف الآخر كواجب تقوم به المرأة بقصد الإرضاء يختلف عنه كرغبة ينتظرها الرجل بفارغ الصبر. وحينما يصطدم الواجب بالرغبة فإنه سينشأ برود المشاعر أو فتور العلاقة بين الشاب والفتاة.. الزوج والزوجة..

فتقصير الشاب بواجباته تجاه حبيبته ، هذا التقصير قد يكون ناجماً عن نقص في المشاعر الواجب فتحها وبقوة ونشاط نحو الشريك حتى يشعر بإنسانيته بجماله بصلاحيته للزواج.. وإذا عجز الشاب عن إيصال هذه الرسالة إلى الفتاة سيصيبها الملل والإهمال لنفسها وللطرف الآخر إن لم

يكن إلى الانحراف. ناديا فارس فتاة مغربية استطاعت أن تأسر قلوب الملايين وهي تتحدث عن الزواج الذي لم تجربه فتقول (أريد أن أنطلق كالصاروخ لكن الزوج يجعلني كالدجاجة) ومع ذلك فهي تطالب بنات جنسها بالإغواء للرجال إذا كانت عازبة وإغواء زوجها إذا كانت متزوجة وفلسفتها في الحياة «إذا لم تمتلك المرأة الرغبة في الغوا (أي الإغواء) فأمامها حل واحد ، أن تضع قطتها إلى جانبها وتنام».

إنها الآن تبرم عقوداً مع كبريات شركات الأزياء ودور العرض..

الشاعر الحاقد مثلاً لا يستطيع أن يكتب شعراً لأن الشاعر مخلوق مسالم يحب الجميع ولا يخاصم أحداً. لذا فالحب عند الشعراء ليس أعمى إنه عميق جداً بعمق المحيطات وبعمق قلب المرأة نفسها.

الكبرياء حاجة اجتماعية للذكر والأنثى لكنها تلزم المرأة وتخدمها في حياتها أكثر من الرجل!!.

هل تفتحت عقولنا؟.

فلنبدأ إذاً بفتح نافذة نطل من خلالها على قلوب الشبان والشابات.

ما هي إذاً جاذبية الجنس؟

الأجسام القوية السليمة من الأمراض والعاهات أكثر وسامة وشداً لدى الجنسين من الأجسام السقيمة.. فالآفات الجلدية.. والأسنان النخرة.. والعيون الذابلة غير المتفتحة دعائم جمالية تزيد وتنقص فالنساء أكثر استجابة للرجال المتناسقين.. والرجال الأذكياء هم القادرون على استثمار تلك السمات في علاقتهم مع النساء. كيف...؟

يقولون: الأنثى المثالية لها جبهة أعلى من الأنثى العادية البسيطة وشفاه أكثر انتفاخاً وفك مع ذقن أصغر وأنف أكثر دقة ونعومة.

ويقولون كذلك: إن صغر الثديين أو كبرهما عن الحدود المطلوبة صفة

غير مرغوبة عند الرجال. أما النساء فترغب بالرجال المتجهمين العابسين وهو إشارة واضحة أو مؤشر لتدفق المنشطات الذكورية أو كما يقال:

«وجوهنا تواقيعنا».

وعموماً يرغب الرجال بالنساء صغيرات السن في حين ترغب المرأة الرجل الناضج المثقف الذي يعرف مصلحته وقادر على فهم الطرف الآخر بسرعة الضوء أو ذاك الذي يخاطر ويجازف من أجل الفتاة التي يحب..

حتى لو أدى ذلك إلى اختطافها على حصان أبيض.

والقاعدة بذلك [عامل الفتاة على أنها سيدة متزوجة والسيدة على أنها فتاة عذراء] وهنا سأروي طرفة لجورج برناردشو.

لقد سأل حماته وكانت بالثمانين من العمر:

«في أي سن تفقد المرأة حبها للرجل؟ فاقتربت الحماة منه وفركت أذنه وقالت له: يا بني جورج وجه هذا السؤال إلى سيدة أكبر مني سناً».

وأنا أقول: هناك علامات إذا ظهرت على بشرة الفتاة كالوجه واليدين.

هذه العلامات قد تقلل من جمالها وتزيد من قلقها كالنمش والكلف الناجم عن سوء توزيع مادة الميلانين الذي تولده خلايا البشرة عندما تتعرض للأشعة فوق البنفسجية (أي أشعة الشمس المباشرة) ومع ذلك فإن إزالتها بمنتهى البساطة:

عن طريق عصير الليمون الطازج الحامض.. أو قشر البطيخ الأخضر الجاف الذي يطحن ويمزج بالعسل إذا كانت البشرة دهنية هذا ما أوصى به.. طب الأعشاب.. أو على الأقل هذا ما كانت توصي به والدتي..

أما إذا كانت البشرة غير دهنية فيستعمل زيت الزيتون الصافي مع التدليك عدة مرات باليوم.

وماذا عن العيون: إنها تأخذ درجات أكثر من غيرها في سلم العلامات

فهناك عيون من صنع البشر.. كتلك التي تجمل بالكحل والمسكرة والرموش الاصطناعية والعدسات الملونة مع الظل والتظل؟..

وهناك العيون الطبيعية من صنع الخالق والتي يصعب مقارنتها بتلك لذا تغنى الشعراء بالعيون وجمالها.

إن العيون التي في طرفها حورٌ قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

أوهام العلاقة التبادلية: في حياتنا التي لن تدوم كل شيء قابل للفناء وإلا لما كان هناك مسوِّغ للإيمان بالآخرة ﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ لن نخوض بالعلاقة الجدلية بين الوجود والعدم. الدين والدنيا. الإنس والجن. فقط سنتعرض لخلفيات سلوكنا البشري (سلباً وإيجاباً) فالناس وكما يقال «صناديق مقفلة مفاتيحها التجارب» وبلغة أهل العلم «الذهب تصهره النار والرجل تصهره التجارب» وبلسان شاعرنا الأندلسي أبي البقاء الرندي:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

سأعود بكم إلى الوراء حيث العلاقة بين الشاب والفتاة.. والتي تبدأ بمراسم الزواج وشهر العسل، أقول من جديد: لا يهم المرأة مراسم الزواج ونفقاته الباهظة ما دام الإحساس بوجودها متغيباً والأمل يقتل قبل أن يتحقق وعذوبة الكلمات وسحرها تذوب في فراش الحب إن لم تقل تدفن فيه! إن أوهاماً كثيرة في علاقة الفتاة مع الشاب.. والزوجة مع زوجها ومع ذلك تبدو وكأنها أوهام متبادلة وليست من طرف واحد كما يعتقد بعضهم.

وإلا كيف نتصور أن هذا الزواج ينتهي ببساطة ويصبح فتى الأحلام مكروهاً.. والزوجة زانية لا تصلح للزواج.. إن ما يمكن مشاهدته لا يوصف إلا بالإثم الذي يرفضه الإسلام.

فالقرآن أراد للعلاقة الحميمة بأيامها الجميلة أن تصبح أثراً طيباً يتذكره الزوج والزوجة بعد انفصالهما «ولا تنسوا العهد الذي بينكم».

حتى القرن التاسع عشر كان يُنظر للمرأة في أوربة «كخادم مجاني» ومع دخول العالم القرن الحادي والعشرين تبدلت المفاهيم لدرجة أصبحت فيه المرأة همزة الوصل بين الرجل والمجتمع. . فالمرأة الواعية المثقفة لازالت مطلباً هاماً يبحث عنه الرجل عكس تلك الساذجة السطحية الفقيرة برصيدها من الوعي والثقافة فالمرأة الغبية قادرة على إذلال الرجل وشل قدراته ويجب أن نفرق بين الغبية وتلك المتظاهرة بالغباء (المتغابية) أو كما يقول الشاعر:

ليس الغبي بسيد في قومه بل إن سيد قومه المتغابي

هذا الصنف من النساء لا يبدو سهلاً فالغبية ليست محسودة من قبل الرجال إنها موضع نقد ورفض، والسبب امتلاكها القدرة العجيبة على إخفاء كل شيء أو كما يصفها المثل الشعبي «تلعب بالبيضة والحجر».

ولأنهم ـ أي الرجال ـ يمقتون الساذجة السطحية فما ذلك إلا لهشاشتها وسهولة كسرها وهي كما تصفها الكاتبة وداد سكاكيني «جمالها وحشي وحاد. . ذات جسد متداع بفعل الحمل والولادة. . شهادتها متوسطة ثقافتها لا تتعدى قراءة المجلات الفنية. . إنها تعتبر باقي النساء حشرات ضارة يحاولن النيل منها بدافع الحسد والغيرة. والرجال بنظرها فراشات يحومون حولها. . هي الحقيقة وما عداها سراب. . عندما تتحدث عن أحدهم تقول: جاء الكلب ليبادرني الحديث. . وهكذا تفسر طيبة الناس وتسامحهم. . هذه النوعية من البشر مكانها الحقيقي وراء القضبان أو في المصحات العقلية»[1].

إن الرجال يفضلون المرأة المرحة المتواضعة المتفائلة لأنها قادرة على اجتياز العقبات وتستطيع مع هذه الصفات حل مشكلاتها في مجتمعها بسرعة وبراعة عجيبة.

---

(١) وداد سكاكيني [من يكره نفسه] سيدتي ٥٠/ ١٩٩٤ صفحة (١٢).

هذا الصنف من النساء يلزم لرجال الأعمال والعاملين في المجال الدبلوماسي لكن صلاحيتها ستبقى محدودة إذا لم تكن مسلحة بالعلم والوعي والثقافة. ويعلق الكاتب عبد الله باجبير على هذا الصنف قائلاً: «قد يلتفت الرجال إلى امرأة جميلة تدخل حفلاً إنه إعجاب وليس انجذاباً أو رغبة في التملك.. تماماً كالزائر إلى متحف تعجبه لوحة فنية أو جمالية.. لكنه لا يفكر أن يأخذها معه إلى البيت»[1].

وهنا يتساءل بعضهم: ما العلاقة بين الكبرياء والتواضع؟

نقول: يجب أن تفرق بين الكبرياء والتكبر. ففي الأول العزة والكرامة والترفع عن صغائر الأمور.. وفي التالي الاختيال والغرور والنرجسية فالأولى تثري صاحبها وتنمي فيه الإحساس والشعور بالأمان وبالأخرى حالة مرضية تستوجب العلاج، وقد جاء وصفها بالقرآن ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ كوصف لحالة الكبر. وتلك التي تستوجب الإعجاب والتقدير ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾.

فالكبرياء كما أسلفت ضروري للمرأة وهو ما وصف به الشاعر نزار قباني زوجته الشهيرة بلقيس (السيف الزرافة).

إذاً التواضع صفة مرغوبة للمرأة تعزّز بها جمالها وعدوه القاتل الغرور.

* * *

(١) عبد الله باجبير [كيف يرى الرجل المرأة] سيدتي ٧٩٤/١٩٩٦ صفحة (١٥).

كيف تختار الفتاة.. خطيبها أو «قواعد الخطوبة»

«إذا كانت الفتاة ذات مسحة جمالية فلتدخل على خطيبها بحجابها . . فهي ليست جارية في سوق الجواري»

دكتورة: عبلة كحلاوي
أستاذ الشريعة بجامعة الأزهر

□ قبل الحديث عن قواعد الارتباط بين الشاب والفتاة في مجتمع إسلامي متنور يجب التعريج على مسألة الاختلاط بين الشباب والشابات سلباً وإيجاباً. في الواقع غالت كثير من المجتمعات الإسلامية بعزل المرأة وتهميش دورها وحرمانها من فرص المشاركة بالفنون والرياضة والسفر والحفلات الخاصة والعامة.. إلا أن مجتمعات أخرى (سورية ـ العراق) بدأت بتجربة الاختلاط في المدارس الثانوية والإعدادية مع إفساح المجال للمرأة بمشاركة الرجل في الكثير من المجالات لا داعي لذكرها.

فمسألة الاختلاط لها ما يسوّغها ما دام الهدف هو التأهيل العلمي والاجتماعي إذ حصلت الإناث على نتائج جيدة في المدارس المختلطة.. أما في دول العالم الأكثر تطوراً فإن الاختلاط موجود من زمن بعيد ونسبة عالية من الفتيات الأكاديميات في بريطانيا حصل بسبب الاختلاط.. إذ حلوا مشكلات تخلف الفتيات في المدارس المستقلة عن طريق الاختلاط فالاختلاط في المدارس يؤدي لنضوج عقلي وتفتح أكثر من تلك المستقلة ومع ذلك هناك الكثير لا يرغب بهذه التجربة ، وتقول الدكتورة ناديا يوسف ـ مدرسة بكلية البنات ـ جامعة عين شمس:

«أنا مع الاختلاط واحترم آراء الآخرين الغير راغبين بالاختلاط فالأنشطة الثقافية والعلمية والرياضية بحالة الكليات غير المختلطة ويصرون عليها من منطق أن الاختلاط في المجتمع البريطاني خارج المدرسة موجود أصلاً.. إنهم لا يشكون من هذه المسألة لذا يصرون على وجود مدارس غير مختلطة كراهة بين كثرة الاختلاط».

وعلى أيِّ حال ما دام الاختلاط يحصل تحت سيطرة ورقابة وزارة التربية والأهل لا يحصل خطأ[1].. فالاختلاط يحصل بالشارع والنادي والعمل بل على العكس تبقى المقولة «كل ممنوع مرغوب» قائمة ما دام

---

(١) هذا كلام يُؤخذُ ويُردُّ ولا يُقبل على عواهنه. (الناشر).

الشاب بعيداً جداً عن الفتاة وهذا لا يعني أننا نجاوز حدود الممنوعات وارتكاب الخطايا ، فالخطيئة مرفوضة بكل المجتمعات عدا تلك التي لم يعد لديها تشريع أو قانون أخلاقي نتعامل من خلاله مع الأبناء.

نحن لا نطالب باستنساخ تجارب الشعوب الأخرى بكل علاتها وتطبيقها في مجتمعاتنا ، فالاختلاط في المدارس يزيل من طريق الشباب الكثير من الأمور السلبية مثل:

- خلق روح المنافسة بين الشباب والبنات.
- تنمية روح المشاركة الناجحة بين الجنسين.
- زيادة الوعي وتحسين نتائج النجاح.
- تنمية المواهب الثقافية وإطلاق روح الابتكار بين الجنسين.
- فرصة لاختبار كل فريق الطرف الآخر[1].

فالاختلاط ما كان ولم يكن هماً إلا للذين أساؤوا استخدامه في المجتمع الشركسي على سبيل المثال: يسمح للفتيات الجلوس مع الشباب في بيتها وضمن وسطها بموافقة الأهل.. ويجلس الكبار في مجالسهم الخاصة.. هؤلاء الشباب يتبادلون مشاكلهم ويبثون همومهم بحرية تامة ودون مراقبة ويقصد من هذا السلوك إدخال الجنسين بتجربة «اختبار» تم من خلالها التعارف قبل دخول مؤسسة الزواج ولأن الزوج في المجتمع الشركسي نادراً ما يتزوج مرة ثانية فإن الإصرار على دراسة الشريك هو مطلب رئيسي ومبرر للشباب والشابات على حدٍّ سواء.. إن هذا النوع من السلوك قدم نموذجاً رائعاً لزيجات ناجحة يمكن تعميمها بصرف النظر عن الحالات الفردية التي كان من خلالها الشاب فاقد الأهلية في تنفيذ أو إكمال الزواج!.

---

(١) ليس للاختلاط نتائج إيجابية، لا سيما في مجتمع يسيطر عليه الكبت والعقد النفسية. (الناشر).

وفي المجتمع البدوي يتم الاختلاط بشكل عفوي بدون تخطيط وبخاصة ضمن العائلة الواحدة أو العشيرة.. ويتم الزواج بسن مبكر وبين الأقارب بالغالب؛ لأن العلاقات العاطفية تنضج بصورة متسارعة لا تسمح لصاحبها بالتأني عند اختيار شريكه.. وغالباً ما تخفق تلك الزيجات لكونها لم تدرس جيداً وبكلمة أدق لم يتم مشاركة الشاب بقرار الاختيار الذي غالباً ما يكون جاهزاً من قبل الأهل..

وفي الإسلام ارتبط الاختلاط [بالنوايا] الخلقية التي تحكمه إذ شجع العلم والعمل وطالب النساء بأن يكن مضمدات لجراح الرجال.. ويحق للشاب اصطحاب مخطوبته بعد «عقد النكاح» ومنع الإسلام [الخلوة] مالم يكونا مرتبطين بعقد زواج وطالب الفتيات بالمحافظة على عذريتهن وعدم الانزلاق إلى مواطن الخطأ.. ومنع القذف ووضع له عقوبة مالم يثبت القاذف ذلك بأربعة شهداء ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

وشجع الإسلام على الزواج وحذر من المغالاة بالمهور ولم يمانع من تزويج الفقراء بل شجع ذلك ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ ومع ذلك فقد حصل الخرق باسم الدين لا بفعله.. فالمجتمع الإسلامي غالى بعزل النساء عن مجتمع الرجال إذ منع المرأة من الجلوس معهم في المحلات العامة ووسائط النقل ومنعها من قيادة السيارة «إذ تخضع المرأة لوصاية الأب وتعتبر كائناً غير مسؤول ولا يحق لها الاختيار والمناقشة.. وتعتبر مسؤولة عن الخطيئة وعرضة للغواية والانتهاك»[1].

فالكبت والتعصب وعزلة النساء أخذ أشكالاً غريبة مثل:

□ إنشاء مصارف خاصة بالنساء.

---

(١) مجلة النهج ١٣/١٩٨٦.

□ إنشاء شركات خاصة بالنساء يقوم بدلاً عنها (وكيل خاص) رجل مع مجتمعات تجارية بأسمائها ولكن دون مشاركتها.

□ لا يسمح للفتاة في بعض الدول بممارسة التمثيل المسرحي أو الفنون التشكيلية أو الغناء في الأجواء المختلطة[1].

فالتعليم لازال بعيداً عن أهدافه الحقيقية [إذ يسعى التجهيل وتعطيل اندفاع وإبداع النساء] وليومنا لا زالت تعتمد على العمالة الوافدة لإدارة شؤون البلاد بما فيها سياسة التعليم.

وعن تشجيع تعدد الزوجات يقول: «العدل هو النقطة والسكن والقسمة بين الزوجات وهذا هو العدل المقصود بالآية». وكان يعني الآية من سورة النساء ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾.

إن مثل هذه الطروحات تكرس بالمجتمع الإسلامي على أنها قواعد [اجتماعية وأخلاقية ثابتة].

لقد قمت بإجراء استفتاء على عدد من الفتيات في المرحلة الثانوية، لمدارس مختلطة وكانت النتيجة على الشكل التالي:

الاستفتاء تم في ثانوية مختلطة ـ سورية.

□ بدلاً من تحقيق عالم جديد للفتاة من جراء الاختلاط كان بمنزلة (قيد) حد من حريتها وحجم علاقاتها بزميلاتها مخترقاً عالمها الخاص من قبل الزملاء وأحياناً الزميلات المدسوسات لمصلحة الزملاء في الدراسة.

□ وتقول إحداهن: إننا نصاب بالحرج الشديد عندما نقابل بالتجريح أو النقد من الأساتذة أمام الطلاب بينما يقابلون نقدهم بالضحك والسخرية وكأنهم يعيدون سيرة «مدرسة المشاغبين» والأكثر من ذلك أن رقم هاتف

---

(١) مَنْ قال بأن غناء المرأة في الأجواء المختلطة مسموح؟! (الناشر).

الفتاة قد يقع بطريق الخطأ أو السذاجة بيد أحد الزملاء فيسبب لنا إحراجاً مع الأهل. . قالته الفتاة وهي بحالة عصبية وكأنها تدافع عن نفسها أمام القضاء.

□ وفي سؤال لإحدى الفتيات عن رأيها بعلاقة الزملاء كأساس لعلاقة تقود للزواج ، ولأن فتى الأحلام لا يأتي قبل سن العشرين كما يقال فقد كان ردها كالآتي:

المراحل التي تسبق الجامعة لا تصلح لبناء علاقات صحيحة مع الشباب لاختلاف الأهداف. . فالشاب يريد علاقة وقتية سطحية يتفاخر من خلالها أمام زملائه.

قلت: ولماذا؟

أجابت: لكونه لازال يأخذ مصروفه من أهله. . وقد يرسب بنهاية المرحلة أو يفشل تماماً بإنجاز دراسته والالتحاق بالجامعة وهذا معناه أنه سيصبح عالة على أهله. . فالشباب ليسوا جاهزين بهذا السن لبناء أسرة بسبب العديد من المسؤوليات مثل:

إكمال دراستهم الجامعية ـ الخدمة الإلزامية ـ تأمين عمل وسكن مستقل. هكذا ختمت حديثها.

وسؤالي الأخير كان لابنتي (ثالث ثانوي) بعد أن استمعت لزميلاتها وكان ردها (عن الاختلاط والخروج مع الشباب):

ـ الشاب مهما دبّج في كلامه وتملق للفتاة لإقناعها بصدق علاقته. . حتى بإقناعها بالخروج معه فإنه عمل طائش لأن تفكيره يختلف عن تفكيرها. . فالفتاة العاقلة تفضل المعرفة عن طريق الأهل وبحسب توجيههم لا بالخفاء. . (انتهت المقابلات).

والحقيقة فإن العلاقة بالمراحل الثانوية والإعدادية عقيمة ولا تولد

للفتاة سوى خيبات الأمل ومُر الذكريات. [إنه ضياع وتشتيت لطاقات الشباب [من الجنسين] الانفصالية لوقوعه تحت سيطرة متغيرات تفقده الحركة على التفكير السوي كالفراغ والضياع للهدف مع القلق والحزن الشديد[1].

فضياع الشباب وهدر طاقاتهم لم يأتِ من الاختلاط المباشر وإنما من النتائج غير المباشرة لهذا الاختلاط!.

المعروف عن الشباب اندفاعهم وتهورهم.. يقابل هذا السلوك تجاه الفتيات لاستقطاب الشباب الأكثر غِنىً وتجارباً في البحث عن الفرص الضائعة. وحتى تكتشف الفتاة صدق العلاقة من زيفها لابد من أسلوبين يلجأ إليهما الشباب إن لم يكن يعيشان في كيانهم:

الأول: يمثله الشاب الهادىء المتزن الذي لا يطلب غالباً أموراً مادية من الفتاة ولا يكثر من إحراجها.. ويبقى معها كالصديق الوفي ويتجنب دائماً الظهور بمظهر المبتز أو الميكيافلي الذي يتبرأ من التزاماته تجاه الآخرين.

الثاني: يمثله أسلوب الشاب المندفع المتصنع الذي يطلب أموراً محرجة في أقل من ساعة ويتصيد فتاته صباح مساء ويكذب عليها بسرعة الضوء مقدماً تسهيلات ومغريات بهدف الحصول على ما يريد بعدها يتنكر لما قاله.. ويتهرب مما فعله وحتى تكتشف الفتاة زيف علاقته من صدقها تكون قد خسرت أثمن أوقات حياتها.

وبرغم ميل الفتيات بصورة أكثر لهذا الصنف فإن الرغبات لا تتشابه دوماً بالنسبة للجنس الآخر.. فالبعض اكتسب خبرة ومهارة كانت بمنزلة (الرصيد) الذي ينقذهن في وقت الأزمات.. والبعض الآخر تنقصه الخبرة

---

(١) طلعت عيسى ـ عدلي سليمان [الخدمة الاجتماعية العالية] ـ طبعة مصر.

والمهارة وكان مفلساً بعالم الماديات. . هذا النوع من الفتيات لم يتحصن بالخبرة والوعي والثقافة وعاش متعلقاً مكبوتاً في بيئة متزمتة لدرجة العظم! . . من جملة ما ينقص الفئة الثانية «الجهل بالتركيب العضوي والوظيفة الجنسية وحقائق جسم الذكر والأنثى مع الجهل في أمور الحمل والولادة التي تبعث الإحساس بالأمومة عند الفتاة»[1].

فالتوعية بأمور الزواج والعلاقة بين الشباب مع أمور الحمل والولادة ليست عيباً أو إثماً كما يعتقد البعض إنها أساسيات ترتكز عليها استمرار الحياة الزوجية ويجب ألاَّ تنسى الفتاة أن [الألم بالحمل مصدره الخوف].

إن بحر الحياة هائج مائج. . يعج جوفه بالأخطار والمفاجآت. . فلا يهم الفتاة نوع اللباس الذي ستسبح فيه وإنما الطريقة التي من خلالها تنقذ نفسها من حيتانه. . والطريقة المثلى التي تنجيها من الغرق وصولاً إلى بر الأمان. فالفتاة المسلمة الواعية لا تخسر من وسط الاختلاط مقارنة مع تلك الخائفة المترددة المنزوية! . .

فزواج المصادفة أو ذاك المبني على أخطاء المجاملات لا يبني أسساً سليمة وسرعان ما تسقطه الهزات فالشباب الذين يهربون من بناء علاقات مع فتيات ناجحات يتمتعن بشخصية قوية هم سطحيون ، ويلجؤون لإيجاد مرتع خصب مع الفتيات الساذجات والأكثر سقوطاً.

«لنفترض جدلاً أننا قد تنازلنا عن فكرة الاختلاط والعمل وقبلنا أن تبقى المرأة في بيتها ، ما هو السبيل كي تنمي المرأة ذاتها ثقافياً حتى لا تتسع الفجوة بينها وبين الرجل خاصة وأنه يكتسب الكثير من خلال العمل والممارسة والخبرة العملية؟»[2].

---

(١) د. أحمد سيد طوبا [الإحساس بالأمومة عند الفتاة] ـ العربي ٣٠٤/ ١٩٨٤.

(٢) عبد التواب يوسف (المرأة العربية بين الاختلاط والفراغ) صفحة (١٦٤).

فالفتاة قبل أن ترتبط بالزواج.. خرجت من بيتها إلى المدرسة فالثانوية فالجامعة والتحقت بنوادٍ ثقافية وزارت مكتبات وحضرت ندوات تعلمت من خلالها أصول الدين.. هذا الخروج يجب ألاّ يشكل صدمة للزوج أو الشاب الراغب بالزواج ما دام يعيش هذا الواقع ويعيه!.

«إن الله لا ينظر إذا كنت ناجحة في عملي بل ينظر إلى أعمالي التي ترضيه».

هكذا كان تصور الأم ـ تيريزا ـ يفضل العمل الدنيوي عن الديني عن طريق تلمس الطريق الصحيح والاهتداء إليه. وعدم الإغراق في الظن والفتنة المضللة فالسمعة هي ما يعرفه عنك الناس والأخلاق هي ما أنت عليه» وإلا ما دواعي إخضاع الفتاة قبل دخولها الزواج في فترة الخطوبة؟

فالإنسان توازن «بين القوة والرغبة» القوة التي تكبح الرغبة.. بينما الرغبة موجودة في أعماقنا بدرجة تفوق القوة.. «إن علاقة المعرفة واكتسابها بالإيمان هي المرجع في فهم الحدود المقررة لمسألة المعرفة في الإسلام»[1].

فالإعلام اليوم بأجهزته المعقدة المرئية منها والمسموعة وفَّر على الفتيات عناء التفكير في جمع المعلومة أو اكتسابها سواء خرجت الفتاة من بيتها أم مكثت فيه!.

بقي أن نقول: إن مهمة المرأة المسلمة هي فرز الصالح من الطالح في حياتها والإصغاء باهتمام لترشيد الأهل والمجتمع مع توجيه سلوكها بما يرضي خالقها ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ صدق الله العظيم.

* * *

---

(١) حسين مروة (المصدر السابق) صفحة (٣٦٢).

قواعد الخطوبة.. كيف تختار الفتاة خطيبها

في كثير من الحالات هناك ضرورة للكشف عن أجزاء من جسد المرأة ليتعرف الخاطب على الفتاة التي ستصبح شريكة حياته إلى الأبد خشية من وقوعه بأخطاء لا يمكن إصلاحها بعد الزواج كالأمراض الوراثية وبعض التشوهات كالبرص والجرب والحروق.. أما في مجلس الخطبة من الناحية الشرعية فتدخل الخطيبة على خاطبها مكشوفة الوجه والكفين استناداً لحديث الرسول محمد ﷺ [إذا خطب أحدكم امرأة فلينظر ما يدعوه إلى نكاحها فإنه أحرى أن يوفق بينهما].

فالوجه مجمع المحاسن... والكفان يشيران إلى خُصُوبة البدن.. وعلى أي حالٍ يجمع أساتذة الأزهر في مصر إن لم نقل بعضهم على ضرورة أن يرى الشاب ما يرغبه فيها ويطمئنه على صلاحها للزواج.

ونقول للفتيات إن فتى الأحلام ليس قطعة قماش أو قطعة مجوهرات أختار منها ما أريد وأرفض الآخر. إنه قبل كل شيء أبو الأطفال ورب العائلة فيجب أن يتحقق فيه الخلق والدين وحسن المعاملة مع تمتعه بالعلم والوعي والثقافة!.

ونقول للشباب إن زوجة المستقبل ليست قطعة حلوى ، أو سلعة

تخضع للعرض والطلب إنها قبل كل شيء أم الأولاد وربة منزل يجب أن يتحقق فيها الخلق والدين وصدق المشاعر ، مع تحصنها بالوعي والعلم والآن كيف تختار الفتاة الأصلح؟

التحصين العلمي والثقافي للفتاة

الجهل بقواعد السلوك وآداب التصرف (الأتيكيت) والذي يفوق بأهميته امتلاك الفتاة لعناصر الجمال والمال.. هذا الجهل أضعف كثيراً دور المرأة وحركتها في اقتحام مجالات الحياة والاستفادة من الآخرين. والأكثر من ذلك فقدان الفتيات الثقافة التي من خلالها يمكن التعامل مع الزوج والأولاد والتكيف مع عملها في سوق العمل والمؤسسات التعليمية؟.

فالتحصين العلمي والثقافي أشبه بلقاح الأطفال الذي يقيهم من الإصابة بالأمراض التي قد تفتك بهم في المستقبل. فالمرأة المتزمتة الجاهلة تصبح هشة سهلة الكسر والتحطيم وهي بالتالي «تحكم على الرجل بقدر عقلها ، فأفضل رجل عندها من يداعبها طوال الليل والنهار ويملك مالاً لا يفنى لشراء ما تشتهيه من ملابس وحلي»[1].

فالمرأة الجاهلة لا ترغب بأن يقرأ زوجها كتاباً مفيداً أو يستمع لحوار ذي قيمة والسبب: أنها عدوة العلم.. فالرجل الذي ابتلي بهذا الصنف من النساء سيصاب بالإحباط ويتقاعس عن عمله ويفقد الحماس لأي شيء بما فيه بيته ، ومع ذلك فهي عاجزة عن التكيف مع الزوج والأولاد والمجتمع

---

(١) عمر رضا كحالة (المرأة في عالمي العرب والإسلام) صفحة (٧).

وتفشل فشلاً ذريعاً في حياتها وتبدو كالمهزوم من معركة الحياة؟.

فالحياة اليوم لم تعد كسالف العصر والزمان وأصبح الاقتداء بالجيل الماضي والجدات أمراً غير مقبول لأن الظروف آنذاك تختلف عنها الآن كماً ونوعاً، والمسألة أنه لا توجد علاقة واحدة [بين الحاضر والماضي ما دام الحاضر نفسه ليس واحداً وما دام التراث كذلك. الأولى لها حاضرها الماضوي ولها بالماضي علاقة الغريق بخشبة الإنقاذ والثانية لها حاضرها المستقبلي][1].

فإذا لم تكتسب الفتاة المسلمة مهارات وفنون عصرها ستفشل وتهرب من واقعها لغيره... وباستمرار الفشل ستفقد التكيف مع مؤسسة الزواج.

فالتسلح بالعلم والوعي والمعرفة أصبح فاعلاً في كل نواحي الحياة فالمجتمع اليوم يعج باللصوص والمحتالين «فهناك العدواني الذي يجيبك بلهجة الآمر المتسلط. والمخادع الذي يفضل حلو الكلام ذي المعاني المبطنة، ويكون بحديثه كالحية الرقطاء التي تنساب حول ضحيتها. وهناك المتساهل الذي يحاول اجتذابك والتقرب إليك. والصامت الذي يحيرك بصمته وهو يتحاشى الاشتراك بأبسط الأحاديث. والمقنع الذين يتكلم معك بطريقة تضليل»[2].

حتى تنجح الفتاة في حياتها يجب أن تعيش واقعها من دون تزييف ولابد والحالة هذه من تعزيز صلات القربى ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ واحترام الأهل والوالدين ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ وتجنب التصادم مع الجماعة والعمل في مجتمعها بعيداً عن الروح العدائية ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾.

---

(١) حسين مروة ـ (النزعات المادية في الفلسفة الإسلامية) جزء أول ـ صفحة (٢٣).
(٢) الكاتبة اللبنانية (رنده إلي الهنا) ـ آداب التصرف ـ الإتيكيت، صفحة (٩).

وعلى الفتاة المسلمة عدم النظر لموضوع الجنس نظرة المتفكر الرافض ، فالعلاقات الجنسية حقيقة واقعة يجب إخضاعها لمراقبة الأهل والمجتمع فالجنس مصدر التناسل ومع ذلك يمكن أن يكون مصدراً للرذيلة وفساد الخلق والوقوع بالأمراض القاتلة . . بالتعمق بالموضوع نكتشف أن دوافع الجنس وغاياته هي التي تستحق الاهتمام وتسليط الضوء وليس الجنس نفسه ! .

لذا وجدنا في صدر الإسلام أن الشباب حصلوا على تسهيلات حقيقية لمساعدتهم بإنجاز مشروع الزواج . . مع ترشيد الأزواج الشبان بالإقلال من حالات الطلاق والوصول إلى زواج دائم متكافىء . بعيداً عن حالات تعدد الزوجات . . وفي عصرنا الآن دخل الشبان في نفق مظلم ولم يستطيعوا تطويق همومهم وصولاً إلى الزواج ، وتقاعست الجمعيات النسائية الخاصة والمنظمات النسائية الرسمية بل فشلت بإخراج الجنسين من هذا المأزق القاتل الذي أصبح بمنزلة اللغز ! . .

وهو ما دفع الرئيس الليبي معمر القذافي لتمزيق مقررات النساء المؤتمرات لمناقشة موضوع تعدد الزوجات وإقراره لقد خاطب النساء قائلاً «إنكن لا تستحقن الطعام والشراب والموت أفضل لكن من الحياة . . إن أية إساءة للمرأة المسلمة من الآن وصاعداً تصبح مبررة لأن المرأة التي لم تحافظ على زوجها وترغمه على الزواج من أخرى لا تصلح كزوجة» .

إن الرئيس القذافي أراد تذكير النساء بالواجبات كعلاقة تبادلية مع الرجل ، صحيح أن الأمر كان لافتاً للنظر . . ومثيراً للدهشة والاستغراب من قبل بعض النساء المؤتمرات لكنه جاء منسجماً مع تعاليم الإسلام التي طالبت بدوام العلاقة الزوجية واعتبار [تعدد الزوجات] علاجاً لظاهرة لا هدفاً بحد ذاته . ولا يتم ذلك بفقدان عدد من العناصر أبرزها :

□ الانسجام الفكري بين الثنائي أي تقارب مستوى الذكاء والثقافة والوعي بينهما.

□ التجاوب العاطفي وهو الإحساس بالقبول من الجنسين.

□ التكافؤ الاجتماعي وليس المادي.

فالعلاقات السطحية القائمة بين الشباب والشابات يتغير النظر إليها من مجتمع لآخر فعندما تكون غير شرعية في المجتمع الإسلامي يمكن أن تكون مدخلاً لسعادة الطرفين في مجتمع مغاير. وهكذا؟؟

لقد بدأ صانعو «العولمة» يتعاملون مع قيم وسلوكيات الأمم الأخرى فطرق فصل الجنس عن التناسل جاءت كظاهرة حضارية لتخليص النساء من عواقب الحمل والتعامل مع الجنس بصورة أكثر يسراً من السابق. (كاستعمال حبوب منع الحمل واللولب والإبر السنوية)..

وهكذا قدم العلم حلولاً عملية لمشاكل نفسية لكنها بالواقع ليست حلولاً إلا للذين اختاروا هذا عن حسن نية كضرورة يحكمها الزواج (المتزوجون) أو الذين تعاملوا معها كمهنة عن سوء نية أولئك هم (المومسات).

والسؤال: ألم يكلف هذا الإجراء متاعب جسدية ونفسية للمرأة؟

الجواب: نعم.

لأن هذه المواد تتفاعل في جسد المرأة (كيميائياً لا ميكانيكياً) ولأنها ستؤخذ بشكل دوري فقد زادت من معاناة المرأة الحقيقية عن طريق المضاعفات الجانبية لها كالغثيان والنزيف والسمنة والعصبية الزائدة التي تنعكس آثارها على الزوج والأولاد مع التهاب الرحم، والتي ستصبح جميعها إشكالاً حقيقياً يقلق المرأة وكما وصفه أحد الأطباء بقوله:

«إن الحبة فعلت ما لا يستطيع أن يحققه المحللون النفسانيون في يوم

من الأيام لقد أذهبت خوف النساء من تمتعهن بالجنس دونما خوف من حبل».

وعليه فإن الموانع التي فصلت الجنس عن النسل زادت من الحرية الجنسية لكنها لم تلغِ القيود الحقيقية القائمة على تقييم هذه الموانع سلباً وإيجاباً. . أي لم يلقَ التفكير للفتاة المسلمة بإعادة النظر بين هذا حلال وهذا حرام. فإذا كان الزواج قد هيأ الفرصة للتمتع بالجنس وضبط النفس عن الممارسات المحرمة فما ذلك إلا من نقطة تبدل المفاهيم.

عندها كانت موانع الحمل علاجاً مفيداً لهن لكنه بالنسبة للنساء الفاضلات لم يغير شيئاً ما دام هذه الفعل يتم بقبول الثنائي من دون أن يلقي طرق التفكير القائمة عن هذا (محلل) وهذا (حرام).

□ **الحداثة والتطور في حياة المرأة:**

كيف نقلب مفاهيم النساء وتطور عقولهن. . الحداثة تعني أن تبتكر طرائق جديدة في التطور تنسجم تماماً مع معطيات العصر دون أن تلغي ما هو قائم وثمين «فالحداثة لا تعني أن تكتب نصاً مختلفاً عما سبقه، يجب أن تتحرر من سلفيتك جاهليتك شوفينيتك، وإذا كنت لا تحمل كتاباً جديداً أو فكرة جديدة أو رؤية جديدة فخير لك أن تركب جحشاً بدلاً من طائرة الكونورد»[1].

فالذين فاتهم قطار التحضر يجب تعويضه في قطار آخر يتبعه وهكذا. .

الأمة الإسلامية مع تعاقب الأزمان والعصور اكتسبت الكثير من العادات والثقافات من فن العمارة وزخارفها وانسحب هذا الأمر على فنون التجارة والصناعة والزراعة. ومع هذا الفسيفساء الرائع كان للمرأة المسلمة حضور وإسهام في الجاهلية قبل الإسلام.

---

(١) الشاعر نزار قباني ـ على طائرة الكونكورد.

في الجاهلية قبل الإسلام سادت عادات الغزو بين القبائل العربية وجرى سبي النساء واقتيادهن إلى البيوت يتصرفون فيهن كيفما شاؤوا ، والأمر الأكثر غرابة أن عادة سبي النساء كانت مرفوضة لدى القبائل العربية بدليل أن وأد البنات أحياء كان بقصد الحرص عليهن من الوقوع في الأسر بعد السبي من قبل الأعداء ، وهناك دافع آخر هو الخوف عليهن من الموت جوعاً.

ولما جاء الإسلام صحح هذين الخطأين ، ففي الأول جاءت الآية ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ وفي الثاني ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ !.

وانتشر في الجاهلية نكاح الاستبضاع.. ونكاح المقت «كانوا يتوارثون النكاح كما يرثون المال ، وإن شاؤوا زوجوها لمن أراد وأخذوا مهرها.. وقد يحبسونها حتى تموت أو فيرثوها أو تفتدي نفسها»[1].

وانتشر في الجاهلية زواج البدل (الشغار) كأن يقول الرجل للآخر «تنزل لي عن امرأتك وأترك لك امرأتي وأزيد»[2].

وهناك نكاح البغاء بأن تنصب المرأة أمام بيتها راية يدخل إليها من رآها ليمارس الجنس (وكان بعض العرب في الجاهلية يُكْرِهُون إمائهم على البغاء)[3].

وكان عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول ممّن أكره جاريته على البغاء حتى شكته للرسول محمد فنزلت الآية ﴿ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾.

---

(١) عمر رضا كحالة (المصدر السابق).

(٢) صحيح البخاري ـ الجامع الصحيح ٦/ ١٣٢.

(٣) ابن حجر العسقلاني [الإصابة في معرفة الصحابة].

هذا بعض من حضارة الجاهلية بكل ما فيها من مثالب وسلبيات ، وجاء الإسلام بحضارة أحدث ليحمل من خلالها للمرأة بشرى إنقاذها وتخليصها من كل ما ذكر ، وأصبح قرار المرأة ملزماً إذ يحق لها أن ترفض من لا ترغب من الرجال.

«وفي سبيل ذلك أبت الخنساء بنت عمرو بن الشريد أن تساق (أي تزف) إلى دريد بن الصمة وكان سيد قومه وفارسهم وشاعرهم لأن بينهما من تفاوت السن ما ينغص العيش»[1].

ومع مرور الوقت أخذت المرأة المسلمة جرعة قوية من الدعم بقصد دفعها للأمام.. إذ أصبح من حقها أن تتعلم وتجالس من ترتاح إليه من أصدقائها[2] وإذا لمست ما يعجبها من أفكاره وخلقه قدمته للأهل كشاب يستحق الزواج ، أما مفاهيم الحداد والحزن فقد تبدلت لتصبح مجرد واجبات إنسانية يقوم من خلالها المرء تجاه غيره.. ولم تنس المرأة المسلمة أن من حقها أن تتجمل وتخص نفسها بأنواع العطر والطيب ما دام ذلك لا يؤثر في أخلاقها.. فالزينة والنظافة شيء والتبرج المعهود بزمن الجاهلية الأولى شيء آخر.

كيف تحاسب الفتاة شاباً على سلوك ما في حين كانت سبباً باستفزازه ودفعه لإيذائها؟!. وباجتياز المرأة المسلمة الجاهلية وعاداتها وقعت تحت مطب الانتداب. (الإنكليزي والإيطالي والفرنسي).. بعدها وجدت نفسها أسيرة لحكم قطبين في العالم أمريكا والاتحاد السوفيتي السابق قبل تفككه ، والذي خلف للمرأة دماراً نفسياً مما أصابها بالعطب من الداخل فاضطرت نساء روسيا إلى التسول والدعارة والهجرة طلباً للقمة العيش المعجونة بالدم ، ووقعت نساء العالم من جديد ضحية لطمع

---

(١) عمر رضا كحالة (المصدر السابق) صفحة (١٠).

(٢) هل من حق المرأة المسلمة أن تجالس من ترتاح إليه من أصدقائها؟!! (الناشر).

وجشع الرأسمال العالمي وأفكاره السامة المدمرة.

فمع هذا الكم من الثقافات فقدت المرأة المسلمة كغيرها توازنها وتعثر دربها وقل عطاؤها حتى في بيتها وأولادها، فزاد عدد الجياع وارتفعت أعداد النساء العوانس والمطلقات، ونشأ جيل من الشباب لا يدري ماذا يفعل في زمن لا يملك فيه أي قرار!

□ **مركز المرأة المسلمة في العصور الحديثة.**

بامتزاج الديانات الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلامية)[1] في بلاد الشام وبلاد الرافدين والمغرب العربي وشمال إفريقية هذه الديانات تفاعلت بشكل إيجابي لتفرز حضارات رائعة بتركيبها الفسيفسائي. صحيح أن الأعمال التي تحتاج لمواقف جريئة كانت من نصيب النساء غير المسلمات كالغناء والرقص والموسيقا والتفرغ لخدمة الرجال في الأماكن العامة.. لذا وجدنا أن أطقم الشعراء والكتاب والملحِّنين ومرافقي فرق الرقص والطرب كانوا في الغالب من غير المسلمين وانتشرت مع هذا الجو أسواق الرقيق «فسوق سمرقند يأتي إليه الرقيق من تركستان وما وراء النهر والبلقان وسوق شرق أوربة والصنف الأسود يجلب من الحبشة والسودان»[2].

فالحداثة إذاً وصلت كل بيت وأصبح العالم قرية صغيرة إذ لا فرق بين ما تكتسبه المرأة الأوربية والمرأة المسلمة من علوم ومعارف، وأصبحت الفروقات ضيقة جداً ولم يعد العلم والوعي حكراً على سكان المدن بل اتسعت دائرة الوعي لتشمل الريف والبادية.. لا بل أصبح من الشائع انتشار عادات في المدينة أبعدت النساء عن التحرر عن تطريق تطويقها بعادات غريبة عن الإسلام.

---

(١) ما مدى صحة امتزاج الديانات الثلاث؟ ومتى امتزجت؟ وأين؟ وما هي المراجع المعتمدة في هذه المسألة؟!! (الناشر).

(٢) عمر رضا كحالة (المصدر السابق) صحة (٢٥).

فالحداثة التي نريدها للفتاة المسلمة تلك التي تنقلها من الحسن إلى الأحسن واكتساب عادات جميلة دون أن تلغي عاداتنا الثمينة ، فتماثل الأنماط الاجتماعية يبعد المرأة عن الإرباكات ويكيف شخصيتها ويحقق إشباعها بالرغبات . . ومع ذلك وجدنا أنماطاً من السلوك الشاذ والمنحرف والمنعزل عن غيره في المدن حيث النظام الطابقي نجد أن ٢٠٪ فقط من السكان يتعرفون على بعضهم بينما ٨٠٪ تحطمت روابطهم الأسرية وانقرضت بينهم العلاقات الحميمة (كحسن الجوار وصلات القربى) . . هذه القيم الراسخة كالجبال استبدلت في أجواء المدينة بعلاقات سطحية عناصرها «المصلحة الخاصة» والعلاقات المادية الباردة كالموت ، وهنا يعلق الكاتب دزرائيلي على حياة سكان المدن فيقول :

«إن الناس تنشأ في المدن وليس بينها إلا السعي وراء الكسب ـ الكدح ـ إنهم لا يتعارضون ولكنهم يعيشون جزراً معزولة بعضها عن البعض لا يهمها سوى المال» .

فالنقد والتجريح والنظرة الدونية واللامبالاة سمات عاشتها المرأة في المدينة وتعاملت معها كجزء من واقع المدينة . إن النظر إلى النساء خارج حدود المدينة يأتي من مفهوم أن هؤلاء من كوكب آخر . . صحيح أن المجتمع المدني تطور نحو الأفضل وقلل من الفوارق السابقة ، لكن الهدف الأساسي الناظم للعلاقات الاجتماعية بين (المرأة والأنثى) ازداد خطورة إذ انشطر المجتمع النسائي إلى شطرين :

الأول : يدعي التطور والتحرر وهو بموقع المسؤولية .

والثاني : الأنثى مهمشة في حياته وينظر إليها من الطرف الأول كإنسان من الدرجة الثانية . . .

* * *

جمال المرأة.. مقوماته

«كوني جميلة واسكتي»

مثل فرنسي

□ هل الجمال نعمة للفتاة أم نقمة.. كيف تحافظين عليه؟

الشباب كما هو معروف يؤخذون بأناقة ومظهر الفتاة ويريدونها دوماً زاهية نظيفة.. والزوج بالمقابل يرغب أن يرى زوجته كما تعرف عليها أول مرة فهل تنبهت المرأة لهذا الأمر؟

المرأة الشرقية تعتبر الزواج آخر محطة في حياتها ومع زواجها تنتهي كل طموحاتها. هذا المنطق خاطىء لأن المرأة الذكية هي التي تعلم أن الفوز بالشريك أسهل بكثير من الاحتفاظ به!

فالرجال[1] يعتبرون المرأة كالدمية التي يحتفظون بها ما دامت جميلة.. والملاحظ كذلك أن عدداً من المتزوجات يهملن أنفسهن بصورة غير مقصودة وذلك بحكم هموم الحياة اليومية ومتاعبها والتي تحولها إلى آلة.. ليس إلا.

صحيح أن هناك تفاوتاً في تربية الأولاد بين المرأة المتعلمة والأخرى الأقل تعليماً.. وكذلك بين الأطفال الأذكياء وأولئك الأغبياء، ومع ذلك تبقى تربية الأطفال تفوق بصعوبتها «ترويض الوحوش».

---

(١) هذا التعميم لا يصح. (الناشر).

فلو علمت المرأة أن ذلك هو مطلب الرجال لعملت على تجديد جمالها كل يوم كما يتجدد الربيع كل سنة!.

ولأن القاعدة في الإسلام «إن لجسدك عليك حقاً، ولدينك عليك حقاً. فأعط كل ذي حقٍّ حقه».

ويجب أن تركز المرأة دائماً على نظافتها ونظافة أولادها.. رتابتها ورتابة بيتها حتى لو اقتضى الأمر التدخل لمصلحة الزوج إذا كان لا يملك قسطاً من الوعي في هذا المجال.

فالكثير من الرجال يحتاجون لمن يربط لهم ربطة العنق، أو يكوي ملابسه وترتيبها في خزانة الثياب، ويجب أن تقلع المرأة عن كثير من العادات الضارة كالسهر والتدخين والثرثرة وإهمال واجباتها المنزلية.

والإقبال على العادات النافعة مثل التعليم ـ المطالعة ـ الوعي الاجتماعي.

فعلى مر العصور والأزمان تغنى الشعراء والأدباء بمحاسن المرأة ومآثرها وأضفوا عليها المديح والثناء إكراماً لها واعترافاً بما يمتلك من صفات فهي الوسيمة.. إذا كانت ذات حسن ثابت.

والباهرة.. إذا غلبت النساء بجمالها.

والغانية.. إذا استغنت بجمالها عن الزينة.

والخَوْد.. إذا كانت ذات خلق ودين.

والممشوقة.. إذا كانت مديدة القامة ذات خصر.

والرخيمة... إذا كانت منخفضة الصوت.

ويحاول الكاتب جبران خليل جبران إطلاعنا على مناقب النساء وما يقابلها من مثالب الرجل فيقول: «إن شئت أن تفهم المرأة فتفحص

ثغرها عند ابتسامتها فالابتسامة عنصر مكمل لأنوثة الفتاة وجمالها ويقول المثل الفرنسي:

«من لا يتقن الابتسامة ينبغي له ألا يفتح متجراً».

فهي هبة من الله يجب صيانتها، فمن خلالها تزول الحواجز بين الناس.

فكم من حزن زال وحقدٍ تبدد من خلال الابتسامة. ويجب التفريق بينها وبين الضحك الذي قد يتحول إلى شجار. ولأن المجاملات تبدأ بالابتسامة، ولين الكلام فقد حذر القرآن من المبالغة في ذلك ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

قد تتساءل المرأة المسلمة:

□ كيف نتعامل إذاً مع مجتمعنا دون أن نخسر شيئاً؟

هناك عدد من الإرشادات نقدمها للفتيات الناضجات:

ـ اختاري الأقرب لقلبك وحاولي زيارتهم من حين لآخر في الأفراح والأتراح مثل: مناسبات النجاح ـ القدوم من سفر ـ الشفاء من مرض، واحرصي أن تحملي معك هدية ولو كانت متواضعة وبسيطة بقيمتها المادية.

ـ عندما تصادقين.. احرصي على مساعدة من تصادقين (...) في وقت الحاجة وتحدثي مع الصديقات بتواضع وإذا حاولت تعريف صديقاتك بأحد فلا تذكري مهنته.. وابتعدي عن سياسة المحاور والإيقاع بين الصديقات والجارات.

ـ إبداء التسامح والاعتذار في كل المناسبات التي تشعرين أنك قصرت بها.. وحاولي تجنب الشح (البخل) أو المبالغة بإكرام الطرف الآخر

وبحالة وجود خصومة مع أحد صديقاتك فتجملي بالصبر ولا تفقدي أعصابك بالانفعال واجعلي هدفك الصلح والتسامح وتذكري قوله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾.

ـ حافظي على وعودك مع الآخرين واكتمي أسرارهم واحرصي على حضور الموعد في وقته، أو قبله بقليل، وتذكري قول الرسول محمد ﷺ (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف.. وإذا اؤتمن خان».

فكم من فتاة حاصرها اليأس وأحاط بها الغم من كل جانب وهي بانتظار صديقتها.. أو العكس وكم من مصلحة شخصية وقتية سيطرت على عقول الكثير فأنستهم الوعد وصاحبه منساقين لوعود أكثر جزالة. فالذين يرفضون إعطاء وزن لانتظار الناس وغضبهم الناجم عن السلوك المضاد يشكل بالتأكيد خرقاً للقواعد من السلوك التي تحتم أن يتعامل الناس بشيء من الاحترام.

إن الأعصاب تُحرق بانتظار الموعود، وهو بحد ذاته قيمة تثمن من خلالها العلاقات الهشة الفاترة التي تبنى على أساس مادي مصلحي (لا ديني).

وعليه: يجب أن تحكم كل فتاة على الشاب من خلال عهوده ومعرفة ما إذا كان جاداً يحترم وعده أم رقاصاً يتلاعب بعواطف الآخرين ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ إننا ابتعدنا كثيراً عن السؤال الذي تم طرحه [هل الجمال نعمة للفتاة أم نقمة] لكننا لم ننسه ونذكره تماماً كذكرنا لشهيرة صالة الرواق في بغداد ليلى العطار «ليتني لا أملك إلا الموهبة.. الفن؟ نحن في الشرق لا نرى في المرأة الجميلة إلا المتعة وغالباً ما نتناسى مواهبها الأخرى.. إني أخشى أن يكون تقدير فني نابعاً من خديعة

عيونهم.. يروننني جميلة فيجاملوننني بقولهم إني أرسم فناً جميلاً.. مثلاً لا أحب لوحاتي هل تصدق؟».

قالتها قبل أن تغتالها الصواريخ الأمريكية البريطانية في صالة الرواق في بغداد إثر عملية [ثعلب الصحراء].. ولأنها رأت أكثر مما قرأنا.. وسمعت أكثر ما سمعنا ووقعت بمطبات الرجال وخبثهم.. كان تعبيرها ينم عن هموم تعيشها وجراح لم تندمل في أعماقها.. فهل صحيح أن المرأة تكره من يمتدح جمالها وأنوثتها؟ لا ، مطلقاً لكن المرأة تحب أن يمتدح الناس إنجازها لا جمالها الذي ترى في مديحه نفاقاً يقلق الكثير من المبدعات.. فالسر الكامن خلف [النقمة] التي تقترن بجمال المرأة كان من خلال الهموم النابعة من مواهبها التي تناسوها عن قصد أو بدونه.. وركزوا فقط على الجسد وهو بيت القصيد في عقدة الفنانة التشكيلية ليلى العطار مع الرجال المتملقين..؟؟؟.

* * *

المظهر والنظافة والترتيب
الورقة الرابحة للمرأة

«المرأة يجب أن تبدو جميلة.. تصبغ أظافرها وتلون شعرها. وتثقب أذنها.. وتقلل من شهيتها فالرجل لا يؤسس سيطرته فقط وإنما يهدف لمواصفات أنثوية خيالية عن طريق القيود وعدم الراحة لتحقيق حريته واستقلاله في الحياة».

ـ فاضل عزاوي ـ

لا ندري تماماً ما وراء هذه الصفات هل هي تكريس لسيطرة الرجل أو مطلب أساسي له حتى تصبح المرأة بنظره مقبولة.. أم هي غريزة طفولية تنشأ مع المرأة وفي وجدانها حتى العظم..؟

الكثير من الحالات لا يرغب الرجل بالمبالغة بهذه «الرتوش» وحتى الدين لم يشجع عليها لدرجة الإدانة ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

إذاً الصفات السابقة هي شروط هامة يجب أن تتذكرها المرأة مع مطلع كل صباح دون أن تصبح قيداً يستثمره الرجل للإقلال من راحة المرأة حتى يسيطر ويستقل. هل تصدقوا أن عطر النساء وراء عنف الرجال وقسوتهم تجاه الجنس اللطيف؟ «روبرت بايرون» أحد علماء النفس الأمريكيين أقام تجاربه على درجة تأثير العطر النسائي على سلوك وتصرفات الرجل.

التجربة في جامعة ـ أنديانا ـ تناولت (٤٥) عائلة أثبتت جميعها أن هناك علاقة بين تبرج النساء وعطرهن وبين إثارة الرجال واستفزازهم وهو

ما عنته الآية بعدم المبالغة بالزينة وبالتالي الاعتدال لكل شيء دونما إسراف!

يقابل هذا الفعل عند الرجال فعل آخر معاكس لدى النساء وذلك عن طريق إعجابهن بالسمات الشخصية للرجل ثقافته مركزه المالي والاجتماعي وهو ما يطلقن عليه (الجاذب). . فمن غير الثابت أو المؤكد أن كل النساء تتأثر أو تطالب بأن يكون الرجل أنيقاً في لباسه ومظهره. . لكن من المؤكد لدرجة الجزم أن غالبية الرجال ينجذبون إلى مظهر المرأة ولباسها وزينتها وأنوثتها بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

وهو ما ترجمه شاعرنا العربي عمر أبو ريشة «الجمال هو ما يستثير في نفسي أشياء لا أعرف مصدرها فعندما اكتشفها تخف قيمتها ويخف بالتالي إعجابي بها».

لترجمة هذا الكلام نقول:

وأنت تجلسين بجوار زميلة لك في سفرٍ طويل. . تنبعث رائحة عرق واخزة منها ماذا تفعلين؟.

المؤكد أنك ستتذمرين وتتمنين أن تنتهي الرحلة بدقائق بدل الساعات وستبدئين بإعلان تذمرك شيئاً فشيئاً ، نحن بدورنا نقول:

إن الماء أرخص مادة في العالم. . والاغتسال لا يأخذ من الوقت أكثر من دقائق فالاهتمام بالنظافة هدف لإرضاء الآخرين ، ولأن غالبية النساء والرجال يجهلون مصدر تلك الروائح وطرق علاجها سنعطي فكرة مبسطة للثقافة ليس إلا.

يفرز الجسم عن طريق البشرة أبخرة تسمى [التعرق] قد تكون قوية واخزة أو طفيفة تختلف من شخص لآخر ، هذه الأبخرة تقوم بها الغدة [الأربية] في مناطق الفخذ والإبطين والعانة وهي بالرجال أكثر منها للنساء ، وبالعرق القوقازي أكبر من العرق الأصفر!.

تلعب بعض الأغذية دورها بظهور الرائحة وانتشارها (فالقرنبيط والملفوف والكرنب والثوم والبصل والفجل) خضار غنية بعنصر الكبريت ويمكن تخفيف الحالة بشرب كأس من الحليب.. وتنبعث من القدمين رائحة كريهة مصدرها (فطريات) تنمو بين أصابع القدمين وتعالج بواسطة مراهم خاصة.. أما الروائح المنبعثة من الفم (البخر) وهي أصعب الحالات فيكون مصدرها (التهاب الحنجرة أو الأسنان التي يتراكم ضمنها بقايا الأغذية والتهاب اللوزات أو الإفراط بأكل البصل والثوم والمشروبات الكحولية والتدخين جميعها لها دور بانتشار مثل هذه الروائح.. جميعها تستوجب العناية بنظافة الجسم وبعضها يحتاج لاستشارة طبيب لعلاجها.

من الروائح الأخرى إفرازات جلد الرأس المسمى [القشرة] نتيجة لطبيعة البشرة أو الأعمال المجهدة وأحياناً وراثية.

□والنتيجة:

لا يكفي أن تكون الفتاة جميلة.. فالجمال بحاجة لدعمه بعناصر الوعي والثقافة والتي بها أو من خلالها يتم التركيز على النظافة.. وحذار من استعمال العطور بقصد تغطية روائح كالتي شرحناها..؟.

فعند وصولك من السفر عليكِ بالاغتسالِ ولبس ثياب جديدة؛ لأن هذا العمل مطلب حضاري، ولا تنسي عند سفرك أن تحملي ملابس بديلة مع فرشاة الأسنان وفرشاة الشعر والمنشفة.

* * *

كيف تكسبين الأصدقاء وتؤثرين فيهم

يقول عمرو بن العاص:

«الكلام كالدواء إن أقللت منه أفاد وإن أكثرت ضر».

الكثير من النساء يجدن أنفسهن معزولات عن المجتمع سواء كان هذا المجتمع البيئة التي تعيش فيها أم مكان العمل والدراسة. وحتى تتخلص الفتاة من هذه العزلة يجب مراجعة تصرفاتها مع صديقاتها، فقد تكون معاشرتها لإحدى الفتيات سبباً في تشويش علاقتها مع الأخريات وهنا نقول للفتاة كوني لبقة وأكثر تواضعاً مع الآخرين. وإذا كنتِ تعلوهن قدراً وعلماً وثراءً فيجب أن تتنازلي عن كبريائك.. وإذا اختلفت مع أحدهم في الرأي فيجب أن تبدي رأيك بهدوء تام دون تشنج أو عصبية واحرصي أن يكون حديثك مدعماً بالأدلة والحقائق حتى لا يتحول إلى جدل عملاً بالآية ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾ هذا أولاً؟

لا تمارسي دور الناصح على صديقاتك حتى لا يملللن من الاستماع إليكِ وينفرن منكِ واحرصي على عدم إبداء النصح لأحد أمام الآخرين وإذ كان لابد فيجب أن يتم ذلك على انفراد.. مع الحرص على عدم مقاطعة الزميلات أو منعهن من الحديث لمجرد تذمركِ وعدم رضاكِ عن الحديث المطروح والأخذ بالآية ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ وتذكري أن الابتسامة تصل إلى أعماق النفس وتفعل فعلها بالآخرين، ويجب أن تعلمي أن التعامل مع الناس فن يجب إتقانه، هذا ثانياً.

ونقول لسيدات المجتمع حصراً.. عند الزيارات العائلية لتحرص الزوجة على إفساح المجال لزوجها بالحديث وعدم مقاطعته أو استلام الحديث بدلاً عنه، هذا التصرف يوحي للجلوس أن الزوج لا دور له وأنه مستولى عليه من قبل زوجته.. وليكن حديثها معبراً عن روح المشاركة الزوجية والحرص على استخدام الألفاظ في مكانها الصحيح مثلاً: لا يجوز القول [جاء زوجي معي] بل [جئنا معاً] وهكذا، هذا ثالثاً.

ويجب عدم الخلط بين المجاملات الضرورية والتملق الذي يقود إلى الكذب، والمعروف أن الفرنسيين أبطال التملق والإنكليز أبطال المجاملة..

وإن الأمريكيين أبطال الفتنة والعرب صانعو العواطف..!

ونقول للنساء ولكن بلسان «رندة أبي الهنا» [لا تسرفي بالحديث دون أن تعطي فرصة الكلام لمن تخاطبينه، ولا تتكلمي بنزق وعصبية.. أو تتحدثي والطعام بفمك وحتى تكوني صادقة بكلامك يجب أن تحسي بما تقولينه].

أما إذا بثت إحدى الصديقات إليك همومها وأسرارها فاحرصي على عدم إفشائه.. وإذا انفردت إحداهن بشتم زميلتها أمامك فلا تجامليها بالحديث بل حاولي إعلامها أن من تشتكيها ليست كذلك بدليل أنها تحبك.. وهكذا وإذا كنت في جلسة مرح مع إحدى الصديقات وكان موضوع الجلسة فتاة فقيرة فلا تخوضي معهم بالحديث بل انسحبي احتجاجاً على هذا الأسلوب واعلمي [أن من يأكل لحم الفقراء سيغص بعظامهم] وليكن اقتداءكِ قولُه تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

* * *

ملابس المرأة المسلمة والحجاب

«النظام العالمي الجديد طحن الإنسان في بيئته وسحق شخصيته وتناول بكل أسلحته المدمرة ركائز الدين والعادات والبيئة فمع التقنية الحديثة وغزو موضات الملابس وأدوات الزينة وإبراز مفاتن الجسد أخذت تغزو الناس في بيوتهم حتى ضعفت مقاومة النساء أمامها ، وشلت مقدرة الرجال على كبح جماح النساء فانفلت الزمام واتسع الخرق على الراقع».

حيدر قفة

[المسلمة المعاصرة. . التزام ودعوة]

لم يعد موضوع اللباس أمراً عرضياً يمكن تجاوزه أو تجاهله بل أصبح قضية رئيسية تشغل بال الرجال والنساء معاً. . فالتطور تناول كل شيء فينا وبدَّل الكثير من المفاهيم بما فيها ملابسنا. . فلم يعد لباس المرأة يقتصر على تغطية جسدها وستر عورتها بل أضحى سلاحاً فتاكاً في لفت الأنظار وأداة ناجحة لجذب الرجال واصطيادهم. إنها مسألة أقلقت علماء الدين في العالم الأوربي والإسلامي وشكلت أكبر عقبة في طريقهم لتخليص المرأة من هذا الكابوس. . في الماضي استعملت المرأة لباساً واحداً صيفاً وشتاءً. . ومع تقدم العلم وانتشار الوعي بدأ التخصص في نوع وشكل اللباس تبعاً لكل فصل بالسنة ، فأصبح لكل فصل لباسه الخاص. . ولكل فترة زمنية لباسها المميز بها فما يصلح للصباح لا يصلح للمساء وهذا لا يصلح للسهرة وأخذ التقسيم أسماءً غير عربية [ماتينيه ـ سواريه] أي المساء والسهرة.

وبمرور الوقت أخذ اللباس أشكالاً تخصيصية تدخلت الدولة بفرضها على المواطن (اللباس الموحد للمدارس الابتدائية والثانوية والجامعية ورياض الأطفال والمعامل..) وهناك اللباس الخاص بالمشافي والآخر للسجون وهكذا.

«فالمرأة في الجاهلية كانت تسدل خمارها كيفياً مع ترك صدرها وجزء من ظهرها مع الوجه مكشوفين. واستمرت على هذا الزي بعد الإسلام حتى السنوات المبكرة من الهجرة إلى المدينة ثم جاء الأمر بالحجاب][1].

اللباس السابق لازال معمولاً به في الهند ودول شرق آسيا أما أسباب فرض الحجاب فيقال: إن النساء في المدينة كن يتعرضن لمضايقة الشباب الذين تعودوا على ملاحقة الجواري اللواتي يلبس لباساً فاضحاً غير محتشم.. هذا الأمر أزعج النساء الحرائر (من غير الإماء) فاشتكت النساء إلى الرسول فجاءت الآية (٥٩) من سورة الأحزاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾.

بينما نجد أن الآية (٣١) من سورة النور تتحدث عن الخمار المختلف تماماً عن الحجاب ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾.

والجيب هنا يعني الفتحة.. وبالنسبة للجسد فإن الصدر وتحت الإبط فالآية تشير لستر هذه الفتحات بما فيها صدر المرأة لا وجهها وبالتدقيق بالآية (٦٠) من سورة النور نجد أنها تشير إلى فئة من النساء تجاوزن سن اليأس هذا السن الذي يتوقف عنده حاجة المرأة للرجل ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾.

---

(١) هادي علوي [المرأة في الجاهلية ـ المرأة في الإسلام].

لنستعرض الآن عدداً من الآراء الخاصة بثياب المرأة مع وجهات النظر حول الجلباب والحجاب والخمار لارتباطها بعورة المرأة وأخلاقها. تقول الكاتبة الكويتية سالمة الصالح «يعود وضع الحجاب عند المرأة لدوافع عديدة مثل مواقف الحزن التي تلم بالعائلة أو تعيب المرأة بصورة خاصة ، وقد يكون لحرية الحركة في مجتمع يكثر فيه فضول الناس وقد يكون لخلفية دينية مع الورع الديني» التصورات هذه قد تشكل ٣٠٪ من شرائح المجتمع لكنها تبقى مقبولة ويبقى الرأي الأول والأخير للمشرعين والمجتهدين من رجال الفقه الإسلامي والرأي الشخصي الخاص بالمرأة نفسها والذي يتماشى مع مصلحتها.

الكاتبة نظيرة زين الدين تحول الموضوع لشقين (عقلي ـ وديني) أما عن الشق العقلي فتقول «غالباً ما يشجع وضع الحجاب على الفساد أكثر من تشجيعه على حسن السيرة والأخلاق. فإخفاء الهوية محرض على الخطأ ، فالخوف من العار والفضيحة سبب من أسباب عدم السقوط في الرذيلة فلماذا يحرم الرجل المرأة من هذا العاصم».

رأي الكاتبة نظيرة له ما يبرره في مجتمع يستخدم الدين كستار ويلجأ للرمزية لإخفاء الفضائح الباطنية وهو ما عبر عنه الدكتور: حسن حنفي بكتابه (الطوائف البروتستانتية وروح الرأسمالية) فيقول «نلاحظ أن رجال الدين المسيحي يتمتعون بالإحساس المرهف للمال والبخل فالروح شكل والمادة مضمون فلكي يبرر التاجر ماديته يصبح متديناً وينادي بجمع التبرعات».

ألا ترون معي أن هذا السلوك له ما يقابله في مجتمعنا الإسلامي؟! نعود للشق الثاني الديني للكاتبة نظيرة زين الدين تقول «كانت فاطمة الزهراء ابنة رسول الله محمد ﷺ تقوم بإعطاء دروس للرجال والنساء معاً، والشيخة شهدة فخر النساء كانت تحاضر في مدارس بغداد ومساجدها في الأدب والفقه والتاريخ بالقرن الخامس الهجري».

لنقرأ رأياً ثالث للكاتبة المصرية أمينة الصاوي حول الجلباب بعد استشهادها بالآية (٥٩) من سورة النساء فتقول «هناك بعض الشروط في الجلباب ، ألا يكون لونه فاقعاً، وألا يكون ضيقاً ملتصقاً بالجسم أو شفافاً له فتحات تظهر الساقين، وألا يحوي زينة ومطرزات تلفت نظر الرجال».

وفي تفسير الجلالين [جمع جلباب وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة ، ويسترن فيها الوجوه عند خروجهن إلى حاجتهن. . إلا عيناً واحدة ذلك أقرب إلى أن يعرفن بأنهن حرائر فلا يؤذين بالتعرض لهن بخلاف الإماء (الجواري) فلا يغطين وجوههن فكان المنافقون يتعرضون لهن].

وفي تفسير الجلالين لكلمة [خمارهن] من الآية (٣١) سورة النور يقول: «أي يسترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع ولا يبدين زينتهن الخفية ، عدا الوجه والكفين».

إذاً شهدنا في كل مرحلة تاريخية وليومنا هذا [تقليعة أو موضة] جديدة مع رؤى واجتهادات في موضوع الجلابيب والحجاب والخمار هذه الاجتهادات قد تدعم أو تنسف ما كان قائماً ، وبكلمة أدق فقد عانت المرأة المسلمة كثيراً من مسألة اختلاف أشكال الملابس لتبدو مقبولة في ظروف معينة محددة مثلاً:

كان يطلب إلى المرأة أن تكون سمينة ذات أرداف في حقبة زمنية معينة وأن تكون ممشوقة القوام نحيفة ذات خصر في زمن مغاير؟ . .

وطلب إليها أن تكون مسترجلة تخرج إلى الشوارع (لتردح) فيها على هواها حتى تحمي نفسها أو عائلتها من مجرمي ذاك العصر والمارقين فيه!

وفي زمان ما وربما نحن فيه يجب أن تستسلم المرأة المسلمة لقرارات الرجل وألا تعترض على ما يطلب إليها أن تلبسه وعليها أن تصمت حتى لو كانت مهضومة الحقوق ، ووجدنا بالمقابل نساء يضعن (إشارباً) على الرأس ويلبسن تنورة بفتحات خلفية وجانبية تبرز ساقيها؟ . .

وخلاصة القول: لم تستطع المرأة المسلمة ليومنا هذا أن ترسو على شاطىء أو تتكيف بين ما تراه من لباس وبين ما تعيشه من واقع حياتها وعصرها فالكاتبة عالية شعيب تعطي رأيها «بجواز لبس الحجاب أو عدم لبسه فالأمر لا يعدو أن يكون حراماً»[١].

أما الكاتبة المغربية فاطمة المرنيسي فتضع رأياً ثلاثي الأبعاد في مسألة الحجاب وتقول: «إن مفهوم الحجاب ثلاثي الأبعاد. الأول يحجب عن النظر ويعني (أخفى وخبأ) والثاني فراغي بمعنى الفصل أي وضع حد أمام عتبة والثالث أخلاقي»[٢].

ونحن نقول: الحاجات الشخصية وإشباعها شيء.. والواقع ومتغيراته شيء آخر فالرغبة بإشباع حاجات اللباس لدى المرأة المسلمة لا توقف رغبتها في كيفية استعماله فالحلال بين والحرام بين وبينهما الشبهات... فتقليد اللباس أرهقت مجتمعاتنا وشكلت أم المشاكل ورأس الهرم فيها سواء كان ذلك في مجتمع إسلامي أو أوربي «فالتعمق بالمظاهر السينمائية المفتعلة نكتشف معاناة الرجل الأوربي الجنسية والعاطفية والتي لا تقل حدة عن معاناة الرجل المسلم ، صحيح أن درجة الكبت هناك أقل منها لدينا إلا أن هذا لا يمنع من بقاء المشكلة رغم اختلافها الشكلي وتلونها»[٣].

* * *

(١) الدكتورة: عالية شعيب [الحجاب كسفور في الشكل].
(٢) الكاتبة المغربية: فاطمة مرنيسي [الحريم السياسي ـ حريم النبي والنساء] ص ١١٦.
(٣) سليم مطر ـ مجلة الناقد ـ العدد الأخير.

الحب.. والحب الأعمى

حقاً ما هو الحب.. هل هو الحرية باختلاط الشباب والشابات بحرية تامة تخلو من قيود الانضباط.. أم هو ذاك الشعور الدفين الذي عبر عنه الشعراء العذريون والرومانسيون.. حتى نفهم أو نتفهم الصورة الحقيقية لهذا الحب ونميزه من ذلك الحب الأعمى الذي ينبت بغياب العقل وحضور العاطفة الجارفة؟.

نسوق الرسالة التي نشرتها مجلة (دي ليدي) البريطانية في أحد أعدادها «حبيبي يقبلني ويحتضنني.. وعندما يضمني إلى صدره يقول: إنه يشعر بنشوة هائلة ولكنني لا أشعر بنشوة مماثلة.. فعندما يلتصق أنفي برقبته الصلبة لا أفكر إلا بـ [ويللا فورم] الذي يضعه فوق شعره وطبقة [النشاء] فوق باقته. وعندما نخرج سوية تتدفق مشاعره نحو القمر ويناجيني بالسماء [كالبدر الجميل] ويروي شعراً حول النجوم وتتردد على لسانه كلمات مثل الإثارة والنشوة والسعادة وكلمات أخرى مماثلة لا أشعر نحوها بأي انفعال إنني أظن الحب أنه الذي يساعد اثنين كل منهما الآخر مثل صديقين حميمين يكونان في عمل واحد ، وكل منهما يعمل من أجل الآخر ، فهل يمكنك يا عزيزي المحرر أن تخبرني حقاً ما هو الحب».

الرسالة تثير لدى الفتاة ـ أية فتاة ـ تساؤلات كثيرة تنبع من طبيعة فهمها لذاتها لا أكثر ولا أقل.. ولأنها كذلك فهي ترفض ذاك الإطراء الذي لا يتناسق «سيكيولوجية الأعماق» في شخصها دون الشكل وهذا ما يعرف (بسوء تفاهم) بين الجنسين يعتقد كل منهما أنه أذكى من الآخر.. وبرغم عمق العاطفة التي اندفع بها الشاب أمام عينيه من نوع آخر بعيدة كلياً عن تلك الفتيات اللاتي لا يفرقن بين الكذب والإطراء لنقرأ فقرة صغيرة من كتيب «الغزل عطر النساء» للكاتب محمد شرف «تكادين بانقطاعك أن تسدي السماء عني ، أنا أنظر إلى السماء أعمق أعمق. ويشاغلني سوندي ، يخفق في قلبي. الذي لا قرار له».

هذا النوع من الغزل لا يقدم ولا يؤخر في كيان فتاة اكتوت بألاعيب الشباب ونفاقهم.. لقد شكل الإطراء المبطن والمجاملة الرخيصة هاجساً للكثير من الفتيات.. وفهمنه بعد فوات الأوان بمنزلة المقبلات التي تسبق وجبة الطعام ، هذا ما باحت به الفنانة التشكيلية ليلى العطار «جميع النساء الموهوبات في الشرق من وطننا الغربي يعانين ما أعاني. لكن البعض منهن يعمدن إلى استغلال ذلك في سبيل الوصول لأكبر قاعدة جماهيرية.. أنا لا أعمم القاعدة برجالنا الشرقيين».

فاللذة والألم اللذان يشكلان مفرزات العلاقة العاطفية بين العشاق كثيراً ما يقودان إلى لذة وألم جماعيين أي ، إن الكثير من الناس يثرون من تعاسة الآخرين وهو ما أكده صاحب المبدأ النفعي الإنكليزي ـ بنتام ـ.. !

لنترجم ما قلناه لقصيدة تغنى بها أحدهم وشكلت حالة من الذعر في صفوف الرجال الذي صدموا بأنوثة وجمال المرأة.. والذي لا حدود له فقد وصفها شاعرنا بأنها:

كذب كالصحراء نرسمه بأصابعنا ونكاد نصدقه.

فالشاعر يحملها شعلة..

والتاجر يحسبها عملة . .

والكاهن يلعنها إثماً . .

والضائع يتبعها نجماً . .

والشارب يحسبها جرعة . .

والقاتل متعة . .

إننا أمام ظاهرتين من ظواهر الحب . . !

الأولى تحمل الصدق والمعاناة بآن معاً .

وبالأخرى أوهام كالسراب تقود صاحبها إلى اللاشيء .

بالأولى تجربة حقيقية بالحب تكلف صاحبها كل حياته .

وبالثاني ـ أوهام الحب ـ تكلف الفتاة عمرها الذي تدفعه ثمناً لهذه التجربة . دعونا نطعِّم حديثنا بشيء من الواقع . . إذ لا يشترط أن يتفق الثنائي في عواطفهم ومشاعرهم واختياراتهم .

لنعد للوراء قليلاً لسنوات الدراسة الجامعية . . كان صديقي يحدثني عن حبه العذري لزميلته . . عاش معها ثلاث سنوات دون أن تسمع منه كلمة تعلمها بحبه ولأنه [أغلى مافي الحياة أمل وانتظار] كما يقول عباس محمود العقاد . فقد طال الانتظار وأردت حسمه ، فاتحت الفتاة بحب صديقي . . هذا الحب [كالحمل الكاذب] لكنها ردت قائلة :

«إني لا أعيش هذا الحب الذي يتكلم عنه صديقك . . فأنا أعيش بعالم آخر . . كنت مخطوبة وعلى أبواب الزواج وفي رحلة مع خطيبي بسيارته وقع حادث أودى بحياته ونجوت بأعجوبة» .

أطرقت رأسها قليلاً ثم نظرت إلي والدمع يغرق عينها وقالت :

كيف تريدني أن أفكر بإنسان آخر وخطيبي لازال يعيش بداخلي لم يفارقني ؟ . . انتهى اللقاء .

لقد صدم صديقي عند سماعه القصة وصدقوني أنه لازال مصدوماً لم يتزوج إلى اليوم ، لقد تناثرت شظايا الصدمة إلى شطرين :

الأول : ذاك الحب الأعمى الذي قتله الخجل والوهم .

الثاني : ذاك الحب الرائع الذي عاشته الفتاة . . ألم تكلف هذه التجربة بشقيها أبطالها كل حياتهم وتبعاً لذلك صنف علماء النفس المحبين لأربع أنماط . سريع التعلق سريع النسيان (النمط الصفراوي) .

النمط الذي لا يتخلص من محبوبته بسهولة (السوداوي) .

سريع الوقوع بالحب يصعب عليها السلوان (الدموي) .

المتردد المتنقل بين النساء كالدنجوان (البلغمي) .

وانقسم الشعراء إلى أقسام ، فالعذريون مثل جميل بن معمر .

والشعراء الحسيون مثل أبي نواس .

وهناك الشاذون والتقليديون والرومانسيون .

أعود فأقول : إن العلاقة الحميمة التي تجعل الثنائي كطاقم واحد يعملون كل للآخر ويعيش الواحد منهم لأجل الآخر ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ بغير هذا المفهوم لن يكون هناك حب هادف ! .

ما هو إذاً الحب الأعمى . يقول عباس محمود العقاد [إن أقبح رجل بأعين المرأة أجمل من جميلات جنسها] .

كيف ؟ . .

امرأة محامية مشهورة بأمريكا وجميلة أحبت موكلها القاتل . . وحتى تثبت له حبها قتلت حارس السجن لتهرب مع عشيقها وتتزوج منه . استمر

زواجهما ست شهور لكن الداء الذي بدأ بزوجها سرعان ما انتقل إليها. . قبض عليهما متلبسين بتهمة سطو مسلح مع القتل وأودعا معاً السجن ولا زالا يقضيان مدة حكمهما إلى اليوم.

الحب في سن المراهقة: في هذا السن الذي يقع بين مرحلة الطفولة وسن البلوغ تصبح الفتاة صديقة الجميع ما عدا الأهل. . لذا يجب أن يتعامل الأهل معها بمنتهى الحذر خوفاً من هروبها مع من تحب!

والمراهق مقارنة بالفتاة المراهقة أصعب قيادة. . تدوم المراهقة عند الفتيات عشر سنوات وثمانية للفتيان تحدث خلالها تغيرات تتناول إفراز هرمونات خارجية لزيادة الطول والوزن واختلاف الصوت لبلوغهما سن النضج.

لذا يجب التنسيق بين الأهل والمدرسة، وهناك حلول يمكن أن تساعد المراهقين على اجتياز مراحلهم الصعبة منها:

١ ـ تنويع مناهج التعليم بالنسبة للمراهقين.

٢ ـ إفساح المجال لإثبات وجودهم مع تقديم الدعم المادي والمعنوي لهم وملء فراغهم بالأفلام الاجتماعية الهادفة والألعاب الرياضية بأنواعها والترويح عنهم بالرحل والدورات التدريبية التي تعلمهم الجلد والصبر مع تعويدهم على أداء الفروض الدينية والواجبات كالصوم والصلاة ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾.

٣ ـ الإرشاد الزواجي عن طريق الأهل والمدرسة والمنظمات الشبابية مع مراقبة الأهل والسهر على راحة أولادهم إذا لم تدخل أولادنا المراهقين بهذا البرنامج فلن يكون مصيرهم إلا كباقي المراهقين في بلدان أوربة حيث وصل عنف المراهقات في بريطانيا مثلاً لدرجة الإجرام «وبلغ الأمر لدرجة أن الابنة تصفع أمها على وجهها. . ولا تتردد بقتل أبيها إذا حاول توبيخها».

وعلى سبيل المثال «اضطر أحد الآباء لقتل فلذة كبده لأنها بدأت بالتدخين بسن الثانية عشرة وسرقت أموال والدها بتحريض من عشيقها وزملائها..»[1].

وتشير الصحف البريطانية نقلاً عن تقارير لاختصاصيين اجتماعيين أن العنف بين الفتيات المراهقات ظاهرة خطيرة تهدد المجتمع البريطاني.. وذلك لضياع القيم والأخلاق في الأسرة الإنكليزية.. وظهور عائلات جديدة لا تعرف التربية أو التقاليد التي تساعد على تنشئة الصغار].

ما هو السر أو الخلفية لهذا الانحراف؟

إن وجود أسر ممزقة كغياب الأب أو وفاته وأم مطلقة مع الحرية المطلقة التي تسمح للفتاة أن تعيش حياتها طولاً وعرضاً.. ولأن الأهل يقبلون ذلك كقدرهم أو لعنة حلت بهم نجدهم لا يملكون القوة بوقف هذا التشرذم أو تقديم بدائل إيجابية له. [فالحرية المطلقة هي استبداد مطلق][2]..

وتشير الإحصاءات الرسمية أن نسبة متعاطي المخدرات من المراهقين وصلت إلى ١٥٪ حصل هذا ويحصل في مجتمع فقير، يعيش خواءً فكرياً وشذوذاً وعنفاً لا يصدقها العقل.

إننا هنا مع قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾.

لا نريد لأبنائنا أن يصلوا إلى هذا الدرك..

إننا مع ترويضهم على الإيمان والصبر وتحمل المسؤولية.

إننا مع دور الأهل والمدرسة ومع دور الدين الذي ضمن هؤلاء الشبان من الوقوع بالخطأ والرذيلة!

---

(١) مجلة الحوادث المصرية العدد ٨ آب (اغسطس ١٩٩٦ صفحة (٢٠ ـ ٢١).

(٢) دكتور: يوسف الشين ـ أستاذ علم الفلسفة ـ جامعة قاريونس ـ ليبيا.

والآن كيف تصمد الفتاة أمام إغراء المال.. إغواء الوعد بالزواج وإغراءات العمل... السفر.. الشهوة بشقيها. نحن هنا أمام عينات من الرجال يجب على الفتيات تجنبهم هذه النصائح عن الباحث والمحلل والكاتب الأمريكي [لوليم نوفاك] من كتابه الشهير [الحب وندرة الرجل الكبير].

النصائح نقدمها للفتيات من مبدأ الحرص حتى تتلمس طريقها:

□ تحاشي الشاب الذي يخطط لرحلة سياحية يدعوك إليها مع أصدقائه.

□ تحاشي الشاب الذي يتجاهل مواهبكِ واحتياجاتك ويتذكر فقط حاجاته.

□ اقطعي علاقتك بالشاب الذي يعتذر منك بعد وصوله لأمور مادية وذاك الذي يتعامل مع غيرك بنفس المبدأ الذي عمل به معك.

□ لا ترتبطي بشاب يأخذ قراراته ومشورته من والدته.

والذي يطلب إليك مساعدته لحل أزماته النفسية والمادية.

وذاك الذي لا وجه له (الغامض الصامت) ومع ذلك يتهمك بالقوة.

□ تجنبي الشاب النرجسي الذي يعتز بشخصه ويرفض نقد الآخرين وذاك الذي يحضر لك هدية بمناسبة ومن بدون مناسبة.

والذي لا يحترم عهوده وعند توديعك له يقول لك: دعينا نركِ.

□ الشاب الذي يتعاطى العقاقير الطبية.

وذاك الشاب الذي يعدك بالزواج لكنه يرفض إنجاب الأطفال منك وهو يعرف أن معرفتك به لم تبدأ إلا من وقت قصير.

□ وأخيراً وليس آخراً تحاشي الرجل الذي طلق زوجته لوقت قصير، ولا تخرجي مع رجل يدعي حبك أكثر من زوجته.

ونتساءل قبل أن نودعك:

هل بقي نوع من الرجال خارج هذه القائمة.

إذا وجدت هذا الشاب فعليك به قبل أن ينقرض.

الزيارة.. آدابها وفوائدها

الزيارة ظاهرة حضارية من غابر الأزمان لها مقوماتها وطقوسها الخاصة بمعنى أن لكل نوع من الزيارات طقوسها. فزيارة مريض في مشفى تختلف عن زيارة القادم من سفر.. وهذه تختلف عن تلك الخاصة بالأعراس وأعياد الميلاد وعيد الأم فالإنسان الذي ينعزل عن مجتمعه يضعف دوره ويقل عطاؤه فعزل المرأة وتعطيل دورها يفقدها الكثير من عناصر قوتها.. الأديب رفاعة الطهطاوي أراد السفر لفرنسا والتأكد بنفسه عن وضع المرأة هناك مقارنة بوضع المرأة في مصر إنه ينقل إلينا ما شاهده هناك «إن وجود تخبط (لخبطة) بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن بل منشأ ذلك التربية الجيدة ونقيضها ، والاعتياد على محبة فرد واحد دون التنقل لعدد من الأفراد. أي عدم التشريك في المحبة ، مع التحام العلاقة الزوجية».

لقد دهش من معاملة النساء الفرنسيات ويقول: «لا حجاب ولا ضرب ولا إهانة ولا مذلة للمرأة هناك. إنها زينة مجتمعها فالفرنسيات بارعات الجمال واللطافة حسان المسايرة والمجاملة والملاطفة.. يتبرجن دائماً بالزينة ويختلطن بالرجال في النوادي والعمل والمنتزهات»[1].

---

(١) رفاعة رافع الطهطاوي ـ عن مجلة العربي العدد ٤٨٤/ ١٩٩٩ /آذار.
قلت ـ أي: الناشر ـ: كان الطهطاوي مِنْ أوائل مَنْ تحدَّثوا عن حرية المرأة ، =

لقد تصور البعض ومنهم الطهطاوي أن المرأة الأوربية والفرنسية حصراً لا تغار على زوجها أو صديقها. . لكن ذلك غير صحيح فالرجال هناك يركزون على المضمون وليس الشكل كما يحصل لدينا فالمرأة كالرجل من حيث الاحتياجات الظاهرة منها والباطن فالذكورة والأنوثة موضع التباين والتضاد بالموضوع فمتى خانت الفتاة ثقتها من قبل صديقها والزوجة من زوجها فمن حق المجتمع رفضها أو إدانتها كخاطئة تستحق العقاب والعكس صحيح بالنسبة للرجل.

أذكر تماماً إبان أزمة الأواكس وما أعقبها ظهرت كاريكاتيرات تسخر من جهل العرب وسذاجتهم وحبهم للمظاهر جاء هذا من مؤسسات إعلامية مملكوكة للصهيونية العالمية من هذا التهجم [ميل الشخصية العربية إلى الخيال والتطرف والانشغال بالترف وعدم الاهتمام بالزمن، والقدرية والضعف ونقص القدرة الإبداعية والميل إلى السيطرة»[1].

فلولا الزيارة لم يتوصل هؤلاء لنقد مثالبنا وتسليط الأضواء على نقاط الضعف في مجتمعنا. . وكذلك ما نقله الطهطاوي عن مجتمع فرنسا. . . فالسفر حضارة والزيارة ضرورة حضارية.

□ الأهداف الغامضة للزيارة.

أحياناً قد لا تكون الزيارة لشخصك وحباً فيك بل للاطلاع على أخبارك وما لديك من أمور يجهلها الزائر. . هذا الأسلوب يصبح خطراً عندما يتحول لطريقة من طرق التجسس ونقل الأخبار للغير. . تقوم بهذا الدور فتاة تشعر بعلاقة زميلتها لنفس الشاب الذي ترغب بالارتباط به والعكس صحيح.

= وجاء بآراء مثيرة للجدل والمناقشة، وفيها جرأة على الدين والأحكام الشرعية.

(١) الدكتور: أدموند غريب [شقوق في صورة العرب عند الأمريكيين].

هذا الدور جسده المسلسل اللبناني [الشوهاء] شاهدوه . . .

من الأهداف الغريبة للزيارة تلك التي تأتي بقصد «مصلحة شخصية» .

لذا يختلف الجذب والشد بطرفي الحبل باختلاف القدرة العقلية على بلورة وتحليل الطرف الآخر (الزائر) وفرز أفعاله ونواياه الشريره منها أم الصالحة ، ويجب أن تحذر الفتيات في بلادنا من الأساليب الخبيثة التي شوهت معنى الحب والعلاقة الحميمة التي من خلالها يتعرف شاب بفتاة لكشف أسرار العائلة لمصلحة أمنية أوسياسية بعيدة تماماً عن مصلحة الفتاة وتوجهاتها .

فبالقدر الذي يبتعد فيه الشباب عن التسلح بالإيمان يزداد الخرق الأخلاقي لبيوت وأعراض الغير . . وبالقدر الذي تصبح فيه الفتاة ساذجة مستسلمة يسهل افتراسها واللعب بعواطفها لدرجة العطب .

إننا أمام واقع جديد دخل فيه الحاسوب والفضائيات والفاكس والتلكس والأنترنيت لمجتمعنا وأصبحنا مكشوفين شكلياً للعالم الخارجي، لكن هذا الشكل لا يؤثر فينا ما دمنا نحتفظ بما نحن فيه من أخلاقيات وسلوكيات وبما نحن عليه من عقائد وعادات .

الإغواء... الكذب القاسم المشترك بين الجنسين

يقول ليسنج: «الإنسان الذي لا يفقد عقله أمام الإغراء. . . ليس لديه ما يفقده».

ويقول وليم شكسبير: «لا تبتئسن أيتها السيدات فالرجال مفطورون على الخداع قدم في البحر وقدم على الشاطىء لا يعرفون الاستقرار».

كيف تربط بين ما قاله ليسنج الأب الروحي وما قاله شكسبير. . . فالإغراء يهدف لإشباع الدوافع لدىٰ الجنسين فالفتاة التي تقوم بإغواء الشباب عن طريق اللباس أو الأنوثة تنمي بالوقت ذاته غريزة «الأنا» الباطنية التي تعيشها فالإشباع المادي والمعنوي كالحنان والعاطفة والإطراء صفات يبحث عنها كلا الجنسين ، فلو حصل عدم انجذاب أو تجاوب من الطرف الآخر سيشكل ذلك صدمة بلا شك للطرف الأول وهكذا. . .

فقوة الإيمان والثقافة والوعي والمعرفة والجمال لدىٰ الفتاة والسمات الشخصية الخاصة بالرجل جميعها تشكل عناصر حاسمة في الإغراء وسيطرة الواحد على الآخر. ويتوقف عامل الجذب والنبذ. . القبول والرفض. والاستجابة وعدم الاستجابة على العوامل الكامنة خلف المادة العلمية للإغراء. . وبكلمة أدق المقدمات التي من خلالها تتحرك الشهية الجنسية والحب لامتلاك المال هما الشرارة التي تشعل نار الحب بين الجنسين!

ففي موضوع الزينة وفتنة الجسد كانت النساء مسؤولات عن تحريكها أو إخمادها في مجتمع من المجتمعات. إذ من غير المعقول أن تحاسب شاباً لمجرد إعجابه [بفيزون] فتاة تسير بالشارع[1] . . أو تدين امرأة لمجرد إعجابها بمطرب ما أو فنان يقدم عملاً مميزاً. لذا وجدنا أن القرآن خاطب النساء بالحالة الأولى من موقع مسؤوليتهن عن دفع الشباب إلى التحرش الجنسي والاستفزاز ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ فالمقصود بالزينة هنا العمق وليس الظاهر فالفتنة الآتية من عرض الجسد تماثل تلك الصادرة عن لبس الحلي أو البارفان أو المكياج الذي تستخدمه الفتاة. وجاءت الآية (٢٧) من سورة النساء لتخاطب الرجل بحكم المسؤولية عن ضبط الشهوة ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ والآية ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾.

وذلك بقصد التلاعب بعقول النساء ودفعهن لارتكاب الإثم.

والآية من سورة النُّور ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا . .﴾ إذاً هناك حواجز تفصل العلاقة الهادفة عن تلك المحرمة وهو مؤشر عملي للتفريق بين ما هو جدي وما هو هزلي في علاقات الجنسين ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾.

نعود الآن للشق الثاني (الكذب).

الكذب ليس حكراً على النساء فالرجال والنساء يستخدمون الكذب لتبرير أعمالهم وتسهيل أمورهم إلا أن الدافع يختلف بينهما فالمرأة قد تكذب للمباهاة أمام زميلاتها أو أحد أصدقائها دفعاً للتهمة التي قد تلصق بها من مجتمعها، وقد تكذب للمبالغة كأن تقول لصديقها: إن والدها يمتلك ثروة من المال. وقد تكذب لحب الظهور في وسطها الاجتماعي

---

(١) ولكن ننصحه بغضّ البصر، والاستغفار. (الناشر).

كالحالة التي تعطي نفسها صفة علمية أو اجتماعية لا تمتلكها فعلاً.

فالكذب سلوك سيِّىء وليس هناك ألوان للكذب إذ لا يجوز أن نجعل منه غاية لتبرير نقائصنا وتغطية رذائلنا الخلقية... فقد تكذب الفتاة على زميلها بقصد إسراع العلاقة وكشف جده من زيفه... ويتم أحياناً بالتنسيق مع الأم أو إحدى الصديقات المقربات... وقد تكذب الزوجة على زوجها الذي يلح لمعرفة ماضيها بكامله برغم أن هذا الماضي ملك لصاحبه... وقد تكذب الفتاة لابتزاز الرجل مالياً.

أما من وجهة نظر دينية فهناك حالات وردت في أحاديث الرسول محمد ﷺ يباح فيها الكذب كما يراها رجال الفقه الإسلامي منها على سبيل المثال:

□ مجاملة الزوج لزوجته كأن يقول لها «طعامك لذيذ» و«لباسك أنيق» و«جمالك رائع»... وهكذا.

□ بقصد الإصلاح بين الناس عملاً بالآية ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ كأن ينقل لأحد الخصمين كلاماً طيباً لم يقله الطرف الآخر وهذا ما تفعله المرأة الصالحة عند توفيقها بين قلبين دون أن تكون طرفاً منحازاً.

□ الكذب عند الأزمات السياسية كدخول الأمة بحالة حرب مع العدو عملاً بالقاعدة [الحرب خدعة] وحتى لا نتعرض لنقد المطالبين بإسناد هذه الحالات سنذكر حديث رسول الله محمد ﷺ [لا يصلح الكذب إلا في ثلاث. الرجل مع امرأته لترضى عنه. أو كذب في الحرب فإن الحرب خدعة. أو كذبٍ في إصلاح بين الناس].

وهناك حالات استثنائية يباح فيها الكذب كالحرص على صديق ما بعدم مفاجأته بأمر صعب كالموت مثلاً:

عندما جاء زوج أم سلمة إلى البيت وكان قد ترك ابنه مريضاً ومع

دخوله سأل زوجته عنه فقالت [هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح].

لقد فهم من كلامها أن الطفل نائم ليستريح من مرضه بالعافية أما هي فقد عنت هدوء النفس بالموت واستراح من مرضه ومعاناته، وكانت صادقة فعلاً.

ونحن نقول لكل الفتيات: حذار من الكذب والتلاعب بعواطف الشباب حتى لو كان ذلك لمجرد الضحك والتسلية ولتذكر كل فتاة القاعدة التي تقول: «تستطيع أن تخدع بعض الناس بعض الوقت. وقد تستطيع أن تخدع كل الناس بعض الوقت. لكنك لا تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت».

ونختصر هذه القاعدة بمثل شعبي قديم قبل بمناسبة الكذب [الكذب حبله قصير] أي أنه مهما طال الزمن سيكشف ويظهر صاحبه!

ونختم هذا الموضوع بطرفة للكاتب الساخر برناردشو:

كتبت إحدى المعجبات لبرناردشو تقول له: «أنا سأكون في بيتي الساعة السادسة مساء السبت». فرد عليها قائلاً: «وأنا كذلك».

وهو القائل: [الغريب أن النساء تكرهني مع أنني لا أكذب؟!].

وحتى تميز بين الكذب وبين المجاملة بمعنى التجمل... ننصح بالعودة لفيلم: [أنا لا أكذب ولكني أتجمل] لأخذ العبرة.

ونحب بالنهاية أن نشير إلى أن أكثر من ٤٠ ألف فتاة كويتية عانس فاتها سن الزواج من أصل مليون نسمة هم سكان الكويت، ولتخفيف هذه المعاناة عن الفتيات هناك جميعة [الزكاة] التي تقوم بمساعدة الشباب والراغبين بالزواج، هذه الجمعية أقامت عرساً جماعياً ضم ١٥٠ عريساً وعروسة اختلفوا بعيد زواجهم. وتقول إحدى الفتيات الكويتيات [إن سن الفتاة (٢٥) سنة فما فوق فاتهم قطار الزواج والسبب الحياة الاجتماعية في الكويت والقوانين المفروضة على الفتيات دون الفتيان الذين يتزوجون من

أجنبيات. . ولأن الحكومة تمنع زواج النساء من الغرباء خوفاً من حصولهم على الجنسية الكويتية. فقد وصل عدد المتقدمات لطلب زواج لهذه الجمعة ٩٠٠ فتاة وحوالي ٦٠٠ شاب ويبقى الأمر سرياً حرصاً على سمعة الفتيات».

* * *

خاتمـة

تحدثنا عن التداخل بين عمل المرأة داخل بيتها ومساوىء إدخال الخدم إلى البيوت والتأثير السلبي في منظومة الزواج وتربية الأولاد مع التقارب في العادات والتقاليد الدخيلة على هيكلية بناء الأسرة.

وتطرقنا للدور الإعلامي في تغيير مفاهيم وقناعات البشر وتأثيره حصراً في المرأة المسلمة ودورها الأساسي كأم صانعة الأجيال.

وسلطنا الأضواء على هموم المرأة ومعاناتها. . . منها ما كان من صنع الرجل والآخر من وضع المجتمع ونظمه السياسة والاقتصادية والاجتماعية السائدة. هذه الهموم التي شملت:

ـ هموم ما قبل الزواج وهموم الزواج.

ـ هموم تعدد الزيجات.

ـ هموم العمل داخل البيت وخارجه.

ـ هموم العادات والتقاليد البالية التي لادخل للإسلام وقانونه بها كحالة هموم الفتيات الكويتيات سالفة الذكر.

ـ هموم تربية الأولاد والحالة الفيزيولوجية للأم.

ـ هموم المعاشرة والتوافق الزواجي وهموم أخرى تم رصدها والبعض

لم تتطرق إليه لقد تطرقنا في القسم الثاني من الكتاب إلى آداب التصرف للمرأة المسلمة.

(الإتيكيت) وقمنا بالتطرق لمعظم الحالات التي تهم الفتيات حصراً... بينما ركزنا في القسم الأول على هموم المرأة بشكل عام والمتزوجة بشكل خاص..

ولا أدري فعلاً هل وفقت بالوقوع على معظم معاناة المرأة... وهل نجحت في طرق الأبواب التي لا زالت موصدة بوجهها.. أرجو ذلك وإلا فإني أعتذر عن كل تقصير أو هفوة وزلة لسان بقصد أو من دون قصد.. وأعتذر بالدرجة الأولى من الأساتذة الأفاضل رجال العلم والدين المتنورين لأمور عصرهم والذين يتألمون لهموم المرأة المسلمة كما الشباب وهمومهم... أعتذر إليهم إذا حصل جهل بأمور الفقه أو الدين والله من وراء القصد.

* * *

المحتوى

مقدمة الناشر ٥
تقديم الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي ٧
مدخل ١١
هموم الزواج ١٧
القلق مصدره وأسبابه ١٩
صحة المرأة والتوافق ٢١
أثر العصاب في سلوك المرأة ٢٧
تاريخ المرأة المسلمة وموقعها ٣١
المرأة في العصور الغابرة ٣٣
المرأة في التاريخ العربي ٣٤
المرأة في العصر الإسلامي ٣٤
أشكال الحب في التراث الإسلامي ٣٩
قوامة الرجل المسلم ٤٩
الحقوق المفروضة للمرأة المسلمة ٥٦
أ ـ الحقوق المالية ٥٦
ب ـ الحقوق الاجتماعية ٥٧

النشوز ٥٩
هموم المعاشرة ٦٣
شذوذ العلاقات الزوجية ٦٧
تعدد الزيجات ٨٣
الزواج ٩٥
الزواج الدائم (النكاح) ٩٧
تضاؤل دور المرأة مع انتشار الخدم ٩٩
المرأة المسلمة وتحديات العصر ١٠٧
اختلاف الدوافع بين المرأة والرجل ١١٩
أولاً ـ دوافع التحاق المرأة بسوق العمل ١١٩
أ ـ الضجر والملل ١٢١
ب ـ الإحساس بالضياع والتهميش ١٢٢
جـ ـ الخوف من مخاطر الزمن ١٢٣
د ـ الوضع الاقتصادي للأسرة ١٢٣
ثانياً: دوافع الإنجاز والإبداع للمرأة المسلمة ١٢٤
١ ـ معوقات اقتصادية ١٢٦
٢ ـ معوقات إدارية ١٢٦
٣ ـ معوقات اجتماعية ١٢٦
٤ ـ معوقات سياسية ١٢٧
٥ ـ دوافع الخير والشر بسلوك المرأة المسلمة ١٢٧
هموم المرأة المسلمة خطوات العلاج النفسي والديني ١٣٣
أعراض الاضطراب النفسي ١٣٣
خطوات العلاج النفسي الديني ١٣٥
الفقر والحروب والكوارث... بيت الطاعة ١٣٧
موقع المرأة المسلمة من نساء العالم ١٤٩

المرأة في أوربة ومنظومة الزواج ١٥٣
الجوانب المشرقة في المجتمع الإسلامي ١٥٧
أ ـ حقوق الوالدين ١٥٧
ب ـ حقوق الطفل ١٥٨
جـ ـ المرأة المسلمة والطلاق ١٥٨
آداب التصرف ـ الأتكيت ١٦٣
مقاييس الجمال الطبيعية ١٦٧
كيف تختار الفتاة خطيبها ١٧٣
قواعد الخطوبة ١٨٣
التحصين العلمي والثقافي للفتاة ١٨٥
الحداثة والتطور في حياة المرأة ١٨٩
مركز المرأة المسلمة في العصور الحديثة ١٩٢
جمال المرأة... مقوماته ١٩٥
المظهر والنظافة والترتيب الورقة الرابحة للمرأة ٢٠١
كيف تكسبين الأصدقاء وتؤثرين بهم ٢٠٥
ملابس المرأة المسلمة والحجاب ٢٠٧
الحب... والحب الأعمى ٢١٣
الزيارة. آدابها وفوائدها ٢٢١
الإغواء.. الكذب القاسم المشترك بين الجنسين ٢٢٥
خاتمة ٢٣١
المحتوى ٢٣٣

❊ ❊ ❊